توما الأكويني

وشبهاته المتخلفة مثله ضد الإسلام

توما الأكوينى

وشبهاته المتخلفة مثله ضد الإسلام

إبراهيم عوض

مكتبة الشيخ أحمد

القاهرة – منشية الصدر

٧ شوال ١٤٤٦هـ – ٥ إبريل ٢٠٢٥م

توما الأكوينى وشبهاته المتخلفة مثله ضد الإسلام

كنت أعسّ فى مواقع المشباك منذ عدة ليال، ففوجئت فى موقع نصرانى اسمه "دفاعيات مسيحية" بفيديو عنوانه "صدمة الإسلام- كيف رد توما الأكوينى على محمد والاسلام؟" يتضمن تعريفا بما قاله توما الأكوينى عن ديننا ونبينا. وكنت أعرف أن الأكوينى، مثلَ يوحنا الدمشقى، قد كتب صفحات عن الإسلام هاجمه فيها بغياً وعَدْوًا اعتمادًا على شبهات زائفة وتخرصات حقود غبية، فاستمعت إلى ما يقول المذيع المصرى النصرانى، نيابة عن توما الأكوينى، عن دين التوحيد الصافى حتى إذا ما انتهيت من السماع قرّ فى ذهنى أن أضع ردا على هذه الهراءات المنحطة. ونبدأ بالتعريف بتوما الأكوينى، ثم نُقَفِّى بإيراد كل شُبْهَة من الشبهات التى أطلقها الكوينى على إسلامنا الراقى الفريد مع التوقف عند كل تهمة وتحليلها وتبيين تفاهتها وغباء كاتبها الذى يوصف بأنه واحد من أعظم علماء اللاهوت النصرانى فى العصور الوسطى.

فماذا عن توما الأكوينى؟ ولد توما الأكوينى حوالى العام ١٢٢٥م فى منطقة أكوينو فى مملكة صقلية. وهو راهبٌ دومينيكانى. وأشهر أعماله "أسئلة متنازَع عليها حول الحقيقة" و"خلاصة ضد الوثنيين" و"الخلاصة اللاهوتية". وله تعليقات على الكتاب المقدس وعلى أرسطو، وترانيم كنسية. وقد قرأت أنه، حين عزم على الالتحاق فى سن التاسعةَ عشرة بالنظام الدومينيكانى ولم يَرُقْ ذلك لأهله، لجأ اثنان من إخوته إلى استئجار بغيٍّ لإغوائه، فدفعها الأكوينى عنه بعيدًا حاملًا جِذْعًا محترقًا رسم به صليباً على الحائط قبل أن يسقط فى نشوةٍ صوفيةٍ، ثم تبدّى له ملاكان وهو نائم، وقالا له: انظر. نحن نحزّمك بأمر الله بحزام العفة الذى لن يتعرّض حامله للخطر من الآن فصاعدًا. ومنذ ذلك الحين حصل الأكوينى على العفة الكاملة، وبقى يرتدى الحزام إلى نهاية حياته. وهو كلام فارغ طبعا، وإذا صحت القصة فتفسيرى لها أنه عِنِّين لا يستطيع إتيان النساء، أو ربما كان الرهبان قد اعتدوا عليه حين كان يتعلم على أيديهم وهو صغير منذ الخامسة من عمره فأفقدوه منذ ذلك الوقت المبكر رجولته. ولا أظن أنه كان محتاجا إلى أية مقاومة لإغراء البغىّ. وكيف يقاوم

ما لا يجد فى داخله أية رغبة فى التمتع به؟ أما ظهور الملائكة له وتحزيمه بحزام العفة فلا يدخل إلا عقول الملتاثين. وحزام العفة هذا مشهور بأنه للنساء الأوربيات اللاتى كان أزواجهن يخشَوْن، خلال غيبتهم عنهن، أن يلعبن بأذيالهن من ورائهم. اللهم إلا إذا قيل إنهم قد وضعوا له حزام العفة لا من أمام بل من وراء.

وفى هذه الدراسة سوف يكتشف القارئ العزيز حقيقة توما الأكوينى، هذا الكائن الذى يدلسون به على الناس زاعمين أنه أحد كبار الفلاسفة النصارى فى العالم. وأول هام، كما يقولون فى بيانات الثكنات العسكرية، أنه ليس رجلا مكتمل الرجولة، إذ لو كان رجلا لتزوج. فالغريزة الجنسية غريزة إنسانية متغلغلة ومتجذرة فى طبيعة البشر فلا يمكن تجاهلها من قِبَل الرجال الأسوياء التامى الرجولية: فإما تزوج الشخص أو أشبع غريزته فى الحرام والدنس أو سلك سبيل الشذوذ والانحراف عن فطرة الله التى فطر الناس عليها أو قضى حياته مؤرقا متفزا لا يستطيع التركيز فى عمله وأكله وشربه ونزهاته وقراءاته... إلخ إن استطاع، لأنها لن تتركه يهدأ أبدا بل تظل تصرخ فيه وتولول طالبة حقها من الإشباع. ومعروف أن الزنا واللواط والسحاق يشيع شيوعا

هائلا بين الرهبان والراهبات لهذا السبب لأنه لا يستطيع أحد مكتمل الخلق مقاومةَ قانون الله سبحانه، اللهم إلا إذا أخصى نفسه. والأكوينى لم يكن يحتاج إلى شىء من هذا لأنه ليس رجلا مكتملا. هذا رأيى أقوله، وحسابى على الله!

والإسلام دين مثالى واقعى، فهو لا يشتط مع الكلام المجعلص بل يطالب أتباعه بالاجتهاد للوصول إلى أعلى نقطة أخلاقية مستطاعة ولا يطلب منهم التحليق فى المطلق رغم سهولة الكلام. من هنا يدين القرآن الكريم التجاوز فى أمر الرهبانية، إذ لا يمكن تجاهل الشهوات تماما، وإلا فسدت الحياة، وبخاصة أن الشهوات هى وقود الحياة. فنحن لا يمكن أن نحقق شيئا من غير الشهوات: شهوة الأكل، شهوة الشرب، شهوة تأكيد الذات، شهوة المال، شهوة التميز، شهوة الفضول، شهوة الجنس... تصوروا أننا تجاهلنا شهوة الأكل والشرب مثلا. إننا لن نتحرك حينئذ من موضعنا. ولماذا نتحرك ونحن لا نريد طعاما ولا شرابا؟ أو تجاهَلْنا شهوة الجنس. فلماذا نتحرك ونحن لا نريد زواجا ولا نسلا ولا صدرا حنونا ولا قلبا يحبنا ونحبه؟ وبهذا تقف الحياة وتَأْسَن. إشباع الشهوات لا بد منه، ولكن لا مناص مع هذا من الالتزام

بالحدود الأخلاقية فى إشباعنا لأية شهوة. نتزوج: نعم. نزنى: لا. نسعى وراء كسب المال لنشترى فولا وطعمية ولحما وأرزا وخبزا: نعم. نسرق الطعام أو نخطفه: لا... وهكذا.

قال تعالى: "وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ". إنك إذا كنت إنسانا سويا فأنت تحتاج إلى امرأة تتزوجها. فإن تجاهلت ذلك ارتبكت حياتك أو انحرفت أخلاقك أو انزلق الإنسان إلى الحرام: زنا أو شذوذا. وقال صلى الله عليه وسلم: "إنَّ الدَّيْنَ يُقضى من صاحبِهِ يومَ القيامَةِ إذا ماتَ إلا من تَدَيَّنَ (أى استدان) فى ثلاثِ خِصالٍ: رجُلٌ يُضْعِفُ قوتَهُ فى سبيلِ الله فيستدينُ يتقَوّى به لعدوِّ الله وعدوِّه، ورجلٌ يموتُ عنده مسلمٌ لا يجِدُ ما يُكَفِّنُهُ ويُوارِيهِ إلا بِدَيْنٍ، ورجلٌ خافَ اللهُ على نفسِهِ العُزْبَةَ فينكِحُ خشيةً على دِينِهِ. فإنَّ اللهَ يقضِى عن هؤلاءِ يومَ القيامةِ"، "النِّكَاحُ من سُنَّتِى. فَمَنْ لَمْ يَعْمَلْ بِسُنَّتِى فَليسَ مِنِّى. وتَزَوَّجُوا، فإنى مُكَاثِرٌ بِكُمُ الأُمَمَ. ومَنْ كان ذَا طَوْلٍ فَلْيَنْكِحْ، ومَنْ لَمْ يَجِدْ فَعليهِ بِالصِّيامِ، فإنَّ الصَّوْمَ لهُ وِجَاءٌ".

كذلك فتوما الأكوينى هذا لا عقل له كما لا عقل للحمار، بل الحمار أفهم منه وأرقى، إذ لا يَبْعُد ابنُ الأَتَان كلَّ هذا البُعْد عن أن يكون إنسانا بحق كما بَعُدَ الأكوينى، لأن الأكوينى يعبد بشرا مثله بينما الحمار لا ولم ولن يفعلها. ترى هل رأيتم حمارا يركع أو يسجد لإنسان، فضلا عن أن يكون هذا الإنسان قد فارق الدنيا ولم يعد يعيش أمامه على الأرض، أو يبتهل إليه أو يتصور أنه هو الذى خلقه، وناهيك بأن يعبد الحمار حمارا مثله؟ وهذا ثانى هام.

وثالث هام أننا سوف نشرع الآن فى تمزيق هلاهيل الأكوينى الفكرية التى يظن أنها من خلالها يمكن إثارة ضجيج الإنكار لنبوة سيد الأنبياء والمرسلين محمد صلى الله عليه وسلم بل فى تمزيقه هو نفسه. وأول شبهة يثيرها هذا المأفون هى أن محمدا لم يأت بمعجزة، فكيف نصدق أنه نبى صادق؟ ولكن يا توما الأكوينى الأبله هل كل الأنبياء عندكم فى كتابكم قد أَتَوْا بمعجزات حتى تتقصَّع كالنسوان متهما النبى محمدا بأنه ليس نبيا حقيقيا لأنه لم يأت بمعجزات؟ هل أتى إبراهيم فى كتابكم بمعجزة؟ هل أتى إسحاق أو ابنه يعقوب أو حفيده يوسف بمعجزة؟ هل أتى داود أو سليمان بمعجزة؟ إن داود فى كتابكم زانٍ ومجرمٌ متآمرٌ لا خَلَاق له من

الخُلُق ولا الضمير ولا الإنسانية. لقد زنى هذا البصباص الذى يصعد على سطح قصره ويبص هنا وهناك لعله يرى واحدة من بنات حواء تكشف عن جسمها أو شىء منه متى ظنت أن أحدا لن يراها، شأنه فى ذلك شأن أى صائع ضائع لا شغلة له ولا مشغلة، هذا البصباص زنى بامرأة جاره وحارسه وأحد قادة جيشه الكبار، وكانت تستحم فى فناء بيتها عارية كما ولدتها أمها ولا تعرف أن فوق سطح القصر المجاور لمنزلها رجلا ناقصا لم يربّه أبوه ولا أمه ولا حتى الأيام والليالى ولا أثَّر فيه كونه ملكا، ثم بعد زناه بالمرأة الإسترتيز خطط للتخلص من الزوج النبيل المخلص الطيب القلب كى يخلو له وجه زوجته مع أن النساء على قفا من يشيل، ولما تم له التخلص منه، إذ أمر كبار رجال الجيش بوَضْعِه فى خط النار الأول وتَرْكِه وحيدا فى مواجهتهم بالانفضاض عنه فى اللحظة الحرجة حتى يقتله الأعداء، ثم بعد أن ترك زوجة الرجل الطيب الراقى لا يقربها مدة العِدَّة (أية عِدَّةٍ يا رب هذه، وهو كان قد زنى بها وانتهى الأمر ولم تعد هناك حاجة لعدة ولا يحزنون؟) دخل بها. وهى بالمناسبة أم سليمان! أنعم وأكرم! ليس ذلك فقط بل تم فى بيت داود هذا زنا محارم من الطراز البشع

القذر، وما أكثر زنا المحارم فى الكتاب المقدس، وبخاصة فى بيوت الأنبياء، فقد تظاهر ابنه بالمرض وأرسل إلى أخته أن تزوره فى غرفته وتطمئن عليه، وحين دخلت تطمئن عليه اغتصبها ولم يرحم تضرعاتها، ولم نسمع أن أباه الملك قد فعل له شيئا ولا قال لنا كاتب السفر المحترم كيف تصرفت الأسرة إزاء حمل البنت المسكينة من أخيها. ثم هل أتى سليمان بن داود بمعجزة؟ إنه، بدلا من هداية الناس، قد انحرف هو وعصى ربه، الذى كان قد نهاه نهيا قاطعا عن الزواج بالمشركات، فتزوج منهن وملأ قصوره بهن، ونصب لهن الأصنام فى تلك القصور وشاركهن عبادتها. الله أكبر! هكذا ينبغى أن تكون النبوات التى يرضى عنها المدعو: توما الأكوينى، ولا نخر، وإلا فلا. ولم يكتف بذلك بل أتى سليمانُكم هذا بـ"نشيد الإنشاد"، وما أدراكم ما نشيد الإنشاد؟ إنه لون وضيع من الكتابات البورنوجرافية تجعل من صاحبه رائدا لهذا الضرب من الأدب لا يشق له غبار!

سيقول لك المحروس توما: لكن يسوع جاء بمعجزات. عال جدا. تعال نتناقش. أولا: هل جعلت هذه المعجزات بنى إسرائيل يؤمنون؟ أبدا بل اتهموه هو وأمه فوق البيعة بأبشع ما يمكن تخيله

من تهم، ويكفى أنهم قرفوه بأن أمه بغىٌّ زنت به فجاء ابن حرام. والمصيبة أن كتبة العهد الجديد يكررون فى أسفارهم أنه ابن داود، وحين أوردوا سلسلة نسبه لم يذكروا مريم بين ذرية داود بل ذكروا يوسف النجار. ولما لم تكن مريم من ذرية داود ولم يكن يوسف قد تزوج قبل ولادة يسوع بمريم، فليس لهذه السلسلة النَّسَبِيَّة من أى معنى حاشا أن يسوع هو ابن يوسف، وإلا ما كان لتكنيته بـ"ابن داود" موضع من الصدق والواقع. وإذا كان الأمر كذلك، وهو لا يكون إلا كذلك، فيسوع هو ابن يوسف النجار من سفاح! نستغفر الله من جَرْى هذا الكفر على لساننا، لكنه مجرد كلام جدلى كان لا بد أن نقوله لتوما حتى يخرس ولا يتفوه بهذا البراز المنتن النجس الذى يتبرزه من فمه متصورا أنه سوف يصيب به دين التوحيد الوحيد. وهيهات!

وهذه سلسلة نسب يسوع كما وردت فى الإصحاح الأول من إنجيل متى: "١كِتَابُ مِيلاَدِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ ابْنِ دَاوُدَ ابْنِ إِبْراهِيمَ: ٢إِبْراهِيمُ وَلَدَ إِسْحاقَ. وَإِسْحاقُ وَلَدَ يَعْقُوبَ. وَيَعْقُوبُ وَلَدَ يَهُوذَا وَإِخْوَتَهُ. ٣وَيَهُوذَا وَلَدَ فَارِصَ وَزَارَحَ مِنْ ثَامَارَ. وَفَارِصُ وَلَدَ حَصْرُونَ. وَحَصْرُونُ وَلَدَ أَرَامَ. ٤وَأَرَامُ وَلَدَ عَمِّينَادَابَ.

وَعَمِّينَادَابُ وَلَدَ نَحْشُونَ. وَنَحْشُونُ وَلَدَ سَلْمُونَ. ٥وَسَلْمُونُ وَلَدَ بُوعَزَ مِنْ رَاحَابَ. وَبُوعَزُ وَلَدَ عُوبِيدَ مِنْ رَاعُوثَ. وَعُوبِيدُ وَلَدَ يَسَّى. ٦وَيَسَّى وَلَدَ دَاوُدَ الْمَلِكَ. وَدَاوُدُ الْمَلِكُ وَلَدَ سُلَيْمَانَ مِنَ الَّتِى لأُورِيَّا. ٧وَسُلَيْمَانُ وَلَدَ رَحَبْعَامَ. وَرَحَبْعَامُ وَلَدَ أَبِيَّا. وَأَبِيَّا وَلَدَ آسَا. ٨وَآسَا وَلَدَ يَهُوشَافَاطَ. وَيَهُوشَافَاطُ وَلَدَ يُورَامَ. وَيُورَامُ وَلَدَ عُزِّيَّا. ٩وَعُزِّيَّا وَلَدَ يُوثَامَ. وَيُوثَامُ وَلَدَ أَحَازَ. وَأَحَازُ وَلَدَ حَزَقِيَّا. ١٠وَحَزَقِيَّا وَلَدَ مَنَسَّى. وَمَنَسَّى وَلَدَ آمُونَ. وَآمُونُ وَلَدَ يُوشِيَّا. ١١وَيُوشِيَّا وَلَدَ يَكُنْيَا وَإِخْوَتَهُ عِنْدَ سَبْىِ بَابِلَ. ١٢وَبَعْدَ سَبْىِ بَابِلَ يَكُنْيَا وَلَدَ شَأَلْتِئِيلَ. وَشَأَلْتِئِيلُ وَلَدَ زَرُبَّابِلَ. ١٣وَزَرُبَّابِلُ وَلَدَ أَبِيهُودَ. وَأَبِيهُودُ وَلَدَ أَلِيَاقِيمَ. وَأَلِيَاقِيمُ وَلَدَ عَازُورَ. ١٤وَعَازُورُ وَلَدَ صَادُوقَ. وَصَادُوقُ وَلَدَ أَخِيمَ. وَأَخِيمُ وَلَدَ أَلِيُودَ. ١٥وَأَلِيُودُ وَلَدَ أَلِيعَازَرَ. وَأَلِيعَازَرُ وَلَدَ مَتَّانَ. وَمَتَّانُ وَلَدَ يَعْقُوبَ. ١٦وَيَعْقُوبُ وَلَدَ يُوسُفَ رَجُلَ مَرْيَمَ الَّتِى وُلِدَ مِنْهَا يَسُوعُ الَّذِى يُدْعَى الْمَسِيحَ".

وهو نفسه ما نجده فى إنجيل لوقا مع اختلاف حلقات النسب وترتيبها ووجود حلقات فى كل واحدة من السلسلتين لا توجد فى الأخرى، فوق أن لوقا يجعل رأس السلسلة، وهو آدم، ابنا لله بما يعنى أن ابن الله هو آدم لا المسيح. لكن السلسلتين مع ذلك

تتفقان فى أن انتساب يسوع إلى داود إنما يتم عن طريق يوسف لا مريم: "٢٣وَلَمَّا ابْتَدَأَ يَسُوعُ كَانَ لَهُ نَحْو ثَلاَثِينَ سَنَةً، وَهُوَ عَلَى مَا كَانَ يُظَنُّ ابْنَ يوسُفَ، بْنِ هَالِى، ٢٤بْنِ مَتْثَاتَ، بْنِ لاَوِى، بْنِ مَلْكِى، بْنِ يَنَّا، بْنِ يوسُفَ، ٢٥بْنِ مَتَّاثِيَا، بْنِ عَامُوصَ، بْنِ نَاحُومَ، بْنِ حَسْلِى، بْنِ نَجَّاى، ٢٦بْنِ مَآثَ، بْنِ مَتَّاثِيَا، بْنِ شِمْعِى، بْنِ يُوسُفَ، بْنِ يَهُوذَا، ٢٧بْنِ يُوحَنَّا، بْنِ رِيسَا، بْنِ زَرُبَّابِلَ، بْنِ شَأَلْتِيئِيلَ، بْنِ نِيرِى، ٢٨بْنِ مَلْكِى، بْنِ أَدِّى، بْنِ قُصَمَ، بْنِ أَلْمُودَامَ، بْنِ عِيرِ، ٢٩بْنِ يُوسِى، بْنِ أَلِيعَازَرَ، بْنِ يُورِيمَ، بْنِ مَتْثَاتَ، بْنِ لاَوِى، ٣٠بْنِ شِمْعُونَ، بْنِ يَهُوذَا، بْنِ يُوسُفَ، بْنِ يُونَانَ، بْنِ أَلِيَاقِيمَ، ٣١بْنِ مَلَيَا، بْنِ مَيْنَانَ، بْنِ مَتَّاثَا، بْنِ نَاثَانَ، بْنِ دَاوُدَ، ٣٢بْنِ يَسَّى، بْنِ عُوبِيدَ، بْنِ بُوعَزَ، بْنِ سَلْمُونَ، بْنِ نَحْشُونَ، ٣٣بْنِ عَمِّينَادَابَ، بْنِ أَرَامَ، بْنِ حَصْرُونَ، بْنِ فَارِصَ، بْنِ يَهُوذَا، ٣٤بْنِ يَعْقُوبَ، بْنِ إِسْحَاقَ، بْنِ إِبْرَاهِيمَ، بْنِ تَارَحَ، بْنِ نَاحُورَ، ٣٥بْنِ سَرُوجَ، بْنِ رَعُو، بْنِ فَالَجَ، بْنِ عَابَرَ، بْنِ شَالَحَ، ٣٦بْنِ قِينَانَ، بْنِ أَرْفَكْشَادَ، بْنِ سَامِ، بْنِ نُوحِ، بْنِ لاَمَكَ، ٣٧بْنِ مَتُوشَالَحَ، بْنِ أَخْنُوخَ، بْنِ يَارِدَ، بْنِ مَهْلَلْئِيلَ، بْنِ قِينَانَ، ٣٨بْنِ أَنُوشَ، بْنِ شِيتِ، بْنِ آدَمَ، ابْنِ اللهِ"".

ومرة أخرى لا يقف الأمر هنا حيث رأينا بنى إسرائيل لا يتأثرون بمعجزات يسوع وكأنها لم تكن، ولهذا لا غرابة أن نسمع يسوع ينعت تلاميذه كلهم ذات مرة بـ"يا قليلى الإيمان"، فضلا عن أن تلميذا من تلاميذه المقربين منه هو يهوذا قد خانه واتفق مع أعدائه على تسليمه لهم مقابل دراهم معدودات، كل ذلك رغم المعجزات التى رآها بأم عينيه. وحين أمسكوا بيسوع وأشارت امرأة لجنود الرومان إلى بطرس أقرب تلامذته إليه كى يقبضوا عليه أنكر هذا التلميذ أستاذه، وحين حاولوا القبض عليه وأمسكوا بثيابه خلعها وصار بلبوصا كسيد القمنى وطفق يعدو مبتعدا وهو ينكر أن تكون له صلة بيسوع.

وعن بطرس هذا نقرأ فى المادة المخصصة له من "دائرةالمعارف الكتابية" ما يلى: "أما الأحداث التى بدأت بأسبوع الالآم، فنعرف عنها الشيء الكثير لأنها مسجلة فى كل الأناجيل، وتكاد تكون بنفس الترتيب. وتبدأ بغسل السيد لرجليه فى ليلة الفصح الأخيرة، وقد أخطأ خطأين فى تلك المناسبة (يو ١٣/١- ١٠): أولهما اعتداده الجريء بنفسه وبشدة ولائه ومحبته لسيده، وتحذير سيده له من هجمة الشيطان القادمة عليه (لو ٢٢/ ٣١- ٣٤). وقد

تكرر ذلك مرتين قبل أن يُلْقَى القبض على الربّ فى البستان (مت ٣١/٢٦ ـ ٣٥)، ثم اصطحاب الربّ له مع ابنى زبدى لمشاهدة معاناة الرب فى جشسيمانى، وتنبيه الرب لهم أن يسهروا ويصلوا، وفشلهم فى ذلك حيث إنه كلما جاءهم وجدهم نياما (مت ٢٦/ ٣٦ـ ٤٦)، ثم تهوره فى قطع أذن ملخس (يو ١٨/ ١٠ـ ١٢)، ثم تخليه عن الرب وهو يقاد أسيرًا، وسيره وراء الموكب من بعيد، ودخوله إلى قصر رئيس الكهنة، ثم إنكاره له قدام الجميع، وتأييده ذلك الإنكار بقسمٍ ثم بلعنٍ وحَلِفٍ، ثم تذكره لتحذير الرب له عند صياح الديك. وعندما التفت الرب ونظر إلى بطرس خرج إلى خارج وبكى بكاء مرا (مت ٢٦/ ٥٦ـ ٢٨، مرقس ١٤/ ٦٦ـ ٧٢، لو ٢٢/ ٥٤ـ ٦٢، يوحنا ١٨/ ١٥ـ ٢٧)".

ومرة أخرى نسمع يسوع وهو فى جمع داخل بيت من البيوت وأتاه من يقول له إن أمه وإخوته خارج المنزل ويريدون أن يخرج لهم ليكلموه فى أمر ما، فكان جوابه أن أمه وإخوته هم من يؤمنون به ويتبعون شريعته، وهو ما يفهم منه أنه لا يعدهم من أتباعه. فهل نفعت المعجزات هنا؟ ولما صلب تخلى عنه كل من صنع المعجزات بسببهم، وإلا فأين اختفى مَنْ أقامهم بإذن الله من

الأموات؟ وأين اختفى مَنْ شفاهم بإذن الله من العمى؟ وأين اختفى من أبرأهم بإذن الله من البرص؟ وأين اختفى من أطعمهم سمكا وخبزا من السماء على شاطئ البحر؟

بل إنه هو نفسه قد انتابه الضعف ونسى ما وقع على يده من معجزات وآيات بل ونسى أنه ابن اله أو هو الرب كما هو مكتوب على غلاف الأناجيل، فلم يتجلد وهو على الصليب بل أخذ يجأر مرددا بصوت يقطع نياط القلوب: لم تركتنى يا إلهى؟ فانظر كيف لم تأت المعجزات بثمرة حتى ولا فى عقل يسوع ومشاعره وصاح وصرخ وجأر وزعق، ولم يبق إلا أن يلطم خدوده ويشق هدومه، ناسيا أنه، كما يقول أتباعه، إنما أتى ليكفّر عن البشر الخطيئة البشرية الأولى، خطيئة حواء وآدم، بالموت على الصليب. ولو كان للمعجزات نتيجة لظهرت هذه النتيجة هنا وثبت يسوع ثبات الأبطال المؤمنين الذين لا يهتز لهم يقين. لكن الوقائع تقول شيئا آخر تماما وتكذب توما الأكوينى تكذيبا يصكه فى أصل وجهه الذى لا يعرف الحياء.

ثم كم واحدا من بنى إسرائيل يا أكوينى شاهد معجزة يسوعك؟ عشرة مثلا؟ عشرون؟ مائة؟ مائتان؟ وإن كنت لا أظن أبدا أن عددهم قد بلغ هذا الرقم؟ فهل معجزة شاهدها مائتان تكون معجزة بالنسبة لمن لم يشاهد وقوعها من المعاصرين والتالين، وهم بالمليارات؟

ثم لماذا لم تُجْدِ تلك المعجزاتُ بشىء عند ظهور نبى جديد دان له العالم بدون معجزات كما تقولون، وهو محمد، حتى صار عدد التابعين له الآن مليارين، بما يعنى أن وقوع المعجزات لم تنفع يسوع، وغيابها لم يمنع نجاح النبى الجديد؟ ثم بم ينتفع من لم يروا معجزات يسوع أصلا؟ إنها بالنسبة لهم كأنها لم تكن، ولا قيمة لها بالتالى. أليس كذلك؟ بل هناك كثيرون جدا فى عصرنا يرون أن تلك المعجزات اليسوعية ليست سوى مجموعة من التمثيليات المتفق عليها بين يسوع ومن أجراها لهم أو بسببهم أو أمام أعينهم؟ بل إن كثيرا من الغربيين يقولون إنه كانت بينه وبين مريم المجدلية علاقة آثمة، ومنهم من قالوا إنه كان بينه وبين تلميذه فلان الفلانى شذوذ جنسى. أستغفر الله. ونحن نجله عليه السلام، لكن الجدل الذى فتحوا بابه يقتضى ذلك.

ثم أين كانت تلك المعجزات حين كان يسوع سائرا بين الحقول ومعه الجموع الذين يقول كتاب العهد الجديد إنهم كانوا يحيطون به وكأنهم لا شغلة لهم ولا مشغلة ولا ندرى من أين كانوا يحصلون ساعتئذ على الطعام، إذ إنه وإنهم حين قرص الجوع بطونهم قد هجموا على حقل من الحقول كالجراد المنتشر وأتوا على ما فيه سحتا وأثاما. فلم يا ترى لم يصنع يسوع لهم معجزة كلما حان وقت الطعام، وأعفاهم من التصرف كالتتار الذين يأتون فى طريقهم على الأخضر واليابس؟ وذلك لو كانت المعجزات حلا لحاجات البشر؟ أما نبى الإسلام فبدلا من أن يقول لمن يؤمنون به كما قال يسوع لأتباعه حسب رواية الكتاب المقدس: اتركوا أعمالكم وأهاليكم وبيوتكم وتعالوا معى، وحين يجوعون يقتحمون الحقول ويملأون بطونهم بالحرام كما كان يسوع يفعل فى تلك الظروف، كان نبينا ينهى أصحابه عن الجلوس فى المسجد والاعتماد على الآخرين فى توفير أسباب المعيشة لهم ويأمرهم بالانصراف إلى أعمالهم التى يرتزقون منها ويؤكد لهم أن العمل عبادة جزاؤها الكرامة فى الدنيا والجنة فى الآخرة بدلا من أن يأتى من يمد يده للغير، وقد اسود وجهه خزيا وعاراوشنارا يوم القيامة.

إن محمدا لا يأتى أتباعه بسمك جاهز ينزل عليه من السماء مرة ثم يتركهم بعد ذلك فى حيص بيص لا يعرفون ماذا يفعلون ولا كيف يتصرفون، بل يطالب محمد كلا منهم أن يشترى سنارة وأن يخرج للصيد ويأتى هو بنفسه لنفسه بالسمك ويشويه أو يقليه طبقا لما يحب ويأكله هنيئا مريئا. بالله عليكم أيهما أفضل: من يعمل معجزة مرة أم من يعلّم أتباعه كيف يعملون هم المعجزة الحقيقية كل يوم، معجزة السعى على المعاش والحصول على بركة الرب وحبه ورعايته فى الدنيا وفى الآخرة؟

فهذا عن المعجزات وقيمتها. وبالمناسبة فالأحاديث وكتب السيرة تذكر طائفة من المعجزات وقعت على يد النبى عليه الصلاة والسلام أمام أصحابه، وهى أكثر من معجزات يسوع، لكننا أردنا مجاراة الكذاب الأشر المدعو: توما الأكوينى ونبيّن أن تكذيبه بنبوة سيده وسيد أبيه وأمه والبشر جميعا هو تكذيب له هو نفسه وبرهان على خلل عقله ومنطقه وهشاشة ما قال فى هذا السبيل. والكتب التى روت المعجزات المحمدية هى أوثق مما كتبه مؤلفو الأناجيل. ذلك أن كتب المسلمين تذكر سلسلة الرواة منذ أول من شاهدها أو سمعها ممن شاهدها بالاسم واحدا بعد واحد، أما أناجيلكم فقد

كتبت من أمخاخ مؤلفيها مباشرة دون أن يَتَحَرَّوْا هم، أو من روى عنهم، الصدق فيما يروون. والواقع أنه لا فرق فى موضوع المعجزات بين يسوع ومحمد: فكلاهما قد رويت عنه معجزات لكنها لم تكن ردا على تحدى الكفار. القرآن قد أمر محمدا أن يقول للكفار لدن اقتراحهم المتعنت نزول آية عليه: "إنما الآيات عند الله"، ثم يلتفت إلى المسلمين موضحا لهم أن موقف الكفار إذا نزل ما يقترحونه من آيات سيظل هو هو: "وما يشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون؟". ويقول القرآن أيضا فى هذا الصدد: "وما منعَنا أنْ نرسل بالآيات إلا أَنْ كذَّب بها الأولون". فالرسول كان يأتى بالمعجزات من لدن ربه لأصحابه لا ردا على ما يطلبه الكفار على سبيل الاستفزاز، وإذا استفزه الكفار كان يرفض الاستجابة لهم. وهذا هو نفسه موقف يسوع، فهو لم يأت بمعجزة استجابة لاستفزاز الكفار بل عمل المعجزة أمام المؤمنين به تخفيفا عنهم ليس إلا. وهاكم الأناجيل الأربعة، فاقرأوها على أقل من مهلكم ولن تجدوا فيها شيئا يخالف ما نقول. أما رد يسوع على استفزاز كفار بنى إسرائيل فهو شتمهم ورميهم بالشر والفسق والتعنت.

جاء فى الإصحاح الثامن من إنجيل مرقس: "١١فَخَرَجَ الْفَرِّيسِيُّونَ وَابْتَدَأُوا يُحَاوِرُونَهُ طَالِبِينَ مِنْهُ آيَةً مِنَ السَّمَاءِ، لِكَى يُجَرِّبُوهُ. ١٢فَتَنَهَّدَ بِرُوحِهِ وَقَالَ:«لِمَاذَا يَطْلُبُ هذَا الْجِيلُ آيَةً؟ اَلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: لَنْ يُعْطَى هذَا الْجِيلُ آيَةً!»". و"الجيل" هنا هو الشعب أو الأمة.

وجاء فى الإصحاح الثانى عشر من ذات الإنجيل: "٣٨حِينَئِذٍ أَجَابَ قَوْمٌ مِنَ الْكَتَبَةِ وَالْفَرِّيسِيِّينَ قَائِلِينَ:«يَا مُعَلِّمُ، نُرِيدُ أَنْ نَرَى مِنْكَ آيَةً». ٣٩فَأَجابَ وَقَالَ لَهُمْ:«جِيلٌ شِرِّيرٌ وَفَاسِقٌ يَطْلُبُ آيَةً، وَلاَ تُعْطَى لَهُ آيَةٌ إِلاَّ آيَةَ يُونَانَ النَّبِى. ٤٠لأَنَّهُ كَمَا كَانَ يُونَانُ فِى بَطْنِ الْحُوتِ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ وَثَلاَثَ لَيَال، هكَذَا يَكُونُ ابْنُ الإِنْسَانِ فِى قَلْبِ الأَرْضِ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ وَثَلاَثَ لَيَال". وهو ما يقابل عندنا الرفض لاقتراح الكفار الإتيان بآية. أما آية البقاء فى القبر ثلاثة أيام بلياليها ثم القيامة والخروج منه فلم يكن ردا على المتعنتين عليه ولا هم شاهدوا هذا الأمر. وهو ما تكررت روايته فى الإصحاح السادس عشر من متى أيضا: "١وَجَاءَ إِلَيْهِ الْفَرِّيسِيُّونَ وَالصَّدُّوقِيُّونَ لِيُجَرِّبُوهُ، فَسَأَلُوهُ أَنْ يُرِيَهُمْ آيَةً مِنَ السَّمَاءِ. ٢فَأَجَابَ وَقَالَ لَهُمْ:«إِذَا كَانَ الْمَسَاءُ قُلْتُمْ: صَحْوٌ لأَنَّ السَّمَاءَ مُحْمَرَّةٌ. ٣وَفِى الصَّبَاحِ:

الْيَوْمَ شِتَاءٌ لأَنَّ السَّمَاءَ مُحْمَرَّةٌ بِعبُوسَةٍ.يَا مُرَاؤُونَ! تَعْرِفُونَ أَنْ تُمَيِّزُوا وَجْهَ السَّمَاءِ، وَأَمَّا عَلاَمَاتُ الأَزْمِنَةِ فَلاَ تَسْتَطِيعُونَ! ٤جِيلٌ شِرِّيرٌ فَاسِقٌ يَلْتَمِسُ آيَةً، وَلاَ تُعْطَى لَهُ آيَةٌ إِلاَّ آيَةَ يُونَانَ النَّبِيِّ». ثُمَّ تَرَكَهُمْ وَمَضَى".

بل إن تلاميذه الذين أتى أمامهم بعدد من المعجزات لم يقتنعوا ولم يشبعوا منها. ولنقرأ بعد النص السابق مباشرة: "٥وَلَمَّا جَاءَ تَلاَمِيذُهُ إِلَى الْعَبْرِ نَسُوا أَنْ يَأْخُذُوا خُبْزًا. ٦وَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ:«انْظُرُوا، وَتَحَرَّزُوا مِنْ خَمِيرِ الْفَرِّيسِيِّينَ وَالصَّدُّوقِيِّينَ». ٧فَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ قَائِلِينَ:«إِنَّنَا لَمْ نَأْخُذْ خُبْزًا». ٨فَعَلِمَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُمْ:«لِمَاذَا تُفَكِّرُونَ فِي أَنْفُسِكُمْ يَا قَلِيلِي الإِيمَانِ أَنَّكُمْ لَمْ تَأْخُذُوا خُبْزًا؟ ٩أَحَتَّى الآنَ لاَ تَفْهَمُونَ؟ وَلاَ تَذْكُرُونَ خَمْسَ خُبْزَاتِ الْخَمْسَةِ الآلاَفِ وَكَمْ قُفَّةً أَخَذْتُمْ؟ ١٠وَلاَ سَبْعَ خُبْزَاتِ الأَرْبَعَةِ الآلاَفِ وَكَمْ سَّلًا أَخَذْتُمْ؟".

ثم تعال يا أكويني يا حمار، وقل لنا: كم واحدا من بني إسرائيل شاهد معجزة يسوعك؟ عشرة مثلا؟ عشرون؟ مائة؟ مائتان؟ وإن كنت لا أظن أبدا أن عددهم قد بلغ هذا الرقم كما

قلت آنفا؟ فهل معجزةٌ شاهدها مائتان تكون معجزة بالنسبة للناس والأجيال التى لم تشاهد وقوعها؟ إنها بالنسبة إليهم شىء لا وجود له.

ولنفترض أن محمدا لم يأت بأية معجزة، فكيف صدّق بمعجزات من سبقوه من الأنبياء ولم ينكرها ويريح نفسه من تعنُّت المشركين ومطالبتهم له بالإتيان بهذه الآية أو تلك؟ لقد كان دهاؤه ولفه ودورانه قمينة بمنعه من التطرق إلى ذلك الموضوع لكى يغلق باب تعنت المشركين عليه فى وجوب الإتيان بآية، وكانت الحجة جاهزة على لسانه إذا قال: لم تكن هناك معجزات للأنبياء الماضين، ومن يقل غير هذا فليرنى واحدة منها. وطبعا لن يستطيع ذلك أحد لأن ما صار فى خبر "كان" لا يمكن أن يصير فى خبر "يكون" أو "سيكون"! لكنه لصدقه واستقامة ضميره واتصاله بربه وتلقيه الوحى منه أثبت المعجزات لزملائه الأنبياء الذين أتوا قبله، وفى ذات الوقت كان رده على متعنتى الكفار ممن يشترطون، على سبيل المماحكة، لإيمانهم برسالته أن يأتى لهم بمعجزة: "سبحان ربى! هل كنت إلا بشرا رسولا؟". ومع هذا فقد تضافرت الروايات على أنه عليه الصلاة والسلام قد أتى بطائفة من

المعجزات لأصحابه فى هذا الظرف أو ذاك. ونحن لا نقيم للمعجزات هذا الوزن الذى يتصوره المدعوّ: توما الأكوينى، ونرى أن الدين الذى كُلِّف محمد بتبليغه للناس ودعوتهم للإيمان به والدخول فيه هو دين العقل والتفكير وتشغيل الذهن والتأمل فى معجزات الخلق من حولهم فى كل مكان: فى السماء والنجوم والكواكب والسحاب والمطر والبحر والنهر والطيور والنباتات والحيوانات، وفى أنفسهم ذاتها قبل ذلك، وفى القوانين التى يجرى عليها كل شىء فى الكون دَقَّ هذا الشىءُ أو جَلَّ. وهذا عكس ما يدعيه الكذاب الأشر: توما الأكوينى على ما سوف نبينه حالا فيما يلى، وهو ما لا وجود له فى أى موضع من الأناجيل.

إن الأكوينى يزعم أن الإسلام لا يعتمد على إقناع العقل وتحريك الفكر. ولا أعرف حقا السبب فى دخوله هذا الركن الضيق. إن هذا يدل على أنه لا يتبصر ولا يقدر لرجله قبل الخطو موضعها. ذلك أن القرآن الكريم، على عكس الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد، مترع بمخاطبة العقل ودعوة البشر إلى استخدامه وتحذيرهم من إهماله والاعتماد بدلا منه على مماشاة العادات والتقاليد والعقائد والأخلاق السائدة فى المجتمع مهما

كانت ضارة ومؤذية ومنحطة ومتخلفة ومناهضة للعقل والمنطق والإنسانية الراقية الكريمة. وآيات القرآن فى ذلك كثيرة كثرة هائلة. ويقابل قارئُه كثيرا جدا عباراتٍ مثل "لعلهم يتفكرون، لعلهم يتذكرون، لعلهم يفقهون، لعلهم يعلمون، لعلهم يَرْشُدون". وهو يذكر دائما الفؤاد، الذى يعنى به العقل وما هو أكبر من العقل. وهو يدعو الناس إلى استخدام السمع والبصر والفؤاد ويتوعد من يهمل ذلك توعدا شديدا، ويأمرهم إذا سمعوا خبرا شائعا بين الناس ألا يرددوه ما لم يتحققوا من صحته، وألا يكون الواحد منهم إمعة لا رأى ولا شخصية له بل كائنا هلاميا يميل مع التيار حيث مال دون أن يعمل عقله ليعرف أين هو سائر وماذا ينتظره فى الطريق. وهو أيضا يعلى من شأن العلم والعلماء ويضعهم فى مرتبة أرقى من غيرهم، ويطالب من يَكْفُر بالدليل على ما يقول: "اِئْتُونِى بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ"، "قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ"، "هَلْ يَسْتَوِى الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ"، "... يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ"، "وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ

وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ"، "وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ"، "اقْرَأْ باسْمِ رَبِّكَ الذى خَلَقَ * خَلَقَ الإنْسانَ مِن عَلَقٍ * اقْرَأْ ورَبُّكَ الأَكْرَمُ الذى عَلَّمَ بالقَلَمِ * عَلَّمَ الإنْسانَ ما لَمْ يَعْلَمْ".

وفى الأحاديث نسمع رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم يؤكد أن العالم أفضل من العابد كما يَفْضُل البدر الكواكب، وأن العلماء ورثة الأنبياء، وأن طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة. وهذا الحديث الأخير قد شَدَهَ البروفيسير ستيفن، الذى يقول تعليقا عليه إن النبى محمدا قد سبق الحضارة الحديثة نفسها، إذ أقصى ما بلغته هذه الحضارة هو القول بأن العلم حق لكل مواطن، وهو ما يمكن أن يهمله كثير من الناس لأن صاحب الحق من حقه أن يهمل تحصيل هذا الحق، أما النبى محمد فجعل طلب العلم فريضة يحاسب كل منا على إهمالها لو أهملها. ومن أحاديث الرسول عليه السلام: "إنَّ مِن أشْراطِ السّاعَةِ: أنْ يُرْفَعَ العِلْمُ ويَثْبُتَ الجَهْلُ، ويُشْرَبَ الخَمْرُ، ويَظْهَرَ الزِّنا". فانظر كيف ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم

الجهل قبل الخمر والزنا تعرف كيف يُحِلّ الإسلامُ العلمَ فى مكانة سامقة. وانظر كذلك فى الحديث التالى الذى يبشر فيه رسول الله من يعلّم جاريته... بالجنة: "إذا أَدَّبَ الرَّجُلُ أَمَتَهُ فأحْسَنَ تَأْدِيبَهَا، وَعَلَّمَها فأحْسَنَ تَعْلِيمَها، ثُمَّ أَعْتَقَها فَتَزَوَّجَها كانَ له أَجْرانِ". وفى الحديث النبوى كذلك: "لا حسدَ إلّا فى اثنتينِ رجلٍ آتاهُ اللَّهُ مالًا فصرفَهُ فى سبيلِ الخيرِ ورجُلٍ آتاهُ اللَّهُ عِلمًا فعلَّمَه وعملَ بِهِ"، "مَن سَلَكَ طَرِيقًا يلْتَمِسُ فيه عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ له به طَرِيقًا إلى الجَنَّةِ"، "مَن طلَب علمًا فأدرَكه كتَب اللهُ له كِفْلينِ من الأجرِ، ومَن طلَب علمًا فلم يُدرِكْه كتَب اللهُ له كِفلًا من الأجرِ"، "العلماءُ مَصابيحُ الأرضِ"، "إنَّ الملائكةَ لتضعُ أجنحتَها رِضًى لطالبِ العلمِ وإنَّ العالِمَ ليستغفرُ لَه مَن فى السَّماواتِ ومن فى الأرضِ والحيتانُ فى جوفِ الماءِ".

فهل فى الأناجيل بل هل فى العهد الجديد بل هل فى الكتاب المقدس كله من ألفه ليائه شيء كهذا أو كمعشار هذا أو كعشر معشار هذا؟ هيا أرنا يا غبى! ثم أَنَّى لك الحديث عن الدين الموافق للعقل وأنت تعبد بشرا مثلك؟ يا أكوينى، لقد فقت الحمير والخنزير والبقر والجاموس فى انحطاط عقلك وتهافت تفكيرك، فهذه

الحيوانات بل كل الحيوانات جميعا لا تعبد واحدا منها؟ ترى هل رأيت حيوانا يركع أو يسجد أو يبتهل قائلا: أبانا الذى فى السماوات... لحمنا/ تبننا/ فولنا/ برسيمنا كفافنا أعطنا اليوم؟ لم يحدث ولن يحدث، أما أنت فتعتدّه دينا. كل أكوينى بعقله الترللى معجب! ولو أتيته بمليار عقل غير عقله ما رضى إلا بعقله الزنخ! وهل تظن أننا نجهل أن إيمانكم لا علاقة له بالعقل أن شعاركم هو "آمِنْ ولا تسأل".

ولا يتوقف الأمر فى الإسلام وتشغيل العقل والاستناد للمنطق فى دعوة نبينا عند هذه النقطة، إذ كان القرآن والرسول عليه السلام يعتمدان فى دعوة المشركين على الدليل الاجتماعى والأخلاقى، فكانا يسألانهم: ألستم تعرفون هذا النبى وتعرفون شخصيته وأخلاقه وعلاقاته بكم؟ فهل جربتم عليه كذبا؟ هل تشكون فى عقله؟ هل يطلب منكم أجرا على دعوته؟ لم لا تذهبون فتسألون أهل الكتاب عما جاء به محمد، ولسوف يخبرونكم بأنه هو النبى الذى بشرت به التوراة والإنجيل؟ ولقد كان محمد يقول لهم على لسان ربه: إن كنت قد افتريت على الله الكذب يمينا ليعاقبنِّى عقابا صاعقا دون أن أملك لنفسى أو يملك غيرى لى شيئا؟ ورغم

ذلك لم ينزل به أى عقاب بالغا ما بلغت تفاهته. فما دلالة هذا؟ ترى كيف تركه ربكم يسوع يتنبأ بالكذب ولم يعاجله بعقاب يقضى عليه، وبخاصة أنه نفى عن يسوع الربوبية والموت على الصليب تكفيرا عن الخطيئة الأولى؟ الغريب العجيب أن توما الأكوينى الذى يزعم كذب نبينا عليه السلام بسبب عدم مجيئه بالمعجزات يتهمه بأنه لم يكن يعتمد على العقل فى دعوته. الواقع أن الذى يستبعد العقل فى دعوته هو من يستند فى مخاطبة الخصوم على المعجزات ليس إلا كما هو الحال فى أمر يسوع.

والموكوس توما الأكوينى يزعم أن النبى إنما اعتمد فى جذب الناس لدينه على وعوده لهم بالشهوات الجسدية مستشهدا بالآية الرابعة والعشرين من سورة "النساء": "وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكُمْ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا". وقد ترجمها الشخص النصرانى الذى بث هذا الكلام فى موقع "دفاعيات مسيحية" على اليوتيوب كما يلى: "وحُرِّم عليكم أن تنكحوا المتحاربات إلا ما

ملكت أيمانكم"، قائلا إن هذه الآية تبيح للمسلمين أن يمارسوا الجنس مع النساء الأسيرات (أو السبايا). وهذا يبين لنا أن النبى محمدا استغل الرغبات الجسدية فى نشر دينه. ثم يمضى المذيع النصرانى قائلا إن النبى، حسب حديث موجود فى "سنن أبى داود"، أرسل حملة عسكرية على الطائف، وهى غزوة حنين، وأسر المسلمون عددا من نساء الأعداء، فطلب المسلمون المحاربون من النبي أن يسمح لهم بإقامة علاقات جنسية، فنزلت هذه الآية تحلل لهم ذلك.

والكذاب توما الأكوينى يتجاهل ويتناسى أن هذه الآية لم تنزل إلا بعد سنوت طوال من بداية الدعوة المحمدية منها ١٣ سنة فى مكة لم يكن فيها قتال ولا سبايا بل كان المسلمون هم الذين يُتَخَطَّفون ويُعْتَدَى عليهم، فيا ترى كيف دخل الناس الدين الجديد قبل تلويح القرآن لهم بهذا الحافز؟ ثم إنهم بعد هجرتهم إلى المدينة لم يدخلوا غزوة حنين إلا فى العالم الثامن من الهجرة. أى أن الإسلام انتشر فى كثير من بلاد العرب قبل نزول الآية المذكورة. فكيف يعلل توما الأكوينى، كواه الله على لسانه ويده فى نار جهنم، انتشار الإسلام دون تلك المكافأة النسائية؟ وهل يا

متخلف كان على الرسول ليستخفى بالدعوة ويتعرض للأذى والإساءات وتُشَنّ عليه الحروب وتُدَبَّر له المؤامرات ويقف المجتمع العربى كله ضده وضد دينه لو كان يدعو الناس إلى الاستمتاع ببلاش بالنساء؟ هل إشباع الغريزة الجنسية بحاجة إلى إغراء البشر فى مجتمع وثنى كالمجتمع العربى؟ هذا حمار لا يفهم. ولو لم يكن حمارا أكان يتحاز لعبادة البشر ضد عبادة الواحد الأحد؟ ثم يقولون إنه فيلسوف!

وهذا هو الحديث الشريف، وهو من رواية أبى سعيد الخدرى، ونصه "أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ بعث يوم حنين بعثا إلى أوطاس، فلَقُوا عدوهم فقاتلوهم فظهروا عليهم وأصابوا لهم سبايا، فكأن أناسا من أصحاب رسول اللهِ ﷺ تحرجوا من غشيانهن من أجل أزواجهن من المشركين، فأنزل الله تعالى فى ذلك "والمحصنات من النساء إلا ما ملكت أيمانكم"، أى فهن لهم حلال إذا انقضت عدتهن".

ومنه يتبين أن البعث الذى بعثه رسول الله قد انطلق يوم حنين إلى أوطاس لا أنه انطلق إلى حنين كما قال مذيع الفيديو.

كما أن المسلمين المحاربين لم يطلبوا من الرسول أن يحل لهم ممارسة الجنس مع السبايا حسبما زعم توما الأكوينى الكذاب المتخلف طبقا لكلام المذيع النصرانى فى الفيديو بل تحرجوا أن يأخذوهن ليكنّ لهم كالأزواج بعد انقضاء عدة كل منهن. كذلك فالقرآن يقول: "والمحصنات" لا "المتحاربات". وواضح أن تفسير الآية بهذا الشكل يدل على جهل شنيع وأن المتصدى للحديث فى هذا الموضوع غبي ومتهور ولا يعرف حجم نفسه بل يعرضها من البلاء لما لا تطيق. ومعنى "والمحصنات من النساء" أنه يحرم على المسلم أن يتزوج امرأة على ذمة رجل آخر، اللهم إلا إذا سبيت فى الحرب، فهى حلال لمن سباها بعد أن تعتد العدة. والجيوش الغربية الآن تغتصب النساء اغتصابا فينتشر الزنا والفجور وتتفسخ الأخلاق. والمنتصر فى الحرب يأخذ كثيرا من ممتلكات المنهزم، الذى شنها ظلما وعدوانا ودون وجه حق. أما اختصاص سابيها بها فلوضع حد للممارسات الجنسية المنفلتة العيار مع نساء العدو دون أى نظام أو تشريع. والحروب طوال التاريخ كانت تقوم فى هذا الجانب على قذارة سلوك المتحاربين الجنسى واغتصاب النساء. ولن نذهب بعيدا، فما صنعه الصرب المجرمون الأدناس بنساء

المسلمين فى البوسنة والهرسك معروف للجميع، فقد اغتصبوا عشرات الآلاف من النساء والفتيات فى البوسنة والهرسك. وكانت الحروب قديما تقوم على قاعدة استرقاق نساء الأعداء ونكاحهن دون وجود قواعد تشريعية تنظمه بل تبعا لهوى المنتصرين وشهواتهم الجامحة ورغبتهم الإبليسية فى تدمير كل شىء وكل قيمة وكل كرامة إنسانية. أما الإسلام فقد وضع تشريعات تصون هذا الاختلاط الجنسى من العوامل التى تتولد عنها الثمار العفنة الحتمية الحدوث كنتيجة لذلك الانحراف والعدوان.

وفى شرح الحديث كما جاء فى موقع "الدرر السنية" نقرأ ما نصه: "لقدْ نظَّم الشَّرعُ أحكامَ الدِّينِ فى السِّلْمِ والحربِ، ولمَّا كانت الحربُ يَنتُجُ عنها أَسْرى مِن رِجالِ العدُوِّ وسَبايا مِن نسائِهم فقدْ أوضَحَ القرآنُ والسُّنةُ أحكامَ هؤلاء، فحرَّم وَطْءَ السَّبايا الحواملِ وذَواتِ الأزواجِ حتَّى تَضَعَ الحواملُ حمْلَهنَّ، وحتَّى تَثبُتَ بَراءةُ غيرِ الحاملِ مِن الحمْلِ بالحيْضِ. وفى هذا الحَديثِ يُخبِرُ أبو سعيدٍ الخُدرى رَضِى اللهُ عنه أنَّ رَسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم فى غزوةِ حُنَيْنٍ، التى وقَعَت فى السَّنةِ الثَّامنةِ مِن الهجرةِ عَقِبَ فتْحِ مكَّةَ، بينْ المسلمينَ وأهلِ الطَّائفِ مِن قَبيلتَى هَوازِنَ وثَقيفَ، فى

وادٍ يُسمَّى: حُنَيْنًا بيْن مَدينةِ مكَّةَ والطَّائفِ، وكان الكفَّارُ قد خَرَجوا بأموالِهم ونسائِهم وأطفالِهم، وبعْدَ هَزيمةِ هَوازنَ وثَقيف ونصْرِ اللهِ لنَبيِّه وللمسلمين انسَحَبَ الفارُّونَ مِن الكفَّارِ إلى وادى أوطاسٍ، وهو قَريبٌ مِن حُنَيْنٍ، فبَعَثَ النَّبى صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ إليهم جَيْشًا إلى أَوطاسٍ، فلَقُوا عَدوًّا منَ الكُفَّارِ، فقاتَلوهم فظَهَروا عليهم وغَلبوهم، وكان مِن غَنائمِهم سَبَايَا مِن نِساءِ المشركين، فجَعَل بعضٌ مِن أصحابِ رَسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم يَتحرَّجون (والتَّحرُّجُ هو الخوفُ مِن مُواقَعةِ الإثمِ) مِن "غِشْيانِهنَّ"، أى: مُعاشرتِهنَّ وجِماعِهنَّ؛ وذلك مِن أجلِ أنَّهنَّ زَوجاتٌ، والمُزَوَّجةُ لا تَحِلُّ لغيرِ زَوجِها. فقدْ ظَنُّوا أنَّ نِكاحَ أزواجِهنَّ لم تنقطعْ عِصْمتُه، فأَنزَلَ اللهُ تَعالى فى شأنِ بَيانِ وَطْءِ مَن تَحرَّجوا فيهنَّ: "وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ" (النساء/ ٢٤)، أى حُرِّم عليكم نِكاحُ المحصَناتِ (والمرادُ بالمُحصَناتِ هنا المُزَوَّجاتُ) إلَّا ما ملَكْتُم بالسَّبيِ؛ فإنَّه يَنفسِخُ نِكاحُ أزواجِهنَّ الكفَّارِ، ويَحْلِلْنَ لكم بعْدَ استِبراءِ أَرحامِهنَّ مِن ماءِ الزَّوجِ الكافرِ: إمَّا بوضْعِ الحملِ إذا كانت حاملًا، أو بحَيضةٍ واحدةٍ إنْ لم تكُنْ مِن ذَواتِ الحمْلِ. وفى الحَديثِ أنَّ نِكاحَ المشركين يَنْفَسِخُ إذا

سُبِيَت زَوجاتُهم لدُخولِها فى ملْكِ سابِيها. وفيه دَلالةٌ على تَوقُّفِ الإنسانِ وبَحْثِه وسُؤالِه عمَّا لا يَتحقَّقُ وَجْهُه ولا حُكْمُه، وهو دأْبُ مَن يَخافُ اللهَ عزَّ وجلَّ".

وكقاعدة عامة فالإسلام لا يقف مع الرق بل يعمل فى الأصل ضده. وهو أول من يعمل للقضاء على هذا النظام لو توفرت فرص لإلغائه. كذلك لو كان المسلمون الأوائل يلتحقون بالغزو من أجل النساء والفوز باللذة الجنسية فى أحضانهن لما رأينا حرصهم على الشهادة فى سبيل الله لأن إشباع الشهوات الجسدية يتعارض مع ذلك الحرص، إذ المشغول بشهواته لا يمكنه التضحية بحياته لأن الشهوة قرينة الحرص على الحياة والتمسك بها ولا يستطيع صاحبها الزهد فى الدنيا وأطايبها. كما أنه من غير المفهوم أن يقوم الإسلام فى انتشاره على التسيب الجنسى فى الحرب، وفى ذات الوقت يتشدد مع الغريزة الجنسية كل ذلك التشدد الذى نعرفه إزاء تلك الشهوة حتى ليضع لإشباعها خارج مؤسسة الزواج حدا باهظا مؤلما مخجلا فاضحا هو حد الزنا. وإضافة إلى هذا لم يكن المسلمون الأوائل ليكونوا على هذه الدرجة من العفة الجنسية

المتقشفة لو كان التسيب هو عنوان الحروب فيه على النحو الذى يصوره توما الأكوينى.

ويظهر هذا الأمر على حقيقته حين نقارن بين موقف كل من النصرانية والإسلام من الزنا: فبينما نجد أقصى ما يمكن أن يكون رد الفعل تجاه الزنا فى النصرانية هو رد يسوع على اليهود حين أتوه بامرأة خاطئة يريدون منه إيقاع عقوبة الزنا عليها، إذ أدار نظره فيهم وفيها لثوان قبل أن يقول لهم: من كان منكم بلا خطيئة فليرمها أولا بحجر، ثم طلب منها النهوض والانصراف دون إنزال أى عقاب بها مهما كان، وبين العقوبة التى يخصصها الإسلام فى هذه الحالة للزانيين حتى لو قلنا إنها تنحصر فى كل الحالات على جلدهما مائة جلدة على مرأى ومسمع من الناس، وهو ما يمثل فضيحة اجتماعية من العيار الثقيل. صحيح أن هناك حديثا يوصى بالستر على مجترحى جريمة الزنا، لكن ذلك إنما يكون قبل مسارعة الشهود إلى القاضى لينبئوه بما كان. لكن ما دام الأمر قد وصل إلى الحاكم فلا مناص من التحقيق وإيقاع العقاب على مرتكبى ذلك الإثم. ومع وضوح الفرق الواسع بين تشدد الإسلام هنا وبين ترك النصرانية ذلك الذنب دون أن تضع له عقابا فها هو ذا

توما الأكوينى المنافق يكتب دون خجل أن الإسلام يتخذ من التسيب الجنسى عاملا من عوامل نشر الإسلام.

وأخيرا وليس آخرا ماذا يقول الكتاب المقدس فى هذه القضية؟ تعالوا نقرأ: "١٠«إِذَا خَرَجْتَ لِمُحَارَبَةِ أَعْدَائِكَ وَدَفَعَهُمُ الرَّبُّ إِلهُكَ إِلَى يَدِكَ، وَسَبَيْتَ مِنْهُمْ سَبْيًا، ١١وَرَأَيْتَ فِي السَّبْيِ امْرَأَةً جَمِيلَةَ الصُّورَةِ، وَالْتَصَقْتَ بِهَا وَاتَّخَذْتَهَا لَكَ زَوْجَةً، ١٢فَحِينَ تُدْخِلُهَا إِلَى بَيْتِكَ تَحْلِقُ رَأْسَهَا وَتُقَلِّمُ أَظْفَارَهَا ١٣وَتَنْزِعُ ثِيَابَ سَبْيِهَا عَنْهَا، وَتَقْعُدُ فِي بَيْتِكَ وَتَبْكِي أَبَاهَا وَأُمَّهَا شَهْرًا مِنَ الزَّمَانِ، ثُمَّ بَعْدَ ذلِكَ تَدْخُلُ عَلَيْهَا وَتَتَزَوَّجُ بِهَا، فَتَكُونُ لَكَ زَوْجَةً. ١٤وَإِنْ لَمْ تُسَرَّ بِهَا" (سفر التثنية/ ٢٣). فانظر كيف تعامَل الأسيرة فى هذا التشريع. إن آسرها لا بد أن يحلق لها شعرها ويقلم لها أظفارها. أى عليه أن يجردها مما تتباهى به النساء: الشعر الوحف الجميل، والأظافر الملونة. وهذا التشويه والعقاب لا مكان لهما فى التشريع الإسلامى. أما نياحتها على أبيها وأمها شهرا فليس هذا تشريعنا، إذ عليها فى تلك الحالة أن تعتد بحيضة. فإن كانت حاملا لم يقربها حتى تضع حملها. أما فى سفر "التثنية" فلا مبالاة بذلك كما هو

واضح، ومعناه أن اليهودى سينال سَبِيَّتَه حاملا كانت أو غير حامل. فماذا يقول فى ذلك فيلسوف الجهل والعار توما الأكوينى؟

وعلى نفس الشاكلة هاجم توما الأكوينى النبى محمدا صلى الله عليه وسلم بأنه خلط الأساطير بالحقائق، وأن الدروس التى يقدمها محمد يستطيع أن يتوصل إليها أى رجل عادى بقدراته الطبيعية دون مساعدة من أحد. ثم أعطانا الأكوينى مثالا على الأساطير والعقائد الكاذبة التى مزجها محمد مع الحقائق، وهى ما جاء فى الآية ١١٠ من سورة "المائدة" أن عيسى صنع من الطين هيئة طائر ثم نفخ فيه فتحول إلى طير بإذن الله. فهذه القصة لا وجود لها فى الأناجيل التى تعترف بها الكنيسة بل فى إنجيل آخر ترفضه اسمه: "إنجيل الطفولية". وهذه هى الآية محل الشاهد: "إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي. ..".

وهذا هو النص المومأ إليه فى ذلك الإنجيل: "وعندما أتمَّ يسوع عامه السابع، كان يلعب يومًا مع أطفال آخرين من عمره، وكانوا يتسلَّوْن ويصنعون من التراب المبلول صور حيوانات متنوّعة: ذئابًا وحميرًا وطيورًا، وكان كلٌّ واحد متباهيًا بعمله، ويجتهد لرفعه فوق مستوى عمل رفاقه. عندها قال يسوع: إننى آمر الصور التى صنعتها بالسير، فتمشى. ولما سأله الأطفال عما إن كان هو ابن الخالق أمر الربّ يسوعُ الصورَ بالسير، فتقدّمت على الفور. وحين كان يأمرها بالعودة كانت تعود. وقد صنع صور طيور وعصافير دُورِى كانت تطير حين يأمرها بالطيران وتتوقّف حين يقول لها أن تتوقَّف، وحين كان يقّدم لها شرابًا وطعامًا كانت تأكل وتشرب. وحين غادر الأطفال ورَوَوْا لأهلهم ما رَأَوْا قال لهم هؤلاء: ابتعدوا من الآن فصاعدًا عن مجلسه، فهو ساحر، وكفوا عن اللعب معه".

والواقع أن الأناجيل التى كتبها النصارى بعد رفع عيسى عليه السلام إلى السماء كثيرة بالعشرات، وهى تشبه السيرة النبوية عندنا لكنها أقل وثاقة منها لأن السير النبوية تعتمد أسلوب الإسناد ولأن كتابها معروفون بخلاف كتبة الأناجيل، الذين يثار

بسببهم جدل كبير وكثير لا ينتهى. ثم بعد وقت طويل جدا اختارت الكنيسة أربعة أناجيل من هذه العشرات، ولكن دون أن يكون هناك معيار للاختيار. كما أن هذه الأناجيل الأربعة تختلف فيما بينها اختلافا شديدا بل يختلف الإنجيل الواحد فى الموضوع الواحد اختلافا كبيرا لا يمكن رتقه. زد على ذلك أن هذه الأناجيل ليست هى كلام المسيح، بل يمثل كل منها سيرة يسوعية كما تحكى السير النبوية لدينا حياة النبي محمد من لدن طفولته حتى مماته مازجة الأحداث والوصف والحوار بعدد من كلامه صلى الله عليه وسلم كلما كان هناك موضع لذلك. وعلى هذا فلا يصح المقارنة بين القرآن والأناجيل إلا إذا صح أن نقيم مقارنة بين القرآن وكتب السيرة النبوية. أما المقارنة فيمكن أن تتم بين القرآن الكريم والإنجيل الشريف الذى نزل على عيسى عليه السلام... إن وُجِد. لكنه للأسف غير موجود بعد فى أيدينا. وحين نقول إنه كان هناك إنجيل سماوى نزل من عند الله على عيسى عليه السلام لا نقوله من عندياتنا بل استنادا إلى ما جاء فى الإصحاح الأول من الإنجيل الذى ألفه مرقس حين كتب: "١٥وَيَقُولُ (أى المسيح عليه السلام): «قَدْ كَمَلَ الزَّمَانُ وَاقْتَرَبَ مَلَكُوتُ اللهِ،

فَتُوبُوا وَآمِنُوا بِالإِنْجِيلِ»"، وفى الإصحاح الثالث عشر من نفس الإنجيل وعلى لسان عيسى عليه السلام أيضا: "١٠وَيَنْبَغِي أَنْ يُكْرَزَ أَوَّلًا بِالإِنْجِيلِ فِي جَمِيعِ الأُمَمِ"، وفى الإصحاح السادس عشر منه هو ذاته: "١٥وَقَالَ لَهُمُ: اذْهَبُوا إِلَى الْعَالَمِ أَجْمَعَ وَاكْرِزُوا بِالإِنْجِيلِ لِلْخَلِيقَةِ كُلِّهَا". فنحن إنما نعتمد على ما فى أيديهم لا على ما يقوله قرآننا.

ولسوف أعطيكم الآن مثالا من كل تناقض فى الأناجيل التى اختارتها الكنيسة وأعلنت رضاها عنها، وإن لم تذكر لنا السبب فى ذلك الاختيار والرضا. وهذا مثال على تناقض الإنجيل الواحد مع نفسه. ففى الإصحاح الخامس من إنجيل متى نقرأ ما يلى: "١٧«لاَ تَظُنُّوا أَنِّي جِئْتُ لأَنْقُضَ النَّامُوسَ أَوِ الأَنْبِيَاءَ. مَا جِئْتُ لأَنْقُضَ بَلْ لأُكَمِّلَ. ١٨فَإِنِّي الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِلَى أَنْ تَزُولَ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ لاَ يَزُولُ حَرْفٌ وَاحِدٌ أَوْ نُقْطَةٌ وَاحِدَةٌ مِنَ النَّامُوسِ حَتَّى يَكُونَ الْكُلُّ. ١٩فَمَنْ نَقَضَ إِحْدَى هذِهِ الْوَصَايَا الصُّغْرَى وَعَلَّمَ النَّاسَ هكَذَا، يُدْعَى أَصْغَرَ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ. وَأَمَّا مَنْ عَمِلَ وَعَلَّمَ، فَهذَا يُدْعَى عَظِيمًا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ. ٢٠فَإِنِّي

أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّكُمْ إِنْ لَمْ يَزِدْ بِرُّكُمْ عَلَى الْكَتَبَةِ وَالْفَرِّيسِيِّينَ لَنْ تَدْخُلُوا مَلَكُوتَ السَّماوَاتِ.

٢١«قَدْ سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ لِلْقُدَمَاءِ: لاَ تَقْتُلْ، وَمَنْ قَتَلَ يَكُونُ مُسْتَوْجِبَ الْحُكْمِ. ٢٢وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ كُلَّ مَنْ يَغْضَبُ عَلَى أَخِيهِ بَاطِلاً يَكُونُ مُسْتَوْجِبَ الْحُكْمِ، وَمَنْ قَالَ لأَخِيهِ: رَقَا، يَكُونُ مُسْتَوْجِبَ الْمَجْمَعِ، وَمَنْ قَالَ: يَا أَحْمَقُ، يَكُونُ مُسْتَوْجِبَ نَارِ جَهَنَّمَ. ٢٣فَإِنْ قَدَّمْتَ قُرْبَانَكَ إِلَى الْمَذْبَحِ، وَهُنَاكَ تَذَكَّرْتَ أَنَّ لأَخِيكَ شَيْئًا عَلَيْكَ، ٢٤فَاتْرُكْ هُنَاكَ قُرْبَانَكَ قُدَّامَ الْمَذْبَحِ، وَاذْهَبْ أَوَّلاً اصْطَلِحْ مَعَ أَخِيكَ، وَحِينَئِذٍ تَعَالَ وَقَدِّمْ قُرْبَانَكَ. ٢٥كُنْ مُرَاضِيًا لِخَصْمِكَ سَرِيعًا مَا دُمْتَ مَعَهُ فِي الطَّرِيقِ، لِئَلاَّ يُسَلِّمَكَ الْخَصْمُ إِلَى الْقَاضِي، وَيُسَلِّمَكَ الْقَاضِي إِلَى الشُّرَطِيِّ، فَتُلْقَى فِي السِّجْنِ. ٢٦اَلْحَقَّ أَقُولُ لَكَ: لاَ تَخْرُجُ مِنْ هُنَاكَ حَتَّى تُوفِيَ الْفَلْسَ الأَخِيرَ!

٢٧«قَدْ سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ لِلْقُدَمَاءِ: لاَ تَزْنِ. ٢٨وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ كُلَّ مَنْ يَنْظُرُ إِلَى امْرَأَةٍ لِيَشْتَهِيَهَا، فَقَدْ زَنَى بِهَا فِي قَلْبِهِ. ٢٩فَإِنْ كَانَتْ عَيْنُكَ الْيُمْنَى تُعْثِرُكَ فَاقْلَعْهَا وَأَلْقِهَا عَنْكَ، لأَنَّهُ خَيْرٌ

لَكَ أَنْ يَهْلِكَ أَحَدُ أَعْضَائِكَ وَلاَ يُلْقَى جَسَدُكَ كُلُّهُ فِي جَهَنَّمَ. ٣٠وَإِنْ كَانَتْ يَدُكَ الْيُمْنَى تُعْثِرُكَ فَاقْطَعْهَا وَأَلْقِهَا عَنْكَ، لأَنَّهُ خَيْرٌ لَكَ أَنْ يَهْلِكَ أَحَدُ أَعْضَائِكَ وَلاَ يُلْقَى جَسَدُكَ كُلُّهُ فِي جَهَنَّمَ.

٣١«وَقِيلَ: مَنْ طَلَّقَ امْرَأَتَهُ فَلْيُعْطِهَا كِتَابَ طَلاَق. ٣٢وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ مَنْ طَلَّقَ امْرَأَتَهُ إِلاَّ لِعِلَّةِ الزِّنَى يَجْعَلُهَا تَزْنِي، وَمَنْ يَتَزَوَّجُ مُطَلَّقَةً فَإِنَّهُ يَزْنِي.

٣٣«أَيْضًا سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ لِلْقُدَمَاءِ: لاَ تَحْنَثْ، بَلْ أَوْفِ لِلرَّبِّ أَقْسَامَكَ. ٣٤وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: لاَ تَحْلِفُوا الْبَتَّةَ، لاَ بِالسَّمَاءِ لأَنَّهَا كُرْسِيُّ اللهِ، ٣٥وَلاَ بِالأَرْضِ لأَنَّهَا مَوْطِئُ قَدَمَيْهِ، وَلاَ بِأُورُشَلِيمَ لأَنَّهَا مَدِينَةُ الْمَلِكِ الْعَظِيمِ. ٣٦وَلاَ تَحْلِفْ بِرَأْسِكَ، لأَنَّكَ لاَ تَقْدِرُ أَنْ تَجْعَلَ شَعْرَةً وَاحِدَةً بَيْضَاءَ أَوْ سَوْدَاءَ. ٣٧بَلْ لِيَكُنْ كَلاَمُكُمْ: نَعَمْ نَعَمْ، لاَ لاَ. وَمَا زَادَ عَلَى ذلِكَ فَهُوَ مِنَ الشِّرِّيرِ.

٣٨«سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ: عَيْنٌ بِعَيْنٍ وَسِنٌّ بِسِنٍّ. ٣٩وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: لاَ تُقَاوِمُوا الشَّرَّ، بَلْ مَنْ لَطَمَكَ عَلَى خَدِّكَ الأَيْمَنِ فَحَوِّلْ لَهُ الآخَرَ أَيْضًا. ٤٠وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يُخَاصِمَكَ وَيَأْخُذَ ثَوْبَكَ فَاتْرُكْ لَهُ

الرِّدَاءَ أَيْضًا. ٤١وَمَنْ سَخَّرَكَ مِيلًا وَاحِدًا فَاذْهَبْ مَعَهُ اثْنَيْنِ. ٤٢مَنْ سَأَلَكَ فَأَعْطِهِ، وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَقْتَرِضَ مِنْكَ فَلاَ تَرُدَّهُ.

٤٣«سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ: تُحِبُّ قَرِيبَكَ وَتُبْغِضُ عَدُوَّكَ. ٤٤وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: أَحِبُّوا أَعْدَاءَكُمْ. بَارِكُوا لاَعِنِيكُمْ. أَحْسِنُوا إِلَى مُبْغِضِيكُمْ، وَصَلُّوا لأَجْلِ الَّذِينَ يُسِيئُونَ إِلَيْكُمْ وَيَطْرُدُونَكُمْ، ٤٥لِكَيْ تَكُونُوا أَبْنَاءَ أَبِيكُمُ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ، فَإِنَّهُ يُشْرِقُ شَمْسَهُ عَلَى الأَشْرَارِ وَالصَّالِحِينَ، وَيُمْطِرُ عَلَى الأَبْرَارِ وَالظَّالِمِينَ. ٤٦لأَنَّهُ إِنْ أَحْبَبْتُمُ الَّذِينَ يُحِبُّونَكُمْ، فَأَيُّ أَجْرٍ لَكُمْ؟ أَلَيْسَ الْعَشَّارُونَ أَيْضًا يَفْعَلُونَ ذلِكَ؟ ٤٧وَإِنْ سَلَّمْتُمْ عَلَى إِخْوَتِكُمْ فَقَطْ، فَأَيَّ فَضْل تَصْنَعُونَ؟ أَلَيْسَ الْعَشَّارُونَ أَيْضًا يَفْعَلُونَ هكَذَا؟ ٤٨فَكُونُوا أَنْتُمْ كَامِلِينَ كَمَا أَنَّ أَبَاكُمُ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ هُوَ كَامِلٌ".

وهنا نرى بأم أعيننا كيف قد أعلن يسوع أنه ما جاء لينقض الناموس، أى الشريعة التى أتى بها الأنبياء من قبله، ثم ينطلق على الفور ذاكرا بعض بنود الناموس لِيَكُرّ على كل منها وينقضه نقضا ويقدم مفهوما آخر له أو تشريعا يصادمه. أما الآن فهاكم، أيها القراء، مثالا على التناقض بين إنجيل وآخر. ويتعلق هذا التناقض

بنسب المسيح لا أقل. وإذا كان ثم تناقض بين الأناجيل فى هذا الموضوع الذى يتعلق بإلههم ذاته فكيف يريدوننا أن نصدق تلك الأناجيل دون مناقشة أو اعتراض وكأنها وحى إلهى؟ ترى هل يمكننا الزعم بأن ما جاء فى تلك السيرة النبوية أو تِى هو كلام معصوم لا يمكن تخطئته أو الاعتراض عليه لأنه نزل من السماء؟ فهذا مثل هذا.

لقد وردت سلسلة نسب المسيح فى إنجيلين من الأناجيل الأربعة: إنجيل متى، وإنجيل لوقا. وهذه سلسلة إنجيل متى، وهى موجودة فى أول إصحاح منه: "١كِتَابُ مِيلاَدِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ ابْنِ دَاوُدَ ابْنِ إِبْرَاهِيمَ: ٢إِبْرَاهِيمُ وَلَدَ إِسْحاقَ. وَإِسْحاقُ وَلَدَ يَعْقُوبَ. وَيَعْقُوبُ وَلَدَ يَهُوذَا وَإِخْوَتَهُ. ٣وَيَهُوذَا وَلَدَ فَارِصَ وَزَارَحَ مِنْ ثَامَارَ. وَفَارِصُ وَلَدَ حَصْرُونَ. وَحَصْرُونُ وَلَدَ أَرَامَ. ٤وَأَرَامُ وَلَدَ عَمِّينَادَابَ. وَعَمِّينَادَابُ وَلَدَ نَحْشُونَ. وَنَحْشُونُ وَلَدَ سَلْمُونَ. ٥وَسَلْمُونُ وَلَدَ بُوعَزَ مِنْ رَاحَابَ. وَبُوعَزُ وَلَدَ عُوبِيدَ مِنْ رَاعُوثَ. وَعُوبِيدُ وَلَدَ يَسَّى. ٦وَيَسَّى وَلَدَ دَاوُدَ الْمَلِكَ. وَدَاوُدُ الْمَلِكُ وَلَدَ سُلَيْمَانَ مِنَ الَّتِي لأُورِيَّا. ٧وَسُلَيْمَانُ وَلَدَ رَحَبْعَامَ. وَرَحَبْعَامُ وَلَدَ أَبِيَّا. وَأَبِيَّا وَلَدَ آسَا. ٨وَآسَا وَلَدَ يَهُوشَافَاطَ. وَيَهُوشَافَاطُ وَلَدَ يُورَامَ.

وَيُورَامُ وَلَدَ عُزِّيَّا. ٩وَعُزِّيَّا وَلَدَ يُوثَامَ. وَيُوثَامُ وَلَدَ أَحَازَ. وَأَحَازُ وَلَدَ حِزْقِيَّا. ١٠وَحِزْقِيَّا وَلَدَ مَنَسَّى. وَمَنَسَّى وَلَدَ آمُونَ. وَآمُونُ وَلَدَ يُوشِيَّا. ١١وَيُوشِيَّا وَلَدَ يَكُنْيَا وَإِخْوَتَهُ عِنْدَ سَبْيِ بَابِلَ. ١٢وَبَعْدَ سَبْيِ بَابِلَ يَكُنْيَا وَلَدَ شَأَلْتِئِيلَ. وَشَأَلْتِئِيلُ وَلَدَ زَرُبَّابِلَ. ١٣وَزَرُبَّابِلُ وَلَدَ أَبِيهُودَ. وَأَبِيهُودُ وَلَدَ أَلِيَاقِيمَ. وَأَلِيَاقِيمُ وَلَدَ عَازُورَ. ١٤وَعَازُورُ وَلَدَ صَادُوقَ. وَصَادُوقُ وَلَدَ أَخِيمَ. وَأَخِيمُ وَلَدَ أَلِيُودَ. ١٥وَأَلِيُودُ وَلَدَ أَلِيعَازَرَ. وَأَلِيعَازَرُ وَلَدَ مَتَّانَ. وَمَتَّانُ وَلَدَ يَعْقُوبَ. ١٦وَيَعْقُوبُ وَلَدَ يُوسُفَ رَجُلَ مَرْيَمَ الَّتِي وُلِدَ مِنْهَا يَسُوعُ الَّذِي يُدْعَى الْمَسِيحَ. ١٧فَجَمِيعُ الأَجْيَالِ مِنْ إِبْرَاهِيمَ إِلَى دَاوُدَ أَرْبَعَةَ عَشَرَ جِيلاً، وَمِنْ دَاوُدَ إِلَى سَبْيِ بَابِلَ أَرْبَعَةَ عَشَرَ جِيلاً، وَمِنْ سَبْيِ بَابِلَ إِلَى الْمَسِيحِ أَرْبَعَةَ عَشَرَ جِيلاً".

ثم هذه سلسلة إنجيل لوقا: "٢٣وَلَمَّا ابْتَدَأَ يَسُوعُ كَانَ لَهُ نَحْوُ ثَلاَثِينَ سَنَةً، وَهُوَ عَلَى مَا كَانَ يُظَنُّ ابْنَ يُوسُفَ، بْنِ هَالِي، ٢٤بْنِ مَتْثَاتَ، بْنِ لاَوِي، بْنِ مَلْكِي، بْنِ يَنَّا، بْنِ يُوسُفَ، ٢٥بْنِ مَتَّاثِيَا، بْنِ عَامُوصَ، بْنِ نَاحُومَ، بْنِ حَسْلِي، بْنِ نَجَّايِ، ٢٦بْنِ مَآثَ، بْنِ مَتَّاثِيَا، بْنِ شِمْعِي، بْنِ يُوسُفَ، بْنِ يَهُوذَا، ٢٧بْنِ يُوحَنَّا، بْنِ رِيسَا، بْنِ زَرُبَّابِلَ، بْنِ شَأَلْتِيئِيلَ، بْنِ نِيرِي، ٢٨بْنِ مَلْكِي، بْنِ أَدِّي، بْنِ

قُصَمَ، بْنِ أَلْمُودَامَ، بْنِ عِيرِ، ٢٩بْنِ يُوسِى، بْنِ أَلِيعَازَرَ، بْنِ يُورِيمَ، بْنِ مَتْثَاتَ، بْنِ لاَوِى، ٣٠بْنِ شِمْعُونَ، بْنِ يَهُوذَا، بْنِ يُوسُفَ، بْنِ يُونَانَ، بْنِ أَلِيَاقِيمَ، ٣١بْنِ مَلَيَا، بْنِ مَيْنَانَ، بْنِ مَتَّاثَا، بْنِ نَاثَانَ، بْنِ دَاوُدَ، ٣٢بْنِ يَسَّى، بْنِ عُوبِيدَ، بْنِ بُوعَزَ، بْنِ سَلْمُونَ، بْنِ نَحْشُونَ، ٣٣بْنِ عَمِّينَادَابَ، بْنِ أَرَامَ، بْنِ حَصْرُونَ، بْنِ فَارِصَ، بْنِ يَهُوذَا، ٣٤بْنِ يَعْقُوبَ، بْنِ إِسْحَاقَ، بْنِ إِبْرَاهِيمَ، بْنِ تَارَحَ، بْنِ نَاحُورَ، ٣٥بْنِ سَرُوجَ، بْنِ رَعُو، بْنِ فَالَجَ، بْنِ عَابِرَ، بْنِ شَالَحَ، ٣٦بْنِ قِينَانَ، بْنِ أَرْفَكْشَادَ، بْنِ سَامِ، بْنِ نُوحِ، بْنِ لاَمَكَ، ٣٧بْنِ مَتُوشَالَحَ، بْنِ أَخْنُوخَ، بْنِ يَارِدَ، بْنِ مَهْلَلْئِيلَ، بْنِ قِينَانَ، ٣٨بْنِ أَنُوشَ، بْنِ شِيتِ، بْنِ آدَمَ، ابْنِ اللهِ".

وبنظرة سريعة سوف يتبين لك أن حلقات كل سلسلة تختلف عن حلقات السلسلة الأخرى فى عددها وفى ترتيبها وفى ذكر بعض الحلقات هنا مع اختفائها هناك. كل ذلك، والموضوع هو نسب الإله (ولا داعى للتلبث عند حكاية نسب الإله هذه، وإلا فلن ننتهى فى يومنا الذى يعلم به ربنا)، فما بالنا لو كان الموضوع شيئا آخر؟ وبطبيعة الحال لا بد أن تكونوا لاحظتم أن لوقا جعل من آدم ابنا لله لا يسوع. والواقع أن بنوة آدم لله، من

حيث المنطق الشكلى، هى الأوجه لأنه إذا كان النصارى المثلثة يزعمون أن يسوع ابن لله لأنه ليس له أب فآدم ليس له أب ولا أم. فمن منهما أولى بتلك البنوة؟ وهذا إن لم ينبر أحد قائلا: بل جريا على ذلك المنطق يكون آدم هو الإله نفسه! إن الاختلافات لَتكون أعقد وأفظع. أما لو مددنا أبصارنا إلى الكتاب المقدس كله فلسوف يغمى علينا من هذه الشناعات التى لا تنتهى. فهل هذه هى الأناجيل التى يرى أننا يجب أن نلتزم بها ولا ننظر فى أناجيل أخرى لأن الأناجيل الأولى معصومة، بينما الأخرى مجرد أساطير كاذبة؟

ثم من أين يا ترى حصل النبى محمد صلى الله عليه وسلم على معجزة تحويل المسيح الطين طيرا؟ قبل الجواب عن هذ السؤال نود أن نلفت انتباه القارئ العزيز إلى أن محمدا (ما دام نبيا كذابا كما يقول الأكوينى) كانت مصلحته تقتضى أن يضرب صفحا تاما عن موضوع معجزات الأنبياء هذا حتى لايضع نفسه فى موقف مخجل ويفسد عليها أمره، إذ ما دام للأنبياء السابقين معجزات فلا مناص له هو أيضا أن يأتى بمعجزتين أو ثلاث أو أربع (مَنْ يزيد؟ فالبحر يحب الزيادة!)، وهو رجل داهية حسبما يصورونه وماكر

ومحاور مداور، ويريد أن يكون نبيا، بل خاتم الأنبياء والمرسلين. فكان عليه، والحالة هذه، أن يصمت عن ذكر تلك المعجزات ولا ينبس ببنت شفة عنها، بل أن ينكرها إنكارا، والجعيص من يستطيع إثبات عكس ذلك، وهيهات. فكل شىء راح وانقضى، وأمر المعجزات قد ولى ومضى!

هذه واحدة، والثانية من يا ترى أنبأ محمدا بإنجيل الطفولية هذا؟ إن الكنيسة فى ذلك الوقت كانت تحرم على عموم أتباعها قراءة كتابهم المقدس. فإذا كان هؤلاء يجهلون ما تقوله الأناجيل الأربعة القانونية فكيف لهم الاطلاع على إنجيل الطفولية التى لا تعترف به الكنيسة؟ إن واحدا مثلى شارف على الثمانين، ومهتما أشد الاهتمام بمسألة المقارنة بين الإسلام وبين اليهود والنصرانية، لم يعرف إنجيل الطفولية إلا بعدما كبرت ونضجت وسافرت إلى أوربا وتعلمت لغتين من لغاتها وعاشرتهم أعواما، ثم اقتنيت كاتوبا هو الذى من خلاله على مدى سنوات طوال نما إلىَّ نبأ ذلك الإنجيل وغيره من الأناجيل المرفوضة من الكنيسة. فكيف يتوهم متوهم أن النبى قد علم بذلك الإنجيل وما جاء فيه عن حكاية تحويل يسوع الطين إلى طائر؟ لاحظ أن محمدا كان تاجرا، ولم

يكن مقارن أديان ولا متخصصا فى الأدب، وكان لا يفك الخط حتى يقال إنه كان يجمع الكتب من مظانها ويقرؤها فى أوقات فراغه وروقان باله إذ كان يخطط منذ وقت مبكر ليكون نبيا قبل أن يسبقه إليها أحد. والرزق يحب الخِفِّيَّة، والبركة فى البكور، والطائر الشطُّور هو الذى يلتقط الدودة بمنقاره قبل أن يفوز بها منقار آخر. فهذا عن عموم الناس الذين كان النبى يخالطهم فى الشام واليمن حين كان يسافر مع القافلة للتجارة هناك بمال خديجة. أما إذا كان الأمر بخلاف ما نقول فلماذا لم يترك أحد من معلميه شفويا أو كتابيا ما يدل على أنه هو معلمه! أيتصور عاقل أن شيئا من هذا يمكن أن يكون قد حدث ولا تردّ به فارس ولا بيزنطة على رسالة محمد لكل من عاهليهما يدعوه فيها إلى الإسلام؟

وأما رجال الدين فليس فى حياته منهم سوى بحيرا، الذى لا يكفون عن الزنّ به زنا مزعجا متصلا مع أنه لم يقابله غير مرة واحدة مكث فيها معه ومع القافلة القرشية فى الظهرية وقت راحة القيلولة. وقد انبرى الكاتب والمؤرخ والناقد الأسكتلندى الشهير توماس كارلايل فى كتابه: "الأبطال وعبادة الأبطال"، من تلقاء نفسه والله العظيم إذ لم يطلب منه المسلمون ذلك، فاستسخف

الزعم بأن راهبا يجلس مع صبي فى أواسط العقد الثانى من عمره على أوسع تقدير سويعات قلائل فيعلمه النصرانية ويخرّجه فيها ويجهزه للنبوة على سنجة عشرة بطريقة كتاب "كيف تتعلم الإنجليزية فى ثلاثة أيام بدون معلم؟". الا إن هذا لهو المستحيل بعينه، وذلك إن صحت حكاية تلك المقابلة بينهما، فإن لى لملاحظات قاتلة تنسف كل ما يتعلق بها:

فعلى سبيل التمثيل كيف تفاهم الطرفان وليس بينهما لسان مشترك؟ وكيف عرف المدعوّ بحيرا أن فى تلك القافلة صبيا سوف يكون نبيا؟ هل كان يشم على ظهر يده أو يضرب الودع؟ إن معرفة الغيب لأمر مستحيل. ومن قال له إن اليهود يبحثون عنه فى كل مكان لأنه مطلوب عندهم للقتل رغم أنهم لم يكن لهم عنده ثأر يقتضى إزهاق روحه؟ ولماذا يهود الشام بالذات، واليهود منتشرون فى المنطقة هنا وهناك بحيث لو أفلت من أيديهم فى الشام فلسوف يقبضون عليه فى اليمن... مثلا، وهذا إن لم يستأجروا قاتلا محترفا يقطف حياته فى عقر داره؟ ومعروف أنه، حسب الرواية، قد كشف عن خاتم النبوة فى ظهر محمد وأعلن أنه هو النبى المنتظر وأن اليهود لذلك يرومون وضع حد لحياته التى

تهدد أملهم فى استقرار النبوة فيهم على الدوام. فإذا كان الأمر كذلك فلماذا لم يحاجج النبيُّ المكيين بهذه الواقعة متخذا منها برهانا على نبوته مستشهدا بمن حضر ذلك اللقاء وسمع شهادة بحيرا؟ أفلم يصرح أمامهم بذلك بحيرا؟ أمّا إن لم يكن قد صرح له بأنه هو النبي المنتظر واكتفى بتعليمه النصرانية فكيف سكت المكيون فلم يثيروا التشكيك فى نبوته من خلال القول بأن بحيرا هو الذى صنعه وصنع منه نبيا؟ وكيف لم نسمع ببحيرا يرفع عليه دعوى فى إدارة المصنفات الفنية يتهمه فيها بأنه قد علمه النصرانية بغية اعتناقه لها، لكنه خرج على النص وقال عن نفسه إنه نبى؟ على طريقة "علّمناهم الشحاتة، فسَبَقونا على الأبواب"! الغريب أنه لا النبي ولا الصحابة ولا أمية بن أبى الصلت ولا أبو سفيان أو أبو جهل أو أبو لهب أو عمر قبل اعتناقه الإسلام ولا عمرو بن العاص ورفيقه فى الرحلة الحبشية فى مجلس النجاشى ليؤلباه على المسلمين الذين كانوا التجأوا إليه ولا شعراء مكة أيام شركهم واشتباكهم مع شعراء الرسول ولا ولا ولا ولا ولا قد تطرق أى منهم إلى ذكر بحيرا. أتراه لو كان شخصا حقيقيا وقابل الرسول فى صباه أو فى غير صباه أكانوا يسكتون هذا السكوت التام عنه فلا

يأتون على سيرته بشيء؟ لقد ذكر النبيُّ مثلا عليه السلام ورقةَ بن نَوْفل وقُسَّ بن ساعدة وزيدَ بن عمرو بن نُفَيْل وأميةَ بن أبى الصلت وخالدَ بن سنان وغيرهم، أما بحيرا فلم يرد له ذكر على لسانه. ثم كيف ظل الرسول يتذكر كل ما علمه بحيرا إياه عن النصرانية طيلة تلك العقود حتى بلغ الأربعين دون أن تضطرب عليه ذاكرته؟ وإذا كان بحيرا قد علمه بعض الأشياء فى النصرانية فهل هو أيضا الذى علمه انتقادها وتصحيح ما فيها من انحرافات وخرافات؟ وهل هو الذى علمه أخبار عاد وثمود؟ وهل هو الذى قص عليه حكايات نوح وإبراهيم ولوط وداود وسليمان وعرّفه فوق البيعة كيف ينقى تلك القصص مما فيها من كفريات وتشويهات لشخصيات أبطالها من نسبة الخُلُق الوضيع إليهم جميعا، والكفر لبعضهم؟ وهل القرآن لا يحتوى إلا على قصص الأنبياء وحدها؟ أم إن بحيرا قد علمه أيضا أخبار غزواته وحروبه وسؤالات أصحابه وإجاباتها قبل الهنا بسنة؟

ثم ينتقل توما الأكوينى إلى مأخذ آخر على النبى محمد عليه الصلاة والسلام، وهو أنه لم يقدم معجزات حقيقية تشهد له أنه نبى من عند الله، إذ المعجزات هى الدليل الوحيد الذى يثبت أن

من يأتى بها نبى حقيقى. وقد سبق أن بينا رأينا بالتفصيل فى هذه النقطة بالدراسة التى فى أيدينا، ولا داعى إذن لتكرار ما قلناه. وقد ركز الأكوينى على معجزة انشقاق القمر، وشكك فيها، وحجته أن أحدا من أية أمة أو ثقافة أخرى لم يشاهد هذا الحدث، ولم ينقله لنا سوى المسلمين مع أن انشقاق القمر، لو كان وقع، لشاهده الناس فى كل مكان، إذ من طبيعة المعجزة أن تكون عالمية لا مقصورة على جماعة معينة. وبهذا نراه ينفى آية انشقاق القمر مثلما ينكر كل معجزة ذكرت للرسول باعتبار أن أحدا آخر غير المجموعة التى كانت حاضرة حوله صلى الله عليه وسلم لم يرها، على عكس معجزات الكتاب المقدس، وبخاصة معجزات عيسى عليه السلام، إذ حضرها ناس من مختلف الجنسيات.

ولست أدرى لم يشترط الأكوينى أن تكون المعجزة عالمية بحيث يراها البشر فى كل مكان، وإلا ما صلحت أن تكون شهادة على صدق من جاء بها. الحق أن هذا كلام لا يخرج من إلّ كما قال أبو بكر الصِّدِّيق عن الوحى المضحك الذى ادعى مسيلمة الكذاب أنه يوحَى إليه من الله حين اختاره نبيا. وأرى أن الأكوينى ينبغى أن ينقل على وجه السرعة إلى مستشفى الخانكة،

فمن البَيِّن الساطع الوضوح أن حالتة متأخرة بحيث من المحتمل جدا أن تثور به الماليخوليا فى أى وقت وعلى حين بغتة، فيهجم كالكلب الأرمنط على من حوله ويعضهم فيموتوا لأن أمصال علاج عضة الكلب، وبخاصة الكلب الألمانى من أمثال الأكوينى، غير متوفرة فى الأسواق ولا المستشفيات.

ترى ماذا كان على النبى محمد عليه السلام أن يصنع كى يفوز بشهادة الآيزو من ذلك الكلب المفترس المسعور؟ هل كان الأكوينى ينتظر منه أن يتصل بكل القنوات الفضائية العالمية لتحضر فى وقت يحدده النبى ليقوم بشق القمر نصفين ومعها آلات التصوير والمراسلون والفنيون كى ينقلوا بالصوت والصورة الحدث الجبار؟ وأين كان النبى من كل ذلك؟ لقد كان انتقال خبر واقعة مثل هذه فى عصره من مدينة إلى أخرى مع راكبى الإبل عبر الصحراء فى أرجاء بلاد العرب يستغرق أسابيع أو شهورا حسب المسافة، ولا يمكن أن يشاهده إلا بضعة أفراد أو بضع عشرات منهم فى محل وقوع الحدث، أما من هم خارج موضع وقوع المعجزة فيستحيل أن يشاهدوها. وتعالوا نتخيل ما جرى: لقد كان النبى فى نشاطه الدعوى ذات مرة يحاول إقناع المشركين المكيين

بصدق رسالته ويبين لهم أن الدخول فى دينه يؤدى إلى عزتهم وخير البشرية جمعاء وأن الإسلام إيذان بفجر جديد على العالم ومنعطف خطير فى مسيرة التاريخ، لكنهم كالعادة يسخرون ويعاندون ويجادلون. وكان الوقت ليلا، وانشق القمر نصفين ورأوه هكذا. وكانوا هم المعنيين بهذه الآية. واللهُ المطلقُ، الذى لا يحده حد ولا يعوقه قيد ولا يستطيع أحد أن يخالف عن قضائه وقدره وصاحِبُ "كن فيكون"، قادر أن يشقه هنا ولا يشقه هناك أو أن يمكّن المكيين من مشاهدته ولا يمكّن غيرهم من ذلك لأن غيرهم لا يهمه من هذا الأمر بل لا يعلم عنه من كثير أو قليل. وبالله لماذا ينبغى أن يرى هذا الحدث الفارسى أو الهندى أو الصينى أو سكان بلاد واق الواق (اليابان) أو الأوربى أو الأفريقى أو الهنود الحمر أو شعوب القارة الأسترالية؟ إنها لا علم عندها بنبوة محمد ولا لها أدنى اهتمام بمعرفة أى شىء خارج نطاق حياتها اليومية، ولا هى كفرت بمحمد ولاعاندته وجادلته وسخرت منه وتهكمت به حتى تكون هناك حاجة إلى إطلاعها على القمر المشقوق كى تؤمن. وقبل ذلك كله لم تكن هناك وسائل اتصال أو توصيل بعيدة المدى سوى البلورة المسحورة فى "ألف ليلة

وليلة"، بينما الأديان أمر جاد لا وشيجة تشجه بمثل تلك الأقاصيص المسليات. كذلك لا بد أن نكون على ذكر من أنه لا موجب أن يستمر انشقاق القمر مدة طويلة بل يكفى أن يراه المشركون ويتأكدوا أنه انشق فعلا، وهذا لا يستغرق أكثر من دقيقة أو نحوها. فمن الممكن ألا يلتفت إليه الناس خارج مكة أو ينشغلوا به.

وفى تفسير "مفاتيح الغيب" لفخر الدين الرازى كلام وجيه فى هذا الموضوع. قال: "هو حَقٌّ، إذِ القَمَرُ انْشَقَّ. والمُفَسّرُونَ بِأسْرِهِمْ عَلى أنَّ المُرادَ أنَّ القَمَرَ انْشَقَّ، وحَصَلَ فِيهِ الانْشِقاقُ، ودَلَّتِ الأخْبارُ عَلى حَدِيثِ الانْشِقاقِ. وفى الصَّحِيحِ خَبَرٌ مَشْهُورٌ رَواهُ جَمْعٌ مِنَ الصَّحابَةِ، وقالُوا: سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ آيَةَ الانْشِقاقِ بِعَيْنِها مُعْجِزَةً، فَسَألَ رَبَّهُ فَشَقَّهُ ومَضى. وقالَ بَعْضُ المُفَسِّرِينَ: المُرادُ سَيَنْشَقُّ، وهو بَعِيدٌ ولا مَعْنى لَهُ لِأنَّ مَنْ مَنَعَ ذَلِكَ، وهو الفَلْسَفِى، يَمْنَعُهُ فى الماضِى والمُسْتَقْبَلِ، ومَن يُجَوِّزُهُ لا حاجَةَ إلى التَّأْوِيلِ. وإنَّما ذَهَبَ إلَيْهِ ذَلِكَ الذّاهِبُ لِأنَّ الانْشِقاقَ أمْرٌ هائِلٌ، فَلَوْ وقَعَ لَعَمَّ وجْهَ الأرْضِ، فَكانَ يَنْبَغِى أنْ يَبْلُغَ حَدَّ التَّواتُرِ. نَقُولُ: النَّبِى ﷺ لَمّا كانَ يَتَحَدّى بِالقُرْآنِ، وكانُوا يَقُولُونَ: إنّا نَأْتِى بِأفْصَحِ ما

يَكُونُ مِنَ الكَلامِ، وعَجَزُوا عَنْهُ، فكَانَ القُرْآنُ مُعْجِزَةً باقِيَةً إلى قِيامِ القِيامَةِ لا يَتَمَسَّكُ بِمُعْجِزَةٍ أُخْرى، فَلَمْ يَنْقُلْهُ العُلَماءُ بِحَيْثُ يَبْلُغُ حَدَّ التَّواتُرِ. وأمّا المُؤَرِّخُونَ فَتَرَكُوهُ لِأنَّ التَّوارِيخَ فى أكْثَرِ الأمْرِ يَسْتَعْمِلُها المُنَجِّمُ، وهو لَمّا وقَعَ الأمْرُ قالُوا بِأنَّهُ مِثْلُ خُسُوفِ القَمَرِ، وظُهُورِ شَيْءٍ فى الجَوِّ عَلى شَكْلِ نِصْفِ القَمَرِ فى مَوْضِعٍ آخَرَ، فَتَرَكُوا حِكايَتَهُ فى تَوارِيخِهِمْ. والقُرْآنُ أدَلُّ دَلِيلٍ وأقْوى مُثْبِتٍ لَهُ، وإمْكانُهُ لا يُشَكُّ فِيهِ، وقَدْ أخْبَرَ عَنْهُ الصّادِقُ، فَيَجِبُ اعْتِقادُ وُقُوعِهِ. وحَدِيثُ امْتِناعِ الخَرْقِ والالْتِئامِ حَدِيثُ اللِّئامِ، وقَدْ ثَبَتَ جَوازُ الخَرْقِ والتَّخْرِيبِ عَلى السَّماواتِ، وذَكَرْناهُ مِرارًا فَلا نُعِيدُهُ".

وفى تفسير القرطبي: " ثبت ذلك فى صحيح الْبُخَارِى وَغَيْرِهِ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ وَابْنِ عُمَرَ وَأَنَسٍ وَجُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ وَابْنِ عَبَّاسٍ رَضِى اللَّهُ عَنْهُمْ. وَعَنْ أَنَسٍ قَالَ: سَأَلَ أَهْلُ مَكَّةَ النَّبِي ﷺ آيَةً، فَانْشَقَّ الْقَمَرُ بِمَكَّةَ مَرَّتَيْنِ، فَنَزَلَتْ "اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ" إِلَى قَوْلِهِ: "سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ" يَقُولُ: ذَاهِبٌ. قَالَ أَبُو عِيسَى التِّرْمِذِى: هَذَا حديث حسن صحيح. ولفظ البخارى عن أنس قَالَ: انْشَقَّ الْقَمَرُ فِرْقَتَيْنِ. وَقَالَ قَوْمٌ: لَمْ يَقَعِ انْشِقَاقُ الْقَمَرِ بَعْدُ، وَهُوَ مُنْتَظَرٌ، أَى

اقْتَرَبَ قِيَامُ السَّاعَةِ وَانْشِقَاقُ الْقَمَرِ، وَأَنَّ السَّاعَةَ إِذَا قَامَتِ انْشَقَّتِ السَّمَاءُ بِمَا فِيهَا مِنَ الْقَمَرِ وَغَيْرِهِ. وكَذَا قَالَ الْقُشَيْرِى. وَذَكَرَ الْمَاوَرْدِى: أَنَّ هَذَا قَوْلُ الْجُمْهُورِ، وَقَالَ: لِأَنَّهُ إِذَا انْشَقَّ مَا بَقِى أَحَدٌ إِلَّا رَآه، لِأَنَّهُ آيَةٌ، وَالنَّاسُ فِى الْآيَاتِ سَوَاءٌ. وَقَالَ الْحَسَنُ: اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ، فَإِذَا جَاءَتِ انْشَقَّ الْقَمَرُ بَعْدَ النَّفْخَةِ الثَّانِيَةِ. وَقِيلَ: "وَانْشَقَّ الْقَمَرُ"، أَى وَضَحَ الْأَمْرُ وَظَهَرَ. وَالْعَرَبُ تَضْرِبُ بِالْقَمَرِ مَثَلًا فِيمَا وَضَحَ. قَالَ:

أَقِيمُوا بَنِى أُمِّى صُدُورَ مَطِيِّكُمْ = فَإِنِّى إِلَى حَى سِوَاكُمْ لَأَمْيَلُ

فَقَدْ حُمَّتِ الْحَاجَاتُ وَاللَّيْلُ مُقْمِرٌ * وَشُدَّتْ لِطِيَّاتٍ مَطَايَا وَأَرْحُلُ

وَقِيلَ: انْشِقَاقُ الْقَمَرِ هُوَ انْشِقَاقُ الظُّلْمَةِ عَنْهُ بِطُلُوعِهِ فِى أَثْنَائِهَا، كَمَا يُسَمَّى الصُّبْحُ: فَلَقًا لِانْفِلَاقِ الظُّلْمَةِ عَنْهُ. وَقَدْ يُعَبَّرُ عَنِ انْفِلَاقِهِ بِانْشِقَاقِهِ كَمَا قَالَ النَّابِغَةُ:

فَلَمَّا أَدْبَرُوا وَلَهُمْ دَوِى * دَعَانَا عِنْدَ شَقِّ الصُّبْحِ دَاعِ

قُلْتُ: وَقَدْ ثَبَتَ بِنَقْلِ الْآحَادِ الْعُدُولِ أَنَّ الْقَمَرَ انْشَقَّ بِمَكَّةَ، وَهُوَ ظَاهِرُ التَّنْزِيلِ، وَلَا يَلْزَمُ أَنْ يَسْتَوِى النَّاسُ فِيهَا، لِأَنَّهَا كَانَتْ آيَةً لَيْلِيَّةً، وَأَنَّهَا كَانَتْ بِاسْتِدْعَاءِ النَّبِى ﷺ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى عِنْدَ

التَّحَدِّى. فَرُوِى أَنَّ حَمْزَةَ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ حِينَ أَسْلَمَ غَضَبًا مِنْ سَبِّ أَبِى جَهْلٍ الرَّسُولَ ﷺ طَلَبَ أَنْ يُرِيَهُ آيَةً يَزْدَادُ بِهَا يَقِينًا فِى إِيمَانِهِ. وَقَدْ تَقَدَّمَ فِى الصَّحِيحِ أَنَّ أَهْلَ مَكَّةَ هُمُ الَّذِينَ سَأَلُوا وَطَلَبُوا أَنْ يُرِيَهُمْ آيَةً، فَأَرَاهُمُ انْشِقَاقَ الْقَمَرِ فِلْقَتَيْنِ كَمَا فِى حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ وَغَيْرِهِ. وَعَنْ حُذَيْفَةَ أَنَّهُ خَطَبَ بِالْمَدَائِنِ ثُمَّ قَالَ: أَلَا إِنَّ السَّاعَةَ قَدِ اقْتَرَبَتْ، وَإِنَّ الْقَمَرَ قَدِ انْشَقَّ عَلَى عَهْدِ نَبِيِّكُمْ ﷺ. وَقَدْ قِيلَ: هُوَ عَلَى التَّقْدِيمِ وَالتَّأْخِيرِ، وَتَقْدِيرُهُ: انْشَقَّ الْقَمَرُ وَاقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ، قَالَهُ ابْنُ كَيْسَانَ. وَقَدْ مَرَّ عَنِ الْفَرَّاءِ أَنَّ الْفِعْلَيْنِ إِذَا كَانَا مُتَقَارِبَى الْمَعْنَى فَلَكَ أَنْ تُقَدِّمَ وَتُؤَخِّرَ عِنْدَ قَوْلِهِ تَعَالَى: "ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى".

قَوْلُهُ تَعَالَى: "وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا: هَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُمْ رَأَوُا انْشِقَاقَ الْقَمَرِ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: اجْتَمَعَ الْمُشْرِكُونَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَقَالُوا: إِنْ كُنْتَ صَادِقًا فَاشْقُقْ لَنَا الْقَمَرَ فِرْقَتَيْنِ: نِصْفٌ عَلَى أَبِى قُبَيْسٍ وَنِصْفٌ عَلَى قُعَيْقِعَانَ. فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِنْ فَعَلْتُ تُؤْمِنُونَ؟ قَالُوا: نَعَمْ. وَكَانَتْ لَيْلَةَ بَدْرٍ، فَسَأَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَبَّهُ أَنْ يُعْطِيَهُ مَا قَالُوا، فَانْشَقَّ الْقَمَرُ فِرْقَتَيْنِ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُنَادِى الْمُشْرِكِينَ: يَا فُلَانُ يَا فُلَانُ، اشْهَدُوا. وَفِى حَدِيثِ ابْنِ

مَسْعُودٍ: انْشَقَّ الْقَمَرُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَتْ قُرَيْشٌ: هَذَا مِنْ سِحْرِ ابْنِ أَبِي كَبْشَةَ. سَحَرَكُمْ، فَاسْأَلُوا السُّفَّارَ، فَسَأَلُوهُمْ فَقَالُوا: قَدْ رَأَيْنَا الْقَمَرَ انْشَقَّ فَنَزَلَتْ: اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ. وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا. أَى إِنْ يَرَوْا آيَةً تَدُلُّ عَلَى صِدْقِ مُحَمَّدٍ ﷺ أَعْرَضُوا عَنْ الْإِيمَانِ". وقد يطرّق لصحة هذا التفسير أن جميع المشركين قد دخلوا فى الإسلام ولم نسمع أحدا منهم ينكر صحة الآية أو يجادل بشأنها رغم أنها إنما نزلت فيهم وتَقْرَع أسماعهم ونفوسهم صباح مساء، ومساء صباح!

ويمكن القول بأن الآية معناها التحذير والتهديد، وذلك كما يقول الواحد منا لتلميذ لا يسمع النصيحة وظل يلعب ويعبث ويضيع وقته طوال العام الدراسى فلم يحضر الحصص المدرسية ولم يفتح الكتب، ثم حل موعد الامتحان، فإنه يقول له على سبيل التبكيت والتقريع والتنديم حتى يؤلمه فلا يكرر هذا الإهمال القاتل مرة أخرى: اقترب الامتحان ورسبنا يا جميل! ولا يصح أن يُرَدّ على هذا التفسير بأنه قد مر على نزول الآية قريب من خمسة عشر قرنا ولم تأت الساعة حتى الآن، فكيف يكون ذلك؟ أجل لا يصح الاعتراض بهذه الحجة، فالقرآن يقول عن يوم القيامة وتكذيب

الكفار به: "إنهم يَرَوْنَه بعيدًا ونراه قريبًا" كما جاء فى مطلع سورة "المعارج". وفى آخر سورة "المؤمنون" نسمعه تعالى وهو يعنف الكافرين بقارص القول حين يبعثهم يوم القيامة: "قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِى الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ * قَالُوا لَبِثْنَا يومًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلِ الْعَادِّينَ * قَالَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ". وفى أواخر سورة "الروم": "وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ * وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ". ذلك أن مقياس الزمن يختلف بالنسبة لنا عنه عند الله: "وإنّ يومًا عند ربِّك كألف سنةٍ مما تَعُدُّون"، "تعرُج الملائكةُ والروحُ إليه فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة * فاصْبِرْ صبرًا جميلًا * إنهم يَرَوْنَه بعيدًا ونراه قريبًا".

وفى ضوء هذا ننظر فى قول الرسول الكريم الذى يقول فيه: "بُعِثْتُ أنا والساعة كهاتين". والمقصود أنه لا فاصل من نبوة نبى بينى وبين الساعة لا أنهما متقاربان قرب إصبعين متجاورين. أو ربما كان المراد بـ"الساعة" فى آية مطلع "القمر"، التى نحن بصددها هو الزلزلة الكبرى التى سترج الجزيرة العربية والعالم رجا لا الساعة

الأخيرة من تاريخ العالم وحياته. وقد يعضد هذا التفسير أن السورة تشير إلى هزائم العرب الذين وقفوا فى وجه نور الإسلام الوهاج، فخسروا هم، وانتصر دين الله، مذكرة إياهم بما أصاب الأمم السابقة الذين كفروا برسلهم وآذَوْهم وعاندوا وأصمُّوا قلوبهم وأغلقوا آذانهم وعيونهم كقوم نوح وقوم لوط وعاد وثمود.

وعلى هذا فلو ثبت أنه لم تكن هناك معجزات للرسول صلى الله عليه وسلم لما شعرنا بأن شيئا ينقصنا فى هذا الدين العظيم، فقد جاء الإسلام ليبث فى حضارة العالم روحا جديدة فتية نقية نظيفة طاهرة راقية تقوم على الإيمان بالله والتواضع لخلق الله واطراح التجبر والتكبر الذى نجده ونصلاه صِلِيًّا فى تصرفات دونالد ترامب وأحاديثه التى يكاد أن ينفجر وهو ينطق بها غرورا وانطماس بصيرة، وأتوقع له أن يقتله أمريكى إنسان ممن يشمئزون من سلوك الرجل وأفكاره الدنسة المنحطة رغم أنه يحكم أقوى الدول فى عصرنا فى نواحى الاقتصاد والسياسة والعلم والاختراعات والحرب وبث الرهبة فى النفوس والتسلط على دول العالم الثالث، وبخاصة دول العرب والمسلمين.

ومما سبق يتضح لنا أن عقل توما الأكوينى لا يعمل بأى قدر من الكفاءة. لقد نبذ روايات المعجزات التى أتى بها سيدنا وسيده وسيد أبيه وأمه ومن يتشدد له بل سيد البشر جميعا محمد رسول الله بحجة أنها لم يشاهدها العالم كله بل اقتصرت رؤيتها على عدد محدود، فهل كانت معجزات يسوع عالمية شاهدها الناس من كل الأجناس والأمم؟ أبدا. فكل معجزاته كانت تدور إما داخل بيت من البيوت أو وسط طائفة محدودة العدد أو على شاطئ البحر. وكانت المدن التى تمت فيها هذه المعجزات مدنا صغيرة، ومن يتبعونه فيها قليل جدا من البشر. فلماذا تشدد هناك وبحبحها هنا على هذا النحو الغريب؟ ثم من يا ترى من مؤرخى الرومان أو بنى إسرائيل قد ذكر شيئا من تلك المعجزات؟ بل هل آمن بيسوع بعد توفِّى الله له أحد ممن سبق أن كفر به؟ أبدا. ونفس الكلام ينطبق على المعجزات التى أوردها الكتاب المقدس لأى نبى من الأنبياء؟ هل هناك مؤرخ غير دينى قص علينا قصة سفينة نوح؟ هل هناك من شاهد من الكتاب نجاة إبراهيم خليل الرحمن من إحراق النار له؟ هل هناك من ألف كتابا عن انفلاق البحر لموسى وقومه بعد خروجهم من مصر؟ هل سجل الفراعنة ذلك الحدث؟ هل سجله

الفرس؟ هل سجله الرومان؟ هل سجله اليونان؟ هل هناك من هؤلاء أو من غيرهم من يشهد بصدق معجزة واحدة من معجزات يسوع؟ إن عيسى لم يكن يتوجه بدعوته إلا لخراف بنى إسرائيل الضالة كما نعرف جميعا من نص كلامه. وعلى ذلك لم يحدث أن حضر أحد من خارج اليهود معجزة من معجزاته. والقرآن هو الكتاب السماوى الوحيد الذى يشهد بصحة معجزات أولئك الأنبياء وغيرهم ممن جرت على أيديهم الخوارق والآيات رغم أنه لم ينزل على نبى من بنى إسرائيل بل على نبى من العرب ولم يتوجه بدعوته إلى قومه وحدهم بل إلى العالمين أجمعين.

النص الوحيد الذى يمكن فى دنيا الأوهام أن يتعلق به توما الأكوينى فى موضوع عالمية المعجزة هو نص الإصحاح الثانى من الإنجيل الذى ألفه متى. وهذا هو: "١وَلَمَّا وُلِدَ يَسُوعُ فِي بَيْتِ لَحْمِ الْيَهُودِيَّةِ، فِي أَيَّامِ هِيرُودُسَ الْمَلِكِ، إِذَا مَجُوسٌ مِنَ الْمَشْرِقِ قَدْ جَاءُوا إِلَى أُورُشَلِيمَ ٢قَائِلِينَ:«أَيْنَ هُوَ الْمَوْلُودُ مَلِكُ الْيَهُودِ؟ فَإِنَّنَا رَأَيْنَا نَجْمَهُ فِي الْمَشْرِقِ وَأَتَيْنَا لِنَسْجُدَ لَهُ». ٣فَلَمَّا سَمِعَ هِيرُودُسُ الْمَلِكُ اضْطَرَبَ وَجَمِيعُ أُورُشَلِيمَ مَعَهُ. ٤فَجَمَعَ كُلَّ رُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ وَكَتَبَةِ الشَّعْبِ، وَسَأَلَهُمْ:«أَيْنَ يُولَدُ الْمَسِيحُ؟» ٥فَقَالُوا لَهُ:«فِي بَيْتِ لَحْمِ

الْيَهُودِيَّةِ. لأَنَّهُ هكَذَا مَكْتُوبٌ بِالنَّبِي: ٦وَأَنْتِ يَا بَيْتَ لَحْمٍ، أَرْضَ يَهُوذَا لَسْتِ الصُّغْرَى بَيْنَ رُؤَسَاءِ يَهُوذَا، لأَنْ مِنْكِ يَخْرُجُ مُدَبِّرٌ يَرْعَى شَعْبِي إِسْرَائِيلَ».

٧حِينَئِذٍ دَعَا هِيرُودُسُ الْمَجُوسَ سِرًّا، وَتَحَقَّقَ مِنْهُمْ زَمَانَ النَّجْمِ الَّذِي ظَهَرَ. ٨ثُمَّ أَرْسَلَهُمْ إِلَى بَيْتِ لَحْمٍ، وَقَالَ:«اذْهَبُوا وَافْحَصُوا بِالتَّدْقِيقِ عَنِ الصَّبِي. وَمَتَى وَجَدْتُمُوهُ فَأَخْبِرُونِي، لِكَي آتِي أَنَا أَيْضًا وَأَسْجُدَ لَهُ». ٩فَلَمَّا سَمِعُوا مِنَ الْمَلِكِ ذَهَبُوا. وَإِذَا النَّجْمُ الَّذِي رَأَوْهُ فِي الْمَشْرِقِ يَتَقَدَّمُهُمْ حَتَّى جَاءَ وَوَقَفَ فَوْقُ، حَيْثُ كَانَ الصَّبِي. ١٠فَلَمَّا رَأَوْا النَّجْمَ فَرِحُوا فَرَحًا عَظِيمًا جِدًّا. ١١وَأَتَوْا إِلَى الْبَيْتِ، وَرَأَوْا الصَّبِي مَعَ مَرْيَمَ أُمِّهِ. فَخَرُّوا وَسَجَدُوا لَهُ. ثُمَّ فَتَحُوا كُنُوزَهُمْ وَقَدَّمُوا لَهُ هَدَايَا: ذَهَبًا وَلُبَانًا وَمُرًّا. ١٢ثُمَّ إِذْ أُوحِيَ إِلَيْهِمْ فِي حُلْمٍ أَنْ لاَ يَرْجِعُوا إِلَى هِيرُودُسَ، انْصَرَفُوا فِي طَرِيقٍ أُخْرَى إِلَى كُورَتِهِمْ.

١٣وَبَعْدَمَا انْصَرَفُوا، إِذَا مَلاَكُ الرَّبِّ قَدْ ظَهَرَ لِيُوسُفَ فِي حُلْمٍ قَائِلًا:«قُمْ وَخُذِ الصَّبِي وَأُمَّهُ وَاهْرُبْ إِلَى مِصْرَ، وَكُنْ هُنَاكَ حَتَّى أَقُولَ لَكَ. لأَنَّ هِيرُودُسَ مُزْمِعٌ أَنْ يَطْلُبَ الصَّبِي لِيُهْلِكَهُ».

١٤فَقَامَ وَأَخَذَ الصَّبِي وَأُمَّهُ لَيْلًا وَانْصَرَفَ إِلَى مِصْرَ. ١٥وَكَانَ هُنَاكَ إِلَى وَفَاةِ هِيرُودُسَ. لِكَى يَتِمَّ مَا قِيلَ مِنَ الرَّبِّ بِالنَّبِي الْقَائِلِ:«مِنْ مِصْرَ دَعَوْتُ ابْنِي».

١٦حِينَئِذٍ لَمَّا رَأَى هِيرُودُسُ أَنَّ الْمَجُوسَ سَخِرُوا بِهِ غَضِبَ جِدًّا. فَأَرْسَلَ وَقَتَلَ جَمِيعَ الصِّبْيَانِ الَّذِينَ فِى بَيْتِ لَحْمٍ وَفِى كُلِّ تُخُومِهَا، مِنِ ابْنِ سَنَتَيْنِ فَمَا دُونُ، بِحَسَبِ الزَّمَانِ الَّذِى تَحَقَّقَهُ مِنَ الْمَجُوسِ. ١٧حِينَئِذٍ تَمَّ مَا قِيلَ بِإِرْمِيَا النَّبِى الْقَائِلِ: ١٨«صَوْتٌ سُمِعَ فِى الرَّامَةِ، نَوْحٌ وَبُكَاءٌ وَعَوِيلٌ كَثِيرٌ. رَاحِيلُ تَبْكِى عَلَى أَوْلاَدِهَا وَلاَ تُرِيدُ أَنْ تَتَعَزَّى، لأَنَّهُمْ لَيْسُوا بِمَوْجُودِينَ».

١٩فَلَمَّا مَاتَ هِيرُودُسُ، إِذَا مَلاَكُ الرَّبِّ قَدْ ظَهَرَ فِى حُلْمٍ لِيُوسُفَ فِى مِصْرَ ٢٠قَائِلًا:«قُمْ وَخُذِ الصَّبِي وَأُمَّهُ وَاذْهَبْ إِلَى أَرْضِ إِسْرَائِيلَ، لأَنَّهُ قَدْ مَاتَ الَّذِينَ كَانُوا يَطْلُبُونَ نَفْسَ الصَّبِيِّ». ٢١فَقَامَ وَأَخَذَ الصَّبِي وَأُمَّهُ وَجَاءَ إِلَى أَرْضِ إِسْرَائِيلَ. ٢٢وَلكِنْ لَمَّا سَمِعَ أَنَّ أَرْخِيلاَوُسَ يَمْلِكُ عَلَى الْيَهُودِيَّةِ عِوَضًا عَنْ هِيرُودُسَ أَبِيهِ، خَافَ أَنْ يَذْهَبَ إِلَى هُنَاكَ. وَإِذْ أُوحِىَ إِلَيْهِ فِى حُلْمٍ، انْصَرَفَ

إِلَى نَوَاحِي الْجَلِيلِ. ٢٣وَأَتَى وَسَكَنَ فِي مَدِينَةٍ يُقَالُ لَهَا نَاصِرَةُ، لِكَي يَتِمَّ مَا قِيلَ بِالأَنْبِيَاءِ:«إِنَّهُ سَيُدْعَى نَاصِرِيًّا»".

وأول شىء على هذا النص المسلّى الظريف أن متى هو الوحيد الذى كتب عن هذه الحكاية الخرافية التى لا يتقبلها من العقول سوى عقول المعاتيه من أمثال توما الأكوينى، إذ ما الذى جاء بالشامى على الحامى؟ نحن هنا فى موضوع المسيح، وهو مكلف بدعوة خراف بنى إسرائيل الضالة، فما دخل المجوس بهذا الموضوع، وهو ليس من شغلهم؟ هل كانوا ناسا فاضين لا شغلة ولا مشغلة فقالوا فى عقل بالهم: لم لا نذهب إلى بنى إسرائيل ونبحث عن ملك اليهود؟ لكن لماذا يبحثون عن ملك اليهود، وهم لا يهود ولا مسلمون ولا حتى من حماس ولا أبوهم هاجر من فلسطين ويريدون أن يروا أرض الآباء والأجداد ولا كانت الفكرة مطروحة فى بلادهم ولا تشغلهم فى قُلٍّ أو كُثْرٍ؟ بل كيف عرفوا أن طفلا قد وُلِد وأنه سوف يكون ملكا لليهود؟ ويا ترى أين ذهب الذهب واللبان والمر الذى أحضره أولئك المجوس؟ لم نسمع أن مريم كانت تمضع اللادن، ولا أن يوسف النجار قد اشترى بالذهب قطعة أرض يبنى عليها بيتا عليه القيمة وفى الطابق

الأرضى منه مغلق خشب وورشة نجارة تمام التمام ويتحول من نجار باب وشباك باليومية إلى معلم كبير ويدخل دنيا ويودع عيشة المعاناة والفقر. لكن للأسف سكتت الحدوتة عن هذه النقطة وتركتنا نفرك ونتفزز جراء الجهل بنهاية الحدوتة. منه لله كاتبها! طيب، والآن وقد أتى المجوس من بلادهم ليس معهم بوصلة ولا خريطة بل نجم فى السماء يهتدون به وكأن النجم يظهر ليلا ونهارا لا يختفى أبدا ويتحرك دون النجوم جميعا من موضعه ومن الشرق إلى الغرب، ماذا فعلوا بعدما رأوا الطفل الرضيع، الذين قالوا إنه سيكون ملكا على اليهود رغم أنه لم يصر ملكا بل لم يعلن أنه يريد المُلْك؟ ترى هل صاروا نصارى يتبعون تعاليمه وينشرون دعوته فى بلاد المجوس رغم أن دعوته هذه ليست لأحد غير بنى إسرائيل، بل لم تكن قد بدأت بعد لأن الأطفال الرضع لا يكونون أنبياء؟ وكيف وقف النجم فوق الموضع الذى فيه يسوع الرضيع؟ أوقد أرسل النجم سهما ناريا ساطعا نازلا من السماء حيث وقف ومستقرا فوق المبنى الذى كان فيه مزود يرقد فيه يسوع الصغير؟ لقد كان الأولى بذلك كله اليهود لأنه سوف يكون ملكهم هم لا ملك المجوس. العقل والمنطق يقولان هذا يا خَلْق هُوهْ! وعبثا تبحث

عن مغزى هذه الحدوتة وعن نتائجها فلا تجد فى يدك شيئا غير فقاعة هوائية ما إن استقرت فى راحتك حتى انفثأت وطارت أدراج الرياح. ولننس هذا كله ونسأل: أين المعجزة هنا؟ الجواب: لا معجزة هنا ولا يحزنون. وحتى لو كانت معجزة، وهى ليست بها، فلسوف تكون معجزة لهؤلاء المجوس. لقد كان يسوع رضيعا كل ما يمكنه فعله كأى رضيع هو مص اللبن من ثدى أمه ثم التخلص من الطعام بعد هضمه. وهكذا ننتهى من حكاية المعجزات ونقول لتوما الأكوينى: ربنا يشفى الكلاب ويضرّك!

وعلى كل حال هذه بعض معجزات سيد ولد آدم عليه السلام، وقد بلغ بها بعضهم المئات. وأولاها القرآن الكريم بما فيه من أسلوب متميز وسامق تمام السموق لا يرقى إليه راق، وإخباره عن عدد من الغيوب التى تحققت كما قال بالضبط كإنبائه بهزيمة الفرس فى غضون سنوات قلائل بعد انتصارهم المؤزر على الروم وتأكيده قبيل غزوة الحديبية أن المسلمين سيدخلون مكة للحج وأنهم سوف يفتحون القسطنطينية، وأن الإسلام سوف يبلغ من الأرض ما يبلغ الليل والنهار وأن الأمم سوف تتداعى على المسلمين لنهشهم وهبرهم كما يتداعى الآكلون إلى الطعام وأنهم

عندئذ لن تكون لهم أية قيمة بل غثاء كغثاء السيل، وهو ما نمر به منذ قرون منذ صرنا نُسْتَعْمَر وتُحْتَلّ بلادنا ونُقَسَّم، وقد بلغ ذروته فى قضية فلسطين التى تكاد أن تضيع منا كلها هذه الأيام إن لم يتدارك الله أهل فلسطين برحمته وكرمه. ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم تشريعات دينه التى لا يوجد مثيل لها فى التوراة أو فى الإنجيل وتغطى كل شىء فى الحياة وتعين البشر على بلوغ أعلى أفق ممكن لو فهموها وعملوا بها. ومثال واحد يكفى للتدليل على ما نقول: ففى النصرانية لا يوجد نظام للنهوض بأوضاع الفقراء والمسحوقين فى المجتمع بينما أوجد الإسلام نظاما مفصلا للزكوات والصدقات طوال العام وفى المناسبات الدينية ولأوهى الأسباب كالتكفير عن اليمين. كذلك فالقرآن يزخر بكثير من الإشارات العلمية والأسرار الكونية التى تتضح لنا كلما أوغلنا فى مضمار الحضارة، وكانت ولا تزال سببا فى اعتناق العلماء والمفكرين غير المسلمين للإسلام. ومن معجزات الرسول عليه السلام معجزة الإسراء والمعراج، ومعجزة انشقاق القمر، ومعجزة تكثير القليل من الطعام بين يديه صلى الله عليه وسلم حتى أكل كل الجيش وزيادة، ومعجزة نبع الماء من بين أصابعه بغزارة

أروت عطش الجنود كلهم وأتاحت لهم الوضوء، ومعجزة حَنِين الجذع إليه فى المسجد لما فارقه صلى الله عليه وسلم إلى المنبر، ومعجزة إبراء المرضى، وغير ذلك من المعجزات التى أَلَّفَ العلماء فيها كتبا كـ"دلائل النبوة" للبيهقى، و"أعلام النبوة" للماوردى مثلا.

وتلآن إلى التهمة التالية، وهى أن الإسلام انتشر بالقوة المسلحة والإكراه لا بالعقل والتفكير، إذ كان المسلمون الأوائل بَدْوًا لا علم عندهم ولا يفهمون الدين ولا الحكمة ولا لهم صلة بالتقاليد الدينية القديمة ولا يعرفون غير القوة العسكرية، إنهم أُنَاسٌ عاديّون لا علماء ولا مفكرون ولا يفهمون الدين بشكل صحيح، بل جهلة فى أمور الدين وفى الإنسانية.

لكن ألم يقرإ الأكوينى الأناجيل وأن أحبار اليهود المتعمقين فى الدين والتقاليد القديمة ولم يكونوا ناسا عاديين ولا بَدْوًا متخلفين، بل كانوا علماء كبارا، هم الذين رفضوا المسيح وكذبوه وتآمروا عليه حتى صلب وقتل حسبما يقولون؟ ألا يعرف أن أتباع المسيح كانوا فى معظمهم من الطبقات الدنيا من قاع المجتمع

بلا أية ثقافة أو فهم، ومن العُمْيان والعُرْجان والبُرْصان الذين كل همهم أن يشفيهم المسيح ولا شىء آخر، ثم إنهم ومعهم تلاميذ المسيح الكبار المقربون قد تخلَّوْا عنه ساعة الجِدّ حين قُبِض عليه وصُلِب ودُقَّت يداه ورجلاه بالمسامير لتثبيته على الصليب وضُرِب بالحربة فى جنبه وأُهِين وسُخِر به، وهو ما لم يفعله أتباع محمد من البدو الجهلة حسبما يصفهم الأكوينى الكذاب، وكأن أتباع المسيح كانوا من عباقرة العلماء وجهابذة رجال الدين ومن الملمين بالتاريخ الروحى للبشرية ومن أساتذة الجامعة المخضرمين اللواذعة، وليسوا مثل العبد لله المحتاس الذى لم يفلح فى أى شىء قط؟ أم ترى كان عيسى يلقى عليهم محاضرات فى قاعات الجامعات طبقا لكتب مقررة تقوم على دراسة الأديان العالمية والموازنة بينها ويطلب منهم الاستزادة من المصادر والمراجع والمعاجم والموسوعات العامة والمتخصصة وكتابة الأبحاث ويمتحنهم فى آخر كل فصل دراسى ولا يقبل فى دينه إلا الحاصلين على تقدير الامتياز والجيد جدا، بينما يطرد مَنْ هم دون ذلك من الجامعة إلى الظُّلْمَةِ الْخَارِجِيَّةِ والثلوج المهلكة حيث يَكُونُ الْبُكَاءُ وَصَرِيرُ الأَسْنَانِ؟ ترى هل كان أبو بكر الصديق بدويا؟ هل كان عمر

الفاروق بدويا؟ هل كان عثمان بدويا؟ هل كان ابن أبى طالب بدويا؟ هل هل هل هل؟ الواقع أنه لم يُتْعِب الرسولَ فى دعوته أحدٌ أكثرُ من البدو يا متخلف! والبدو هم آخر ناس أسلموا، وكان صلى الله عليه وسلم صبورا عليهم يتحمل خشونتهم ورعونتهم ويعالج بحكمة بالغة حبهم للدنيا وضيق أفقهم وعدم تحضرهم، ونجح نجاحا هائلا فى تطويعهم لقيم الدين الجديد كما لم يصنع أحد آخر من قبل ولا من بعد. وانظر يا متخلف كيف تحدث القرآن عن الأعراب لتعرف أنك جاهل تلقى الكلام على عواهنه ولا تدرس الموضوع الذى تتحدث فيه على النحو المطلوب لأن حقدك يحجزك عن التعلم والفهم والتعمق. إن الأكوينى يردد ما كان يقوله المتغطرسون من قوم كل نبى عمن يتبعونه منهم، إذ كانوا يصفونهم بـ"الأراذل" ويستعرّون من فقرهم ويريدون أن يكون النبى من بينهم هم وغنيا مثلهم. ومع ذلك فإن أولئك الأثرياء المتغطرسين قد انتهوا فى حالة نبينا عليه السلام إلى الدخول فى دينه والانقياد له.

ونقول للأكوينى، وهو يُشْوَى ويُقْلَى ويُسْلَق الآن فى نار جهنم ويغيرون له جلده النجس، كلما احترق، بجلد آخر من نعال

الصرم القديمة: لنفترض يا أكوينى أن المسلمين فى عهد رسول الله كلهم بدو، أفليس هؤلاء البدو، بأعدادهم الهزيلة وإمكاناتهم الضئيلة وخبراتهم المحدودة جدا جدا جدا فى ميدان السياسة والحروب، هم من فتحوا العالم وجابهوا أكبر إمبراطوريتين وقتذاك ومزقوهما شر ممزق، وأسسوا حضارة عظيمة كانوا هم سادتها وقادتها لقرون طوال، وأفرزوا ثقافة راقية سامِيَة سامقة كانت هى أهم أسس الحضارة الأوربية الحالية؟ أليس قد جعل الإسلام الذى اتبعه ونصره هؤلاء البدو طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة، وهوما سبق به الإسلام الحضارة الحديثة، التى أقصى ما بلغته فى هذا المضمار أنْ جعلت التعليم حقا لكل مواطن، وهو ما يعنى أن من حق المواطن أيضا أن يرفض الانتفاع بحقه على عكس ما لو كان طلب العلم فريضة على كل فرد، وذلك فى الوقت الذى كانت الكنيسة يا متخلف تحرم على أتباعها قراءة الكتاب المقدس كما كتب البروفسور ستيفن فى كتابه: "Muhammad and Learning". فانظر يا متخلف فرق ما بين من تسميهم: "البدو" وبين مثقفيك صيادى السمك (البمبوطية) ونجّارى الباب والشباك والبُرْص والعُرْج والأشلّاء والمهلوسين

خريجى مستشفيات الأمراض والمزمنة والخانكة، خيبة الله عليك يا أكوينى! والمضحك أنهم يعدونك فيلسوفا. هل هناك من فى عقله ذرة من الفهم والتمييز يعبد بشرا مثله يا متخلف؟ ومع هذا فلا يزال الإسلام بوضعه الحالى الذى لا يسر عدوا ولا صديقا، جراء ما استحقه أتباعه مما جرى لهم ومنهم وعليهم من ضعف وهوان واحتلال واستعمار وتبعية، لا يزال دينا عالميا يعتنقه الناس فى كل مكان من كل الطبقات والرتب والمهن بما فى ذلك رجال الأعلام وأبطال الرياضة وأساتذة الجامعات وكبار الساسة... وكل هذا رغم الضعف والهوان المزرى الذى يخيم على بلاد العرب والمسلمين وتخلِّى الحكومات الإسلامية بوجه عام عن الاهتمام بالدعوة إلى دين محمد، إن لم يكن بعضها متواطئا مع أعدائه.

ثم ما رأى ذلك المتخلف المغلق الذهن والمشاعر فى الملايين التى اعتنقت الإسلام بعيدا عن الفتوح تلك التى يتهمها زورا وبهتانا وضلالا بأنها هى السبب فى دخول الملايين المملينة فى هذا الدين من خلال القوة العسكرية القُحّ، والتى رغم هذا لم تكره أحدا يوما على ذلك بل كان المطلوب ممن لا يريد دخول الدين الجديد دفع عدة دراهم فى العام لقاء إعفائهم من الانخراط فى

الجيش ودفاع الدولة عنهم، فى مقابل ما يدفعه المسلم من زكاة وصدقات لا تعد الدراهم التى يدفعها غير المسلم بجانبها شيئا ذا بال أو قيمة؟

وكيف يكون الإسلام دينا إكراهيا، ونصوص القرآن والحديث تهاجم الإكراه فى الدين وتحمل عليه حملة لاهبة: فمن آيات القرآن "لا إكراه فى الدين. قد تبيَّن الرشد من الغَىّ"، "وقل: الحقُّ من ربكم. فمن شاء فليؤمن، ومن شاء فليكفر"، "وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ: اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ. إِنَّا عَامِلُونَ * وَانْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ"، "كل نفس بما كسبت رهينة"، "إن تكفروا فإن الله غنى عنكم ولا يرضى لعباده الكفر"، "هو الذى خلقكم: فمنكم كافر، ومنكم مؤمن"، "وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ"، "قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ * لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ * وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ * وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ * وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ * لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِى دِينِ"، "لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِى الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ"،

"وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ".

ومن الأحاديث النبويةالشريفة وآثار الصحابة الكرام "لا تُؤذوا مُسلِمًا بشَتمِ كافرٍ"، "إياكم ودعوةَ المظلومِ، وإنْ كانتْ مِنْ كافرٍ، فإنَّه ليسَ لَها حجابٌ دونَ اللهِ عزَّ وجلَّ"، "مَنْ آذى ذِمّيًا فأنا خَصْمُهُ"، "أَلَا من ظلَمَ مُعاهَدًا أو انتقصَه أو كلَّفه فوقَ طاقتِه أو أخذ منه شيئًا بغيرِ طيبِ نفسٍ فأنا حجيجُه يومَ القيامةِ"، "سافَرتُ مع النَّبي ﷺ غَيرَ مَرَّةٍ، فما رَأيتُه مَرَّ بجيفةِ إنسانٍ إلّا أَمَرَ بدَفنِه، لا يَسأَلُ: أمُسلِمٌ هو، أم كافِرٌ؟"، "عن ابنِ عباسٍ قالَ: كانتِ المرأةُ تكونُ مِقْلاةً فتجعلُ على نفسِها إن عاشَ لها ولدٌ أن تهوّدَه. فلما أجليتْ بنو النضيرِ كان فيهم من أبناءِ الأنصارِ، فقالوا: لا ندعُ أبناءَنا. فأنزلَ اللهُ عز وجل: لا إكراهَ فى الدينِ"، "(عن أبى هريرة) أنَّ رَسولَ اللهِ ﷺ ضافَهُ ضَيْفٌ (نزل عنده ضيف) وَهو كافِرٌ، فأمَرَ له رَسولُ اللهِ ﷺ بشاةٍ فَحُلِبَتْ، فَشَرِبَ حِلابَها، ثُمَّ أُخْرى فَشَرِبَهُ، ثُمَّ أُخْرى فَشَرِبَهُ، حتّى شَرِبَ حِلابَ سَبْعِ شِياهٍ...". ولو كان الإسلام يكره الناس على الدخول فيه ما قبل النبي، لدن مُهَاجَره إلى يثرب، اليهود معه هناك ولأخرجهم أو

يسلموا. لكنه لم يفعل هذا ولا ذاك بل كتب الصحيفة بينه وبينهم على التساوى فى الحقوق والواجبات رأسا برأس. كما كان صلى الله عليه وسلم يعقد معاهدات وموادعات بينه وبين بعض القبائل المشركة لا يجد حرجا فى ذلك. ولدى دخوله مكة فاتحا لم يكره أحدا على اعتناق دينه رغم أنه كان فى قمة القوة والانتصار ورغم كل ما تحمّله هو والمسلمون منهم قبل تركهم مكة من أذى ومصادرة للممتلكات وإزهاق للارواح. وطوال مُقَامه فى مكة لم يعتنق أحد الإسلام كرها وغصبا على الإطلاق. وهى نفس الخطة التى اتبعها فى المدينة. ولو كان الإكراه جائزا فى الإسلام لأجبر أسارى المشركين فى بدر مثلا على التحول لدينه. وفى ضوء هذا نستطيع أن نقرأ ما يلى: "كتب أبو موسى إلى دِهقانٍ يسلِّم عليه فى كتابِه، فقيل له: أَتُسلِّمُ عليه وهو كافرٌ؟ قال: إنه كتب إلى فسلَّم على، فرددتُ عليه". وهذا مجرد مثال.

ونحن نعرف كيف دخلت خديجة وعلىٌّ وزيد بن حارثة وأبو بكر وعثمان وعمر وبلال وخباب بن الأرت وعمار بن ياسر وسمية وصهيب الرومى وجبر ويسار فى الإسلام، ولم يكن فى الأمر شىء إلا القبول الحر المطلق من تلقاء أنفسهم. بل لقد كان عمر ينوى

يوم دخوله فى الإسلام الاعتداء على رسول الله صلى الله عليه وسلم، لكن كان للأقدار كلمة أخرى، فأسلم بملء حريته وانقلب بعدها انقلابا عظيما. ونعرف أيضا كيف أسلم حمزة عم الرسول، وكان رجلا لاهيا مغرما بالصيد لا يبالى بالدين الجديد، لكنه لما علم أن أبا جهل أساء إلى الرسول عند الكعبة انطلق إلى هناك وضرب أبا جهل بالقوس على رأسه، فلم يجرؤ على الرد، ثم أعلن حمزة إسلامه وتحدى الجميع.

وعندنا أبو ذر، وقصة إسلامه تنبئنا أن من كان يبتغى الإسلام كان يفكر فى الأمر جيدا قبل أن يسلم، ولم يقع أن أسلم أحد جبرا. تقول قصته: "خرَجْنا فى قومِنا غِفارٍ، وكانوا يُحِلُّونَ الشَّهرَ الحرامَ، فخرَجْتُ أنا وأخى أُنَيْسٌ وأُمُّنا فنزَلْنا على خالٍ لنا، فأكرَمَنا خالُنا وأحسَنَ إلينا، فحسَدَنا قومُه فقالوا: إنَّكَ إذا خرَجْتَ عن أهلِكَ خالَفَكَ إليهم أُنَيْسٌ. فجاء خالُنا فذكَرَ الَّذى قيل له، فقُلْتُ: أمّا ما مضى من معروفِكَ فقد كدَّرْتَه ولا حاجةَ لنا فيما بعدُ. قال: فقدَّمْنا صِرْمَتَنا فاحتَمَلْنا عليها فانطلَقْنا حتّى نزَلْنا بحضرةِ مكَّةَ. قال: وقد صلَّيْتُ يا ابنَ أخى قبْلَ أنْ ألقى رسولَ اللهِ ﷺ. قال: قُلْتُ: لِمَن؟ قال: للهِ. قُلْتُ: فأينَ تَوَجَّهُ؟ قال: أتوجَّهُ حيثُ

يوجِّهُنى ربِّى. أُصلِّى عشيًّا حتّى إذا كان مِن آخِرِ اللَّيلِ أُلقِيتُ حتّى تعلونى الشَّمسُ. قال أُنَيسٌ: إنَّ لى حاجةً بمكَّةَ. فانطلق أُنَيْسٌ حتّى أتى مكَّةَ. قال: ثمَّ جاء فقُلْتُ: ما صنَعْتَ؟ قال: لقِيتُ رجُلًا بمكَّةَ على دِينِك يزعُمُ أنَّ اللّهَ أرسَله. قال: قُلْتُ: فما يقولُ النّاسُ؟ قال: يقولونَ: شاعِرٌ كاهِنٌ ساحِرٌ. قال: فكان أُنَيْسٌ أحَدَ الشُّعراءِ. قال أُنَيْسٌ: لقد سمِعْتُ قولَ الكَهَنةِ وما هو بقولِهم. ولقد وضَعْتُ قولَه على أَقْراءِ الشّعرِ فما يلتَئِمُ على لسانِ أحدٍ بعدى أنَّه شِعرٌ. واللّهِ إنَّه لَصادقٌ، وإنَّهم لَكاذِبونَ. قال: قُلْتُ: فاكْفِنى حتّى أذهَبَ فأنظُرَ. فأتَيْتُ مكَّةَ فتضيَّفْتُ رجُلًا منهم فقُلْتُ: أينَ هذا الَّذى تَدْعونَه: الصّابِئُ؟ قال: فأشار إلى وقال: الصّابِئُ! قال: فمال علَى أهلُ الوادى بكلِّ مَدَرةٍ وعَظْمٍ حتّى خرَرْتُ مغشيًّا علَى فارتفَعْتُ حينَ ارتفَعْتُ كأنّى نُصُبٌ أحمَرُ، فأتَيْتُ زَمْزَمَ فغسَلْتُ عنّى الدِّماءَ وشرِبْتُ مِن مائِها. وقد لبِثْتُ ما بَيْنَ ثلاثينَ مِن ليلةٍ ويومٍ ما لى طعامٌ إلّا ماءُ زَمْزَمَ، فسمِنْتُ حتّى تكسَّرَتْ عُكَنُ بطنى، وما وجَدْتُ على كبِدى سَخْفةَ جُوعٍ. قال: فبَيْنا أهلُ مكَّةَ فى ليلةٍ قَمْراءَ إِضْحِيانٍ إذ ضُرِب على أَسْمِخَتِهم، فما يطوفُ بالبيتِ أحَدٌ وامرأتانِ منهم تَدْعوانِ إِسافًا ونائلةَ. قال: فأتَتا علَى فى

طوافِهما، فقُلْتُ: أنكِحا أحدَهما الآخَرَ. قال: فما تَناهَتا عن قولِهما، فأتَتا علَى فقُلْتُ: هن مِثْلُ الخشَبةِ. فرجَعتا تقولانِ: لو كان ها هنا أحَدٌ! فاستقبلَهما رسولُ اللهِ ﷺ وأبو بكرٍ وهما هابطتانِ فقال: ما لكما؟ قالتا: الصّابئُ بيْنَ الكعبةِ وأستارِها! قالا: ما قال لكما؟ قالتا: إنَّه قال لنا كلمةً تملأُ الفمَ. قال: وجاء رسولُ اللهِ ﷺ حتّى استلَمَ الحَجَرَ ثمَّ طاف بالبَيْتِ هو وصاحبُه ثمَّ صلّى، فقال أبو ذرٍّ: فكُنْتُ أوَّلَ مَن حيّاه بتحيَّةِ الإسلامِ قال: وعليكَ ورحمةُ اللهِ. ثمَّ قال: ممَّنْ أنتَ؟ فقُلْتُ: مِن غِفارٍ. قال: فأهوى بيدِه ووضَع أصابعَه على جبهتِه، فقُلْتُ فى نفسى: كرِه أنِّى انتمَيْتُ إلى غِفارٍ. قال: ثمَّ رفَع رأسَه وقال: مُذْ متى كُنْتَ ها هنا؟ قال: كُنْتُ ها هنا مِن ثلاثينَ بيْنَ يومٍ وليلةٍ. قال: فمَن كان يُطعِمُكَ؟ قُلْتُ: ما كان لى طعامٌ إلّا ماءُ زَمْزَمَ فسمِنْتُ حتّى تكسَّرَتْ عُكَنُ بطنى. قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: إنَّها مُبارَكةٌ. إنَّها طعامُ طُعْمٍ. فقال أبو بكرٍ: يا رسولَ اللهِ، ائذَنْ لى فى طعامِه اللَّيلةَ. فانطلَق رسولُ اللهِ ﷺ وأبو بكرٍ، فانطلَقْتُ معهما، ففتَح أبو بكرٍ بابًا فجعَل يقبِضُ لنا مِن زبيبِ الطّائفِ، فكان ذلك أوَّلَ طعامٍ أكَلْتُه بها. ثمَّ غبَرْتُ ما غبَرْتُ ثمَّ أتَيْتُ رسولَ اللهِ ﷺ فقال: إنّه قد وُجِّهَتْ لى أرضٌ ذاتُ نخلٍ ما

أُراها إلّا يَثْرِبَ. فهل أنتَ مُبلّغٌ عنِّى قومَك عسى اللهُ أنْ يهديَهم بكَ ويأجُرَك فيهم؟ قال: فانطلَقْتُ فلقِيتُ أُنَيْسًا فقال: ما صنَعْتَ؟ قُلْتُ: صنَعْتُ أنِّى قد أسلَمْتُ وصدَّقْتُ. قال: ما بى رغبةٌ عن دِينِك، فإنِّى قد أسلَمْتُ وصدَّقْتُ. قال: فأتَيْنا أمَّنا، فقالت: ما بى رغبةٌ عن دِينِكما، فإنِّى قد أسلَمْتُ وصدَّقْتُ. فاحتَمْلنا حتّى أتَيْنا قومَنا غِفارًا، فأسلَمَ نِصفُهم، وكان يؤُمُّهم إيماءُ بنُ رَحَضَةَ، وكان سيِّدَهم. وقال نِصْفُهم (أى نصفهم الآخر): إذا قدِم رسولُ اللهِ ﷺ المدينةَ أسلَمْنا. فلمّا قدِم رسولُ اللهِ ﷺ المدينةَ أسلَمَ نِصْفُهم الباقى، وجاءتْ أسلَمُ فقالوا: يا رسولَ اللهِ، إخوانُنا. نُسْلِمُ على الَّذى أسلَموا عليه. فقال رسولُ اللهِ ﷺ: غِفارُ غفَرَ اللهُ لها، وأسلَمُ سالَمَها اللهُ".

وهذه قصة إسلام ركانة: "كانَ رجلٌ مِن بَنى هاشمٍ يقالُ لَهُ: رُكانَة، وَكانَ مِن أقتلِ النّاسِ وأشدِّهِ، وَكانَ مشرِكًا، وَكانَ يرعى غنمًا لَهُ فى وادٍ يقالُ لَهُ: إضَمٌ، فخرجَ نبى اللَّهِ ﷺ من بيتِ عائشةَ ذاتَ يومٍ فتوجَّهَ قِبَلَ ذلكَ الوادى، فلقيَهُ رُكانةُ، وليسَ معَ النَّبى ﷺ أحدٌ، فقامَ إليهِ رُكانةُ فقالَ: يا محمَّدُ، أنتَ الَّذى تشتُمُ آلِهَتَنا اللّاتَ والعزّى، وتدعو إلى إلَهِكَ العزيزِ الحكيمِ؟ ولولا رحِمٌ بينى

وبينَكَ ما كلَّمتُكَ الكلامَ. ولَكِنِ ادعُ إلَهَكَ العزيزَ الحَكيمَ يُنْجِيكَ منِّى، وسأعرِضُ عليكَ أمرًا: هل لَكَ أن أصارعَكَ وتدعو إلَهكَ العزيزَ الحَكيمَ يعينُكَ على، فأَنا أدعو اللّاتَ والعزّى، فإن أنتَ صرعتَنى فلَكَ عَشْرٌ مِن غَنمى هذِهِ تختارُها؟ فقالَ عندَ ذلِكَ نبى اللَّهِ ﷺ: نعَم إن شئتَ. فاتَّخذا، ودعا نبى اللَّهِ ﷺ إلَهَهُ العزيزَ الحَكيمَ أن يعينَهُ على رُكانَه، ودعا رُكانةُ اللّاتَ والعزّى: أعِنِّى اليومَ على محمَّدٍ. فأخذَهُ النَّبى ﷺ فصرعَهُ وجلسَ على صَدرِهِ، فقالَ رُكانةُ: قُم فلستَ أنتَ الَّذى فعلتَ بى هذا، إنَّما فعلَهُ إلَهُكَ العزيزُ الحَكيمُ، وخذلَهُ اللّاتُ والعزّى، وما وضعَ جنبى أحدٌ قبلَكَ. فقالَ لَهُ رُكانَه: عُدْ، فإن أنتَ صرعتَنى فلك عَشْرٌ أخرى تختارُها. فأخذَهُ نبى اللَّهِ ﷺ، ودعا كلٌّ واحدٍ منهما إلَهَهُ كما فعلا أوَّلَ مرَّةٍ، فصرعَهُ نبى اللَّهِ ﷺ فجلَسَ على كبدِهِ، فقالَ لَهُ رُكانةُ: قُم، فلستَ أنتَ الَّذى فعلتَ بى هذا، إنَّما فعلَهُ إلَهُكَ العزيزُ الحَكيمُ، وخذلَهُ اللّاتُ والعزّى، وما وضعَ جنبى أحدٌ قبلَكَ. فقالَ لَهُ رُكانَه: عُدْ، فإن أنتَ صرعتَنى فلَكَ عشرٌ أخرى تختارُها. فأخذَهُ نبى اللَّهِ ﷺ، ودعا كلٌّ واحدٍ منهُما إلَهَهُ، فصرعَهُ نبى اللَّهِ ﷺ الثّالثةَ، فقالَ لَهُ رُكانةُ: لَستَ أنتَ الَّذى فعلتَ بى هذِهِ، وإنَّما فعلَهُ إلَهُكَ العزيزُ الحَكيمُ، وخذلَهُ

اللّاتُ والعزّى. فَدونَكَ ثلاثينَ شاةً مِن غنَمى فاختَرها. فقالَ لَهُ النَّبى ﷺ: ما أريدُ ذلِكَ، ولَكِنّى أدعوكَ إلى الإسلامِ يا رُكانةُ، وأنفِسُ بِكَ أن تصيرَ إلى النّارِ. إنَّكَ إن تُسلِم تَسْلَم. فقالَ لَهُ رُكانةُ: لا، إلّا أن ترَينى آيةً. فقالَ لَهُ نبى اللَّهِ ﷺ: اللَّهُ عليكَ شَهيدٌ إن أنا دَعَوتُ ربِّى فأريتُكَ آيةً لَتجيبنَّنى إلى ما أدعوكَ إليهِ؟ قالَ: نعَم. وقريبٌ منهُ شجرةُ سَمُرٍ ذاتُ فروعٍ وقضبانٍ، فأشارَ إليها نبى اللَّهِ ﷺ وقالَ لَها: أقبِلى بإذنِ اللَّهِ. فانشقَّت باثنتينِ، فأقبلتُ على نِصفِ شقِّها وقضبانِها وفروعِها حتّى كانت بينَ يدى نبى اللَّهِ ﷺ وبينَ رُكانةَ، فقالَ لَهُ رُكانةُ: أريتَنى عظيمًا. فمُرْها فلترْجع. فقالَ لَهُ نبى اللَّهِ ﷺ: عليكَ اللَّهُ شَهيدٌ إن أنا دعوتُ ربِّى عزَّ وجلَّ أمرَ بِها فرجعَتْ لتجيبنَّنى إلى ما أدعوكَ إليهِ؟ قالَ: نعَم. فأمرَها، فرجعت بقُضْبانِها وفروعِها حتّى التأمَت بشقِّها، فقالَ لَهُ النَّبى ﷺ: أسلِم تسلَم. فقالَ لَهُ رُكانةُ: ما بى إلّا أن أكونَ رأيتُ عظيمًا، ولَكِنّى أَكْرَهُ أن تتحدَّثَ نساءُ المدينةِ وصبيانُهُم أنّى إنَّما جئتُكَ لرعبٍ دخلَ قلبى منكَ. ولَكِن قد علمتْ نساءُ أَهْلِ المدينةِ وصبيانُهُم أنَّهُ لم يَضع جنبى قطُّ، ولم يدخل قلبى رعبٌ ساعةً قطُّ ليلًا ولا نَهارًا، ولَكِن دونَكَ فاختر غنمَكَ. فقالَ لَهُ النَّبى ﷺ: ليست لى حاجةٌ إلى

غنمكَ إذ أبيتَ أن تُسْلِمَ. فانطلقَ نبى اللَّهِ ﷺ راجعًا، وأقبلَ أبو بَكْرٍ وعمرُ رضى اللَّهُ عنهما يلتمِسانِهِ فى بيتِ عائشةَ، فأخبرتْهما أَنَّهُ قد توجَّهَ قِبَلَ وادى إضَمٍ. وقد عُرِفَ أَنَّهُ وادى رُكانةَ لا يَكادُ يخطئُهُ، فخرجا فى طلبِهِ وأشفَقا أن يلقاهُ رُكانةُ فيقتله فجعلا يصعدانِ على كلِّ شرفٍ ويتشرَّفانِ مخرجًا لَهُ إذ نظرا إلى نبى اللَّهِ ﷺ مقبلًا فقالا: يا نبى اللَّهِ، كيفَ تخرجُ إلى هذا الوادى وحدَكَ وقد عَرفتَ أَنَّهُ جِهَةُ رُكانةَ وأَنَّهُ من أقتلِ النّاسِ وأشدِّهم تَكْذيبًا لَكَ؟ فضَحِكَ إليهما النَّبى ﷺ ثمَّ قالَ: أليسَ يقولُ اللَّهُ عزَّ وجلَّ لى: "واللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النّاسِ"؟ إنَّهُ لم يكُن يَصِل إلى واللَّهُ معى. فأنشأَ يحدِّثُهما حديثَهُ والَّذى فعلَ بِهِ والَّذى أراهُ، فعَجبا من ذلِكَ فقالا: يا رسولَ اللَّهِ، أصَرَعتَ رُكانةَ؟ فلا والَّذى بعثَكَ بالحقِّ ما نعلَمُ أَنَّهُ وضعَ جنبَهُ إنسانٌ قطُّ، فقالَ النَّبى ﷺ: إنِّى دعوتُ ربِّى فأعانَنى عليهِ". وقد أسلم ركانة عقب تلك الواقعة.

ولدينا أيضا قصة اعتناق الطفيل بن عمرو الدَّوْسى: "وكان سيدًا مطاعًا شريفًا فى دوسٍ وكان قد قدم مكةَ فاجتمع بهِ أشرافُ قريشٍ وحذَّروهُ من رسولِ اللهِ ونَهَوْهُ أن يجتمعَ بهِ أو يسمعَ كلامَه. قال: فواللهِ ما زالوا بى حتى أجمعتُ ألا أسمع منهُ

شيئًا ولا أُكلِّمه حتى حشوتُ أذنى حينَ غدوتُ إلى المسجدِ كُرْسُفًا فَرَقًا من أن يَبْلُغنى شيٌء من قولِه وأنا لا أريدُ أن أسمعَه. قال: فغدوتُ إلى المسجدِ، فإذا رسولُ اللهِ ﷺ قائمٌ يصلى عند الكعبةِ. قال: فقمتُ منهُ قريبًا، فأبى اللهُ إلا أن يُسْمِعنى بعض قولِه. قال: فسمعتُ كلامًا حسنًا. قال: فقلتُ فى نفسى: واثُكْلَ أمى! واللهِ إنى لرجلٌ لبيبٌ شاعرٌ ما يَخْفَى على الحسنُ من القبيحِ. فما يمنعنى أن أسمعَ من هذا الرجلِ ما يقول؟ فإن كان الذى يأتى بهِ حسنًا قبلتُه، وإن كان قبيحًا تركتُه. قال: فمكثتُ حتى انصرفَ رسولُ اللهِ ﷺ إلى بيتِه دخلتُ عليهِ فقلتُ: يا محمدُ، إنَّ قومكَ قالوا لى كذا وكذا (الذى قالوا). قال: فواللهِ ما برحوا بى يُخَوِّفوننى أمركَ حتى سددتُ أذنى بكُرْسُفٍ لئلا أسمعَ قولكَ، ثم أبى اللهُ إلا أن يسمعنى قولك، فسمعتُ قولًا حسنًا، فاعْرِضْ على أمركَ. قال: فعرض على رسولُ اللهِ ﷺ الإسلامَ وتلا على القرآنَ، فلا واللهِ ما سمعتُ قولًا قطّ أحسنَ منهُ ولا أمرًا أعدلَ منهُ. قال: فأسلمتُ وشهدتُ شهادةَ الحقِّ وقلتُ: يا نبى اللهِ، إنى امرؤٌ مطاعٌ فى قومى، وإنى راجعٌ إليهم وداعيهم إلى الإسلامِ، فادعُ اللهَ أن يجعلَ لى آيةً تكونُ لى عونًا عليهم فيما أدعوهم إليهِ. قال: فقال: اللهم اجعل لهُ

آيةً. قال: فخرجتُ إلى قومى حتى إذا كنتُ بثَنِيَّةٍ تُطْلِعنى على الحاضرِ وقع بين عينى نورٌ مثلُ المصباحِ. قال: فقلتُ: اللهم فى غيرِ وجهى، فإنى أخشى أن يظنُّوا بها مُثْلَةً وقعتْ فى وجهى لفراقى دينَهم. قال: فتحوَّلَ فوقع فى رأسِ سوطى. قال: فجعل الحاضرون يَتَراءَوْنَ ذلك النورَ فى رأسِ سوطى كالقنديلِ المعلَّقِ وأنا أتهبَّطُ عليهم من الثَّنِيَّةِ حتى جئتُهم فأصبحتُ فيهم. فلما نزلتُ أتانى أبى، وكان شيخًا كبيرًا، فقلتُ: إليك عنى يا أبةِ، فلستُ منك ولستَ منى. قال: ولِمَ يا بنى؟ قال: قلتُ: أسلمتُ وتابعتُ دينَ محمدٍ ﷺ. قال: أى بنى، فدِينُكَ دينى. فقلتُ: فاذهب فاغتسِلْ وطهِّرْ ثيابكَ ثم ائتنى حتى أُعَلِّمَكَ مما عُلِّمْتُ. قال: فذهب فاغتسلَ وطهَّرَ ثيابَه ثم جاء، فعرضتُ عليهِ الإسلامَ، فأسلمَ. قال: ثم أتتنى صاحبَتى، فقلتُ: إليكِ عنى، فلستُ منكِ ولستِ منى. قالت: ولم بأبى أنت وأمى؟ قال: قلتُ: فرَّقَ بينى وبينكِ الإسلامُ، وتابعتُ دينَ محمدٍ ﷺ. قالت: فدينى دينُكَ. قال فقلتُ: فاذهبى إلى حِمَى ذى الشَّرَى فتطهَّرى منهُ، وكان ذو الشَّرى صنمًا لدوسٍ، وكان الحِمَى حِمًى حَمَوْه حولَه بهِ وَشَلٌ من ماءٍ يهبطُ من جبلٍ. قالت بأبى أنت وأمى أتخشى على الصبيةِ من ذى الشَّرى شيئًا؟ قلتُ: لا أنا ضامنٌ

لذلك. قال: فذهبتْ فاغتسلتْ ثم جاءت، فعرضتُ عليها الإسلامَ، فأسلمتْ، ثم دعوتُ دوْسًا إلى الإسلامِ، فأبطأوا على، ثم جئتُ رسولَ اللهِ ﷺ بمكةَ فقلتُ: يا رسولَ اللهِ، إنَّهُ قد غلبنى على دَوْسٍ الزنا، فادعُ اللهَ عليهم. قال: اللهم اهْدِ دوْسًا. ارجع إلى قومك فادعُهم وارفُق بهم. قال: فلم أَزَلْ بأرضِ دوْسٍ أدعوهم إلى الإسلامِ حتى هاجر رسولُ اللهِ إلى المدينةِ، ومضى بدر وأُحُد والخندق، ثم قدمتُ على رسولِ اللهِ ﷺ بمن أسلمَ معى من قومى، ورسولُ اللهِ ﷺ بخيبرَ حتى نزلتُ المدينةَ بسبعين أو ثمانين بيتًا من دوْسٍ، فلحقْنا برسولِ اللهِ بخيبرَ، فأسهم لنا مع المسلمينَ. ثم لم أزل مع رسولِ اللهِ ﷺ حتى فتح اللهُ عليهِ مكةَ، فقلتُ: يا رسولَ اللهِ ابعثنى إلى ذى الكفَّيْنِ صنمِ عمرو بنِ حممةَ حتى أحرقَه. قال ابنُ إسحاقٍ: فخرج إليهِ، فجعل الطفيلُ وهو يُوقدُ عليهِ النارَ يقول:

ياذا الكفَّيْنِ لستُ من عبّادكا = ميلادُنا أقدمُ من ميلادِكا

إنى حشوتُ النارَ فى فؤادِكا

قال: ثم رجع رسولُ اللهِ ﷺ، فكان معَهُ بالمدينةِ حتى قُبِضَ رسولُ اللهِ ﷺ. فلما ارتدَّتِ العربُ خرج الطفيلُ مع المسلمين

فسار معهم حتى فرغوا من طُلَيْحةَ ومن أرضِ نجدٍ كلها ثم سار مع المسلمين إلى اليمامةِ ومعَه ابنه عمرو بنُ الطفيلِ فرأى رؤيا وهو متوجِّهٌ إلى اليمامةِ فقال لأصحابِه: إنى قد رأيتُ رؤيا فاعْبُروها لى. رأيتُ أنَّ رأسى حُلِقَ وأنَّهُ خرج من فمى طائرٌ وأنَّهُ لقيتنى امرأةٌ، فأدخلتنى فى فرجِها وأرى ابنى يطلبُنى طلبًا حثيثًا ثم رأيتُه حُبِسَ عنى. قالوا: خيرًا. قال أما أنا واللهِ فقد أوَّلتُها. قالوا: ماذا؟ قال: أما حلقُ رأسى فوَضْعُه. وأما الطائرُ الذى خرج منهُ فروحى. وأما المرأةُ التى أدخلتنى فى فرجِها فالأرضُ تُحْفَرُ لى فأُغَيَّبُ فيها. وأما طلبُ ابنى إياى ثم حبسُه عنى فإنى أراهُ سيجتهدُ أن يُصيبَه ما أصابنى. فقُتِلَ رحمَهُ اللهُ تعالى شهيدًا باليمامة، وجُرِحَ ابنُه جراحةً شديدةً ثم استَبَلَّ منها ثم قُتِلَ عام اليرموكِ زمنَ عمرَ شهيدًا رحمَهُ اللهُ"

ومن تلك القصص قصة أصحاب العقبة والبيعة التى بايعوها للنبى صلى الله عليه وسلم على أن يسلموا وينتقل إلى مدينتهم يثرب. وقد بدأ أمر البيعة من جانبهم: "مكَثَ رسولُ اللهِ ﷺ بمكَّةَ سَبْعَ سِنينَ يتتبَّعُ النّاسَ فى منازلِهم بعُكاظٍ ومَجَنَّةَ والمواسمِ بمِنًى يقولُ: مَن يُؤويني وينصُرُنى حتّى أُبلّغَ رسالاتِ ربِّى؟ حتّى إنَّ الرَّجُلَ

لَيخرُجُ مِن اليَمَنِ أو مِن مِصْرَ فيأتيه قومُه، فيقولونَ: احذَرْ غُلامَ قريشٍ لا يَفْتِنْك. ويمشى بينَ رِحالِهم وهم يُشيرونَ إليه بالأصابعِ حتّى بعَثَنا اللّٰهُ مِن يَثرِبَ، فآوَيْناه وصدَّقْناه، فيخرُجُ الرَّجُلُ منّا ويُؤمِنُ به ويُقرِئُه القرآنَ، وينقلِبُ إلى أهلِه فيُسلِمونَ بإسلامِه حتّى لم يَبْقَ دارٌ مِن دُورِ الأنصارِ إلّا فيها رَهْطٌ مِن المُسلِمينَ يُظهِرونَ الإسلامَ. ثمَّ إنّا اجتمَعْنا فقُلْنا: حتّى متى نترُكُ النَّبى ﷺ يُطْرَدُ فى جبالِ مكّةَ ويخافُ؟ فرحَل إليه منّا سبعونَ رجُلًا حتّى قدِموا عليه فى المَوْسِمِ فواعَدْناه بَيْعةَ العَقَبةِ فاجتمَعْنا عندَها مِن رجُلٍ ورجُلَيْنِ حتّى توافَيْنا فقُلْنا: يا رسولَ اللّٰهِ، علامَ نُبايِعُك؟ قال: تُبايِعُونّى على السَّمعِ والطّاعةِ فى النَّشاطِ والكسَلِ والنَّفقةِ فى العُسْرِ واليُسْرِ وعلى الأمرِ بالمعروفِ والنَّهى عن المُنكَرِ وأنْ يقولَها لا يُبالى فى اللّٰهِ لَومةَ لائمٍ وعلى أنْ تنصُرُونى وتمنَعونى إذا قدِمْتُ عليكم ممّا تمنَعونَ منه أنفسَكم وأزواجَكم وأبناءَكم، ولكم الجنَّةُ. فقُمْنا إليه فبايَعْناه، وأخَذ بيدِه أسعدُ بنُ زُرارةَ، وهو مِن أصغَرِهم، فقال: رُويدًا يا أهلَ يَثرِبَ. فإنّا لم نضرِبْ أكبادَ الإبلِ إلّا ونحنُ نعلَمُ أنَّه رسولُ اللّٰهِ ﷺ وأن إخراجَه اليومَ منازعةُ العرَبِ كافّةً وقَتْلُ خيارِكم وأنْ تَعَضَّكم السُّيوفُ. فإمّا أنْ تصبِروا على ذلك وأجرُكم على اللّٰهِ، وإمّا

أنتم تخافونَ مِن أنفسِكم جُبْنًا. فبيِّنوا ذلك فهو أعذَرُ لكم. فقالوا: أمِطْ عنّا. فواللهِ لا ندَعُ هذه البَيْعةَ أبدًا. فقُمْنا إليه فبايَعْناه، فأخَذَ علينا وشَرَط أنْ يُعطِيَنا على ذلك الجنَّةَ".

وهذه قصة إسلام الحبر اليهودى عبد الله بن سلام. روى أنس بن مالك "أنَّ عَبْدَ اللَّهِ بنَ سَلامٍ بلَغَهُ مَقْدَمُ النبى ﷺ المَدِينَةَ، فأتاهُ يَسْأَلُه عن أشْياءَ، فَقالَ: إنِّى سائِلُكَ عن ثَلاثٍ لا يَعْلَمُهنَّ إلّا نَبِى: ما أوَّلُ أشْراطِ السّاعَةِ؟ وما أوَّلُ طَعامٍ يأْكُلُهُ أهْلُ الجَنَّةِ؟ وما بالُ الوَلَدِ يَنْزِعُ إلى أبِيهِ أوْ إلى أُمِّهِ؟ قالَ: أخْبَرَنِى به جِبْرِيلُ آنِفًا. قالَ ابنُ سَلامٍ: ذاكَ عَدُوُّ اليَهُودِ مِنَ المَلائِكَةِ. قالَ: أمّا أوَّلُ أشْراطِ السّاعَةِ فَنارٌ تَحْشُرُهُمْ مِنَ المَشْرِقِ إلى المَغْرِبِ، وأَمّا أوَّلُ طَعامٍ يَأْكُلُهُ أهْلُ الجَنَّةِ فَزِيادَةُ كَبِدِ الحُوتِ، وأَمّا الوَلَدُ فَإِذا سَبَقَ ماءُ الرَّجُلِ ماءَ المَرْأَةِ نَزَعَ الوَلَدَ، وإذا سَبَقَ ماءُ المَرْأَةِ ماءَ الرَّجُلِ نَزَعَتِ الوَلَدَ. قالَ: أشْهَدُ ألا إلَهَ إلّا اللَّهُ، وأنَّكَ رَسولُ اللَّهِ. قالَ يا رَسولَ اللَّهِ، إنَّ اليَهُودَ قَوْمٌ بُهُتٌ، فاسْأَلْهُمْ عَنِّى قَبْلَ أنْ يَعْلَمُوا بإسْلامِى. فَجاءَتِ اليَهُودُ، فَقالَ النبى ﷺ: أى رَجُلٍ عبدُ اللَّهِ بنُ سَلامٍ فِيكُمْ؟ قالوا: خَيْرُنا وابنُ خَيْرِنا، وأَفْضَلُنا وابنُ أفْضَلِنا. فَقالَ النبى ﷺ: أرَأَيْتُمْ إنْ أسْلَمَ عبدُ اللَّهِ بنُ سَلامٍ؟ قالوا: أعاذَهُ اللَّهُ مِن ذلكَ.

فأعادَ عليهم، فَقالوا مِثْلَ ذلكَ، فَخَرَجَ إليهِم عبدُ اللَّهِ فَقالَ: أشْهَدُ ألا إلَهَ إلّا اللَّهُ وأنَّ مُحَمَّدًا رَسولُ اللَّهِ. قالوا: شَرُّنا وابنُ شَرِّنا، وتَنَقَّصُوه، قالَ: هذا كُنْتُ أخافُ يا رَسولَ اللَّهِ".

ومن تلك القصص ما حكاه سليمان الفارسى عن نفسه وكيف انتهى به الأمر إلى الدخول فى حرم الإسلام: "كنتُ رَجُلًا فارسيًّا مِن أهل أصبهان، مِن أهلِ قَريةٍ منها، يُقال لها: جَى، وكان أبى دِهْقانَها، وكنتُ أحَبَّ خَلقِ اللهِ إليه، فلمْ يَزَلْ بى حُبُّه إيّاى حتى حبَسَنى فى بَيْتِه كما تُحبَسُ الجارِيةُ، فاجتهَدتُ فى المَجوسيَّةِ حتى كنتُ قاطِنَ النّارِ الذى يُوقِدُها لا يَترُكُها تَخبو ساعةً. وكانتْ لأبى ضَيعةٌ عَظيمةٌ، فشُغِلَ فى بُنْيانٍ له يومًا، فقال لى: يا بُنَى، إنِّى قد شُغِلتُ فى بُنْيانى هذا اليومَ عن ضَيعَتى، فاذهَبْ فاطَّلِعْها. وأمَرَنى ببعضِ ما يُريدُ، فخرجتُ، ثُمَّ قال: لا تَحتبِسْ علَى، فإنَّكَ إنِ احتبَسْتَ علَى كنتَ أهَمَّ إلَى مِن ضَيعَتى، وشَغَلتَنى عن كلِّ شيءٍ مِن أمْرى. فخرجتُ أُريدُ ضَيْعتَه، فمررتُ بكَنيسةٍ مِن كَنائسِ النَّصارى، فسمِعتُ أصْواتَهم فيها وهم يُصلُّونَ، وكنتُ لا أدرى ما أمْرُ النّاسِ بحَبسِ أبى إيّاى فى بيْتِه، فلمّا مَرَرتُ بهم وسمِعتُ أصْواتَهم دخَلتُ إليهم أنظُرُ ما يَصنَعونَ. فلمّا رَأيْتُهم أعجَبَتْنى

صَلَواتِهم ورغِبتُ فى أمْرِهم، وقُلتُ: هذا واللهِ خيرٌ مِن الدِّينِ الذى نحن عليه. فواللهِ ما تَرَكتُهم حتى غرَبَتِ الشَّمسُ، وتركتُ ضَيعةَ أبى ولم آتِها، فقُلتُ لهم: أين أَصْلُ هذا الدِّينِ؟ قالوا: بالشّامِ. قال: ثُمَّ رجَعتُ إلى أبى، وقد بعَثَ فى طَلَبى، وشغَلتُه عن عَملِه كلِّه. فلمّا جِئتُه قال: أى بُنَىَّ، أين كنتَ؟ ألَمْ أكُنْ عهِدتُ إليك ما عهِدتُ؟ قُلتُ: يا أبَةِ، مرَرتُ بناسٍ يُصلُّونَ فى كَنيسةٍ لهم، فأعجَبَنى ما رَأيْتُ مِن دِينِهم، فواللهِ ما زِلتُ عندَهم حتى غرَبَتِ الشَّمسُ. قال: أى بُنَىَّ، ليس فى ذلك الدِّينِ خيرٌ. دِينُكَ ودِينُ آبائِكَ خيرٌ منه. قُلتُ: كلا واللهِ! إنَّه لخَيرٌ مِن دِينِنا. قال: فخافنى، فجَعَلَ فى رِجْلى قَيدًا ثُمَّ حبَسَنى فى بيْتِه. قال: وبعَثْتُ إلى النَّصارى، فقُلتُ: إذا قدِمَ عليكم رَكبٌ مِن الشّامِ، تُجّارٌ مِن النَّصارى، فأخبِرونى بهم. فقدِمَ عليهم رَكبٌ مِن الشّامِ، قال: فأخبَرونى بهم. فقُلتُ: إذا قضَوْا حَوائِجَهم وأرادوا الرَّجعةَ فأخبِرونى. قال: ففعَلوا، فألقَيتُ الحَديدَ مِن رِجْلى، ثُمَّ خرَجتُ معهم حتى قدِمتُ الشّامَ. فلمّا قدِمتُها قُلتُ: مَنْ أفضَلُ أهلِ هذا الدِّينِ؟ قالوا: الأُسقُف فى الكَنيسةِ. فجِئتُه، فقُلتُ: إنِّى قد رغِبتُ فى هذا الدِّينِ، وأحبَبتُ أنْ أكونَ معك أخدُمُكَ فى كَنيستِكَ،

وأتعلَّمُ منك، وأُصلِّى معك. قال: فادخُلْ. فدخَلتُ معه، فكان رَجُلَ سُوءٍ: يَأمُرُهم بالصَّدقةِ ويُرغِّبُهم فيها، فإذا جمَعوا إليه منها شيئًا اكتنَزَه لنَفْسِه ولم يُعطِه المَساكينَ حتى جمَعَ سَبعَ قِلالٍ مِن ذَهبٍ ووَرِقٍ. فأبغَضتُه بُغضًا شَديدًا لما رَأيْتُه يَصنَعُ. ثُمَّ مات، فاجتمَعَتْ إليه النَّصارى ليَدفِنوه، فقُلتُ لهم: إنَّ هذا رَجُلُ سُوءٍ، يَأمُرُكم بالصَّدقةِ ويُرغِّبُكم فيها فإذا جِئتُم بها كنَزَها لنَفْسِه ولم يُعطِ المَساكينَ. وأَرَيتُهم موضعَ كَنزِه سَبْعَ قِلالٍ مَملوءةٍ. فلمّا رَأَوْها قالوا: واللهِ لا نَدفِنُه أبدًا. فصَلَبوه ثُمَّ رمَوْه بالحِجارةِ، ثُمَّ جاؤوا برَجُلٍ جعَلوه مَكانَه، فما رَأيْتُ رَجُلًا (يَعنى: لا يُصلِّى الخَمْسَ) أُرى أنَّه أفضَلُ منه أزهَدُ فى الدُّنْيا ولا أرغَبُ فى الآخِرةِ ولا أدْأبُ لَيلًا ونَهارًا، ما أعلَمُنى أحبَبتُ شيئًا قَطُّ قبلَه حُبَّه. فلمْ أزَلْ معه حتى حضَرَتْه الوَفاةُ. فقُلتُ: يا فُلانُ، قد حضَرَكَ ما تَرى مِن أمْرِ اللهِ، وإنِّى واللهِ ما أحبَبتُ شيئًا قَطُّ حُبَّكَ، فماذا تَأمُرُنى؟ وإلى مَن تُوصِينى؟ قال لى: يا بُنَى، واللهِ ما أعلَمُه إلّا رَجُلًا بالمَوصِلِ، فائتِه فإنَّكَ ستَجِدُه على مِثلِ حالى. فلمّا مات وغُيِّبَ، لَحِقتُ بالمَوصِلِ، فأتَيتُ صاحِبَها، فوَجَدتُه على مِثلِ حالِه مِن الاجتهادِ والزُّهدِ، فقُلتُ له: إنَّ فُلانًا أوصانى إليك أنْ آتيَكَ وأكونَ معك. قال:

فأقِمْ أى بُنَى. فأقَمْتُ عندَه على مِثلِ أمْرِ صاحِبِه حتى حضَرَتْه الوَفاةُ، فقُلتُ له: إنَّ فلانًا أوْصى بى إليك، وقد حضَرَكَ مِن أمْرِ اللهِ ما تَرى، فإلى مَن تُوصى بى؟ وما تَأمُرُنى به؟ قال: واللهِ ما أعلَمُ، أى بُنَى، إلّا رَجُلًا بنَصيبينَ. فلمّا دفَنّاه لَحِقتُ بالآخَرِ، فأقَمْتُ عندَه على مِثلِ حالِهم حتى حضَرَه المَوتُ، فأوْصى بى إلى رَجُلٍ مِن أهلِ عَمُّوريَّةَ بالرُّومِ. فأتَيتُه، فوَجَدتُه على مِثلِ حالِهم، واكتسَبْتُ حتى كان لى غُنَيمةٌ وبُقَيْراتٌ. ثُمَّ احْتُضِرَ، فكَلَّمتُه: إلى مَن يُوصِى بى؟ قال: أى بُنَى، واللهِ ما أعلَمُه بَقى أحدٌ على مِثلِ ما كُنّا عليه آمُرُكَ أنْ تَأتيَه، ولكنْ قد أظَلَّكَ زَمانُ نَبى يُبْعَثُ مِن الحَرَمِ، مُهاجَرُه بينَ حَرَّتَينِ إلى أرضٍ سَبْخةٍ ذاتِ نَخلٍ، وإنَّ فيه عَلاماتٍ لا تَخفى: بينَ كَتِفَيه خاتَمُ النُّبُوَّةِ، يَأكُلُ الهَدِيَّةَ، ولا يَأكُلُ الصَّدقةَ. فإنِ استطَعتَ أنْ تَخلُصَ إلى تلكَ البِلادِ فافعَلْ، فإنَّه قد أظَلَّكَ زَمانُه. فلمّا وارَيْناه أقَمْتُ حتى مَرَّ بى رِجالٌ مِن تُجّارِ العَرَبِ مِن كَلبٍ، فقُلتُ لهم: تَحمِلونّى إلى أرضِ العَرَبِ، وأُعطيكم غُنَيمَتى وبَقَراتى هذه؟ قالوا: نعمْ. فأعطَيتُهم إيّاها، وحَمَلونى، حتى إذا جاؤوا بى وادى القُرى ظلَمونى فباعونى عَبدًا مِن رَجُلٍ يَهودى بوادى القُرى. فواللهِ لقد رَأيْتُ النَّخلَ وطمِعتُ

أَنْ يَكونَ البَلَدَ الذى نعتَ لى صاحِبى! وما حَقَّتْ عِندى حتى قدِمَ رَجُلٌ مِن بَنى قُرَيْظةَ وادى القُرى، فابتاعَنى مِن صاحِبى، فخرَجَ بى حتى قدِمْنا المدينةَ. فواللهِ ما هو إلّا أنْ رَأَيْتُها فعرَفتُ نَعْتَها. فأقَمْتُ فى رِقّى، وبعَثَ اللهُ نَبيَّه ﷺ بمكَّةَ لا يُذكَرُ لى شيءٌ مِن أمْرِه مع ما أنا فيه مِن الرِّقّ حتى قدِمَ رسولُ اللهِ ﷺ قُبَاءً، وأنا أعمَلُ لصاحِبى فى نخلةٍ له. فواللهِ إنّى لَفِيها إذ جاءه ابنُ عَمٍّ له، فقال: يا فُلانُ، قاتَلَ اللهُ بَنى قَيْلةَ! واللهِ إنَّهم الآن لفى قُباءٍ مُجتمِعونَ على رَجُلٍ جاء مِن مكَّةَ يَزعُمونَ أنَّه نَبى. فواللهِ ما هو إلّا أنْ سمِعتُها فأخَذَتْنى العُرَواءُ (يقولُ: الرِّعْدةُ) حتى ظنَنتُ لأسقُطَنَّ على صاحِبى، ونزَلتُ أقولُ: ما هذا الخَبَرُ؟ فرفَعَ مَولاى يَدَه فلكَمَنى لَكمةً شَديدةً، وقال: ما لك ولهذا؟ أقبِلْ على عَمَلِكَ. فقُلتُ: لا شيءَ. إنَّما سمِعتُ خبرًا، فأحبَبتُ أنْ أعلَمَه. فلمّا أمسَيتُ، وكان عِندى شيءٌ مِن طَعامٍ، فحمَلتُه وذهَبتُ إلى رسولِ اللهِ ﷺ وهو بقُباءٍ، فقُلتُ له: بلَغَنى أنَّكَ رَجُلٌ صالحٌ، وأنَّ معك أصحابًا لك غُرَباءَ، وقد كان عِندى شيءٌ مِن الصَّدقةِ، فرأَيْتُكم أحَقَّ مَن بهذه البِلادِ، فهاكَ هذا، فكُلْ منه. قال: فأمسَكَ، وقال لأصحابِه: كُلوا. فقُلتُ فى نَفْسى: هذه خَلَّةٌ ممّا وصَفَ لى صاحِبى. ثُمَّ رجَعتُ،

وتَحَوَّلَ رسولُ اللهِ إلى المدينةِ، فجَمَعتُ شيئًا كان عِندى، ثُمَّ جِئتُه به، فقُلتُ: إنِّى قد رَأَيْتُكَ لا تَأكُلُ الصَّدقةَ، وهذه هَدِيَّةٌ. فأكَلَ رسولُ اللهِ ﷺ وأكَلَ أصحابُه، فقُلتُ: هذه خَلَّتانِ. ثُمَّ جِئتُ رسولَ اللهِ ﷺ وهو يَتبَعُ جِنازةً، وعلَى شَملَتانِ لى، وهو فى أصحابِه، فاستدَرتُ أنظُرُ إلى ظَهرِه، هل أرى الخاتَمَ الذى وَصَفَ؟ فلمّا رآنى استدَبَرتُه، عرَفَ أنِّى أستَثبِتُ فى شيءٍ وُصِفَ لى، فألقى رِداءَه عن ظَهرِه، فنظَرتُ إلى الخاتَمِ، فعرَفتُه فانكَبَبتُ عليه أُقَبِّلُه وأبكى! فقال لى: تَحَوَّلْ. فتحوَّلتُ، فقَصَصْتُ عليه حَديثى كما حدَّثتُكَ يا ابنَ عَبّاسٍ، فأعجَبَ رسولَ اللهِ ﷺ أنْ يَسمَعَ ذلك أصحابُه. ثُمَّ شغَلَ سَلمانَ الرِّقُّ حتى فاته مع رسولِ اللهِ ﷺ بَدرٌ وأُحُدٌ. ثُمَّ قال رسولُ اللهِ ﷺ: كاتِبْ يا سَلمانُ. فكاتَبتُ صاحِبى على ثَلاثِ مِئةِ نَخلةٍ، أُحْيِيها له بالفَقيرِ وأربعينَ أُوقيَّةً. فقال رسولُ اللهِ ﷺ: أَعينوا أخاكم. فأعانونى بالنَّخلِ: الرَّجُلُ بثَلاثينَ وَدِيَّةً، والرَّجُلُ بعِشرينَ، والرَّجلُ بخَمسَ عَشْرةَ، حتى اجتمَعَتْ ثَلاثُ مِئةِ وَدِيَّةٍ. فقال: اذهَبْ يا سَلمانُ، ففَقِّرْ لها، فإذا فرَغتَ فائْتِنى أكونُ أنا أضَعُها بيَدى. ففَقَّرتُ لها، وأعانَنى أصحابى، حتى إذا فرَغتُ منها جِئتُه وأخبَرتُه، فخَرَجَ معى إليها نُقرِّبُ له الوَدِى،

ويَضَعُه بيَدِه. فوالذى نَفْسُ سَلمانَ بيَدِه ما ماتتْ منها وَدِيَّةٌ واحدةٌ. فأدَّيتُ النَّخلَ، وبَقى علَى المالُ. فأُتى رسولُ اللهِ ﷺ بمِثلِ بَيْضةِ دَجاجةٍ مِن ذَهبٍ مِن بَعضِ المَغازى. فقال: ما فعَلَ الفارسى المُكاتَبُ؟ فدُعِيتُ له، فقال: خُذْها، فأَدِّ بها ما عليك. قُلتُ: وأين تَقَعُ هذه يا رسولَ اللهِ ممّا علَىَّ؟ قال: خُذْها، فإنَّ اللهَ سيُؤَدِّى بها عنك. فأخَذتُها، فوَزَنتُ لهم منها أربعينَ أُوقيَّةً، وأوْفَيتُهم حَقَّهم، وعُتِقتُ، فشهِدتُ مع رسولِ اللهِ ﷺ الخَنَدَقَ حُرًّا، ثُمَّ لم يَفُتْنى معه مَشهَدٌ".

ومن تلك القصص قصة نعيم بن مسعود الغطفانى. وقد أسلم أثناء غزوة الخندق، والمسلمون فى وضع سيئ، وكان إسلامه سرا فيما بينه وبين نفسه لم يعلم قومه بشىء منه، ولم يكن للنبى دخل فى ذلك. وفى سيرة ابن هشام " قال ابن إسحاق: وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه، فيما وصف الله من الخوف والشدة، لتظاهر عدوهم عليهم وإتيانهم إياهم من فوقهم ومن أسفل منهم...

ثم إن نعيم بن مسعود بن عامر بن أنيف بن ثعلبة بن قنفد بن هلال بن خلاوة بن أشجع بن ريث بن غطفان، أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رسول الله، إنى قد أسلمت، وإن قومى لم يعلموا بإسلامى، فمرنى بما شئت. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنما أنت فينا رجل واحد، نخذل عنا إن استطعت، فإن الحرب خدعة.

فخرج نعيم بن مسعود حتى أتى بنى قريظة، وكان لهم نديما فى الجاهلية، فقال: يا بنى قريظة، قد عرفتم ودى إياكم، وخاصة ما بينى وبينكم. قالوا: صدقت. لست عندنا بمتهم. فقال لهم: إن قريشا وغطفان ليسوا كأنتم: البلد بلدكم، فيه أموالكم وأبناؤكم ونساؤكم، لا تقدرون على أن تَحَوَّلوا منه إلى غيره، وإن قريشا وغطفان قد جاءوا لحرب محمد وأصحابه، وقد ظاهرتموهم عليه، وبلدهم وأموالهم ونساؤهم بغيره، فليسوا كأنتم: فإن رأوا نهزة أصابوها، وإن كان غير ذلك لحقوا ببلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل ببلدكم، ولا طاقة لكم به إن خلا بكم. فلا تقاتلوا مع القوم حتى تأخذوا منهم رهنا من أشرافهم يكونون بأيديكم ثقة لكم على أن تقاتلوا معهم محمدا حتى تناجزوه. فقالوا له: لقد أشرت بالرأى.

ثم خرج حتى أتى قريشا، فقال لأبى سفيان بن حرب ومن معه من رجال قريش: قد عرفتم ودى لكم وفراقى محمدا. وإنه قد بلغنى أمر قد رأيت على حقا أن أبلّغكموه نصحا لكم، فاكتموا عنى. فقالوا: نفعل. قال: تعلّموا أن معشر يهود قد ندموا على ما صنعوا فيما بينهم وبين محمد، وقد أرسلوا إليه: إنا قد ندمنا على ما فعلنا، فهل يرضيك أن نأخذ لك من القبيلتين: من قريش وغطفان رجالا من أشرافهم فنعطيكهم، فتضرب أعناقهم ثم نكون معك على من بقى منهم حتى نستأصلهم؟ فأرسل إليهم أنْ نعم. فإن بعثتْ إليكم يهود يلتمسون منكم رهنا من رجالكم فلا تدفعوا إليهم منكم رجلا واحدا.

ثم خرج حتى أتى غطفان، فقال: يا معشر غطفان، إنكم أصلى وعشيرتى، وأحب الناس إلى، ولا أراكم تتهمونِّى. قالوا: صدقت، ما أنت عندنا بمتهم. قال: فاكتموا عنى. قالوا: نفعل، فما أمرك؟ ثم قال لهم مثل ما قال لقريش وحذّرهم ما حذّرهم. فلما كانت ليلة السبت من شوال سنة خمس، وكان من صنع الله لرسوله صلى الله عليه وسلم أن أرسل أبو سفيان بن حرب ورءوس غطفان إلى بنى قريظة عكرمة بن أبى جهل، فى نفر من قريش وغطفان،

فقالوا لهم: إنا لسنا بدار مقام، قد هلك الخف والحافر، فاغدوا للقتال حتى نناجز محمدا ونفرغ مما بيننا وبينه، فأرسلوا إليهم: إن اليوم يوم السبت، وهو يوم لا نعمل فيه شيئا، وقد كان أحدث فيه بعضنا حدثا، فأصابه ما لم يخف عليكم، ولسنا مع ذلك بالذين نقاتل معكم محمدا حتى تعطونا رهنا من رجالكم يكونون بأيدينا ثقة لنا حتى نناجز محمدا، فإنا نخشى إن ضرستكم الحرب، واشتد عليكم القتال أن تنشمروا إلى بلادكم وتتركونا، والرجل فى بلدنا، ولا طاقة لنا بذلك منه.

فلما رجعت إليهم الرسل بما قالت بنو قريظة قالت قريش وغطفان: والله إن الذى حدثكم نعيم بن مسعود لَحَقٌّ، فأرسلوا إلى بنى قريظة: إنا والله لا ندفع إليكم رجلا واحدا من رجالنا. فإن كنتم تريدون القتال فاخرجوا فقاتلوا. فقالت بنو قريظة حين انتهت الرسل إليهم بهذا: إن الذى ذكر لكم نعيم بن مسعود لحق. ما يريد القوم إلا أن يقاتلوا: فإن رأوا فرصة انتهزوها، وإن كان غير ذلك انشمروا إلى بلادهم وخَلَّوْا بينكم وبين الرجل فى بلدكم. فأرسلوا إلى قريش وغطفان: إنا والله لا نقاتل معكم محمدا حتى تعطونا رهنا. فأَبَوْا عليهم، وخذل الله بينهم، وبعث الله عليهم الريح

فى ليالٍ شاتية باردة شديدة البرد، فجعلت تكفأ قدورهم، وتطرح أبنيتهم".

ومن قصص إسلام المسلمين الأوائل قصة إسلام عكرمة بن أبى جهل: "عَنْ عُرْوَةَ قالَ: فَرَّ عِكْرِمَةُ بْنُ أَبِى جَهْلٍ يوم الْفَتْحِ عامِدًا إِلى الْيَمَنِ، وَأَقْبَلَتْ أُمُّ حَكِيمٍ بِنْتِ الْحارِثِ بْنِ هِشامٍ، وَهِى يَوْمَئِذٍ مَسْلَمَةٌ، وَهِى تَحْتَ عِكْرِمَةَ بْنِ أَبِى جَهْلٍ، «فاسْتَأْذَنَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِى طَلَبِ زَوْجِها، فَأَذِنَ لَها وَأَمَّنَهُ»، فَخَرَجَتْ بِرُومِى لَها فَرَاوَدَها عَنْ نَفْسِها، فَلَمْ تَزَلْ تُمَنّيهِ وَتَقَرَّبُ لَهُ حَتّى قَدِمَتْ عَلى أُناسٍ مِنْ مَكَّةَ فاسْتَغاثَتْهُمْ عَلَيْهِ فَأَوْثَقُوهُ، فَأَدْرَكَتْ زَوْجَها بِبَعْضِ تِهامَةَ وَقَدْ كانَ رَكِبَ فِى سَفِينَةٍ. فَلَمّا جَلَسَ فِيها نادى بِاللّاتِ والْعُزّى، فَقالَ أَصْحابُ السَّفِينَةِ: لا يَجُوزُ ها هُنا أَحَدٌ يَدْعُو شَيْئًا إِلّا اللَّهَ وَحْدَهُ مُخْلِصًا. فَقالَ عِكْرِمَةُ: واللَّهِ لَئِنْ كانَ فِى الْبَحْرِ وَحْدَهُ إِنَّهُ فِى الْبِرّ وَحْدَهُ. أُقْسِمُ بِاللَّهِ لَأَرْجِعَنَّ إِلى مُحَمَّدٍ ﷺ. فَرَجَعَ عِكْرِمَةُ مَعَ امْرَأَتِهِ، «فَدَخَلَ عَلى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَبايَعَهُ فَقَبِلَ مِنْهُ». وَدَخَلَ رَجُلٌ مِنْ هُذَيْلٍ حِينَ هَزَمَتْ بَنُو بَكْرٍ عَلى امْرَأَتِهِ فارًّا، فَلامَتْهُ وَعَجَّزَتْهُ وَعَيَّرَتْهُ بِالْفِرارِ، فَقالَ:

وَأَنْتَ لَوْ رَأَيْتَنا بِالْخَنْدَمَةِ= إِذْ فَرَّ صَفْوانُ وَفَرَّ عِكْرِمَةْ

وَأَلْحَمُونا بِالسُّيُوفِ الْمُسْلِمَةْ= يَقْطَعْنَ كُلَّ ساعِدٍ وَجُمْجُمَةْ

لَمْ تَنْطِقِى فِى اللَّوْمِ أَدْنى كَلِمَةْ

قالَ عُرْوَةُ: واسْتُشْهِدَ يَوْمَ أَجْنادِينَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، ثُمَّ مِنْ قُرَيْشٍ، ثُمَّ مِنْ بَنِى مَخْزُومٍ عِكْرِمَةُ بْنُ أَبِى جَهْلٍ".

ومن تلك القصص كذلك قصة عدى بن حاتم الطائى: "قدِم عَدِى بنُ حاتمٍ الطّائى الكوفةَ، فأتَيتُه فى أُناسٍ مِن أهلِ الكوفةِ، فقُلْنا له: حدِّثْنا بحديثٍ سمِعْتَه مِن رسولِ اللهِ ﷺ. قال: بُعِثَ رسولُ اللهِ ﷺ بالنُّبُوَّةِ، ولا أعلَمُ أحَدًا مِنَ العربِ كان أشدَّ له بُغضًا ولا أَشَدَّ كراهيةً له منِّى حتّى خرَجْتُ فلحِقْتُ بالرُّومِ فتنصَّرْتُ فيهم. فلمّا بلَغَنى ما يدعو إليه مِنَ الأخلاقِ الحسَنةِ وما قد اجتمَع إليه مِنَ النّاسِ ارتحَلْتُ حتّى أتَيتُه فوقَفْتُ عندَه وعندَه صُهَيبٌ وبِلالٌ وسَلْمانُ فقال: يا عَدِى بنَ حاتمٍ، أَسْلِمْ تَسْلَمْ. فقلْتُ: إخْ إخْ! فأنَخْتُ فجَلَسْتُ وألزَقْتُ رُكبتى برُكبتِه، فقلْتُ: يا رسولَ اللهِ، ما الإسلام؟ قال: تُؤْمِنُ باللهِ وملائكتِه وكُتُبِه ورُسُلِه، وتُؤْمِنُ بالقَدَرِ خيرِه وشرِّه وحُلوِه ومُرِّه. يا عَدِى بنَ حاتمٍ، لا تقومُ السّاعةُ

حتّى تأتى الظَّعينةُ مِنَ الحِيرةِ (ولم يكُنْ يومئذٍ كُوفةٌ) حتّى تطوفَ بهذه الكعبةِ بغيرِ خَفيرٍ. يا عَدِى بنَ حاتمٍ، لا تقومُ السّاعةُ حتّى تحمِلَ جِرابَ المالِ فتطوفَ به فلا تجِدَ أحَدًا يَقبَلُه فتَضرِبَ به الأرضَ فتقول: لَيْتَكَ لم تكُنْ. لَيْتَكَ كنْتَ تُرابًا".

ومن تلك القصص "أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ كان فى مَحْفَلٍ من أصْحابِه، إذ جاءَ أعرابى من بنى سُلَيْمٍ قد صادَ ضَبًّا، وجَعَلَه فى كُمِّه، فذَهَبَ به إلى رَحْلِه فرأى جَماعَةً، فقال: على مَنْ هذه الجَماعَةُ؟ فقالوا: على هذا الذى يَزْعُمُ أنَّه النَّبى. فشَقَّ النّاسَ، ثم أقبَلَ على رسولِ اللهِ ﷺ، فقال: يا مُحَّمَّدُ، ما اشْتَمَلتِ النِّساءُ على ذى لَهجَةٍ أكْذَبَ منك ولا أبغَضَ. ولولا أنْ تُسَمِّينى العَرَبُ: عَجولًا لَعَجِلتُ عليك فقَتَلتُك، فسَرَرتُ بقَتْلِكَ الناسَ أجمعينَ. فقال عُمَرُ: يا رسولَ اللهِ، دَعْنى أقْتُله. فقال رسولُ اللهِ ﷺ: أما عَلِمتَ أنَّ الحليمَ كادَ يكونُ نَبيًّا. ثم أقبَلَ الأعْرابى على رسولِ اللهِ ﷺ فقال: واللّاتِ والعُزّى لا آمَنتُ بِكَ. وقد قال له رسولُ اللهِ ﷺ: يا أعْرابى، ما حَمَلَك على أنْ قُلتَ ما قُلتَ، وقُلتَ غيرَ الحَقِّ، ولم تُكرِمْ مَجلِسى؟ قال: وتُكَلِّمُنى أيضًا (استخفافًا برسولِ اللهِ ﷺ)؟ واللّاتِ والعُزّى لا آمَنتُ بِكَ حتى يُؤمِنَ بك هذا الضَّبُّ. فأخْرَجَ

الضَّبَّ من كُمِّه، فطَرَحَه بين يَدَى رسولِ اللهِ ﷺ، وقال: إنْ آمَنَ بك هذا الضَّبُّ آمَنتُ بِكَ! فقال رسولُ اللهِ ﷺ: يا ضَبُّ. فكَلَّمَه الضَّبُّ بلِسانٍ عَرَبِى مُبينٍ يَفهَمُه القَومُ جميعًا: لَبَّيكَ وسَعْدَيكَ يا رسولَ ربِّ العالَمين! فقال رسولُ اللهِ ﷺ: مَن تَعبُدُ؟ قال: الذى فى السَّماءِ عَرشُه، وفى الأرضِ سُلطانُه، وفى البَحرِ سَبيلُه، وفى الجَنَّةِ رَحمَتُه، وفى النّارِ عَذابُه. قال: فَمَن أنا يا ضَبُّ؟ قال: أنتَ رسولُ ربِّ العالَمين، وخاتَمُ النَّبِيِّينَ. قد أفلَحَ مَن صدَّقك، وقد خابَ مَن كذَّبك. فقال الأعْرابى: أشهَدُ أنْ لا إلهَ إلّا اللهُ، وأنَّك رسولُ اللهِ حَقًّا. واللهِ لقد أَتَيتُك وما على وَجْهِ الأرْضِ أحَدٌ هو أبغَضُ إلى مِنكَ، وواللهِ لأنتَ الساعَةَ أحَبُّ إلى من نَفْسى ومن وَلَدى، فقد آمَنتُ بِكَ: شَعْرى، وبَشَرى، وداخِلى، وخارِجى، وسِرِّى، وعَلانيتى. فقال له رسولُ اللهِ ﷺ: الحَمدُ للهِ الذى هَدى هذا إلى الذى يَعلو ولا يُعْلَى. لا يَقبَلُه اللهُ تعالى إلّا بصَلاةٍ، ولا تُقبَلُ الصَّلاةُ إلّا بقُرآنٍ. فعلَّمه رسولُ اللهِ ﷺ: "الحَمْدُ" و"قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ" فقال: يا رسولَ اللهِ، ما سَمِعتُ فى البَسيطِ ولا فى الرَّجزِ أحسَنَ من هذا. فقال رسولُ اللهِ ﷺ: إنَّ هذا كلامُ ربِّ العالَمين، وليس بشِعْرٍ. وإذا قَرَأتَ "قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ" فكأنَّما قرَأتَ

ثُلُثَ القُرْآنِ. وإذا قَرَأتَ "قُلْ هُوَ اللّهُ أَحَدٌ" مرَّتينِ فكأنَّما قَرَأتَ ثُلُثَى القُرْآنِ. وإذا قَرَأتَ "قُلْ هُوَ اللّهُ أَحَدٌ" ثَلاثَ مَرّاتٍ فكأنَّما قَرَأتَ القُرْآنَ كُلَّه. فقال الأعْرابى: نِعْمَ الإلهُ! فإنَّ إلَهَنا يَقبَلُ اليَسيرَ ويُعطى الجَزيلَ. ثم قال رسولُ اللّهِ ﷺ: أعْطُوا الأعْرابى. فأعْطَوْه حتى أبْطَروه، فقام عبدُ الرحمنِ بنُ عَوفٍ، فقال: يا رسولَ اللّهِ، إنِّى أُريدُ أنْ أُعطِيَه ناقَةً أتقرَّبُ بها إلى اللّهِ عزَّ وجلَّ دون البُخْتى وفوقَ الأعْرابى، وهى عُشَراءُ. فقال رسولُ اللّهِ ﷺ: قد وَصَفتَ ما تُعْطى وأَصِفُ لك ما يُعْطيك اللّهُ تَعالى جَزاءً؟ قال: نَعَمْ. قال: لك ناقَةٌ من دُرَّةٍ جَوْفاءَ، قَوائِمُها من زُمُرُّدٍ أخْضَر، وعُنُقُها من زَبَرْجَدٍ أصْفَرَ، عليها هَوْدَجٌ، وعلى الهَودَجِ السُّنْدُسُ والإسْتَبْرَقُ، تَمُرُّ بك على الصِّراطِ كالبَرْقِ الخاطِفِ. فخَرَجَ الأعْرابى من عِندِ رسولِ اللّهِ ﷺ، فتَلَقّاه ألْفُ أعْرابى على ألْفِ دابَّةٍ بألْفِ رُمْحٍ، وألْفِ سَيفٍ، فقال لهم: أين تُريدونَ؟ فقالوا: نُقاتِلُ هذا الذى يَكْذِبُ ويَزْعُمُ أنَّه نَبى. فقال الأعْرابى: إنِّى أشْهَدُ ألا إلهَ إلّا اللّهُ، وأنَّ مُحَمَّدًا رسولُ اللّهِ ﷺ. فقالوا له: صَبَوْتَ؟ فقال لهم: ما صَبَوْتُ. وحدَّثَهم هذا الحديثَ، فقالوا بأجْمَعِهم: لا إلهَ إلّا اللّهُ، مُحَمَّدٌ رسولُ اللّهِ. فبَلَغَ ذلك النَّبى ﷺ، فتَلَقّاهم فى رِداءٍ، فنَزَلوا عن

ركابِهم، يُقَبِّلون ما وَلَّوْا عنه إلّا وهم يَقولونَ: لا إلهَ إلّا اللهُ، مُحَمَّدٌ رسولُ اللهِ، فقالوا: مُرْنا بأَمْرِكَ يا رسولَ اللهِ، قال: تَدْخُلون تحت رايَةِ خالدِ بنِ الوليدِ. قال: فليس أحَدٌ من العَرَبِ آمَنَ منهم أَلْفٌ جميعًا إلّا بنو سُلَيمٍ".

ومن قصص إسلام الوفود فى أواخر حياة رسول الله "أنَّ ضِرارَ بنَ الأَزْوَرِ رَضى اللهُ عنه لَمّا أسلَمَ أتى النَّبى ﷺ فأنْشأَ يَقولُ:

تركْتُ القِداحَ وعَزْفَ القيانِ = والخمْرَ تَصْليةً وابْتِهالا

وكَرِّى المحبَّرَ فى غَمْرةٍ = وجَهْدى على المُشْرِكينَ القِتالا

وقالَتْ جَميلةُ: بدَّدْتَنا = وطَرَّحْتَ أهلَكَ شتّى شِلالا

فيا ربِّ، لا أُغبَنَنْ صَفْقَتى = فقدْ بِعْتُ أهْلى ومالى بِدالا

فقالَ رَسولُ اللهِ ﷺ: ما غُبِنْتَ صفقَتَكَ يا ضِرارُ".

ومن هذه القصص "(عن) سُلَيْمانَ بنِ نافِعٍ العَبْدى بحَلَبَ قال: قال لى أبى: وفَدَ المُنذِرُ بنُ ساوَى مِن البَحْرَيْنِ حتّى أتى مَدينةَ الرَّسولِ ﷺ، ومع المُنذِرِ أُناسٌ، وأنا غُلَيمٌ لا أعقِلُ أُمْسِكُ جِمالَهم. قال: فذهَبوا مع سلاحِهم فسلَّموا على رسولِ اللهِ ﷺ،

ووضَع المُنذِرُ سلاحَه ولبِس ثيابًا كانت معه ومسَح لِحيتَه بدُهْنٍ، فأتى نَبى اللهِ ﷺ فسلَّم، وأنا مع الجِمَالِ أنظرُ إلى نَبى اللهِ ﷺ، فقال المُنذِرُ: قال لى النَّبى ﷺ: رأَيْتُ منكَ ما لَمْ أرَ مِن أصحابِكَ. قُلْتُ: وما رأَيْتَ منّى يا نَبى اللهِ؟ قال: وضَعْتَ سلاحَكَ ولبِسْتَ ثيابَكَ وتدهَّنْتَ. قُلْتُ: يا نَبى اللهِ أفَشَيْءٌ جُبِلْتُ عليه أم شيءٌ أحدَثْتُه؟ فقال له النَّبى ﷺ: لا بل شيءٌ جُبِلْتَ عليه. فسلَّموا على النَّبى ﷺ، فقال لهم النَّبى ﷺ أسلَمَتْ عبدُ القَيْسِ... قال لى أبى نظَرْتُ إلى نَبى اللهِ ﷺ كما أنّى أنظُرُ إليكَ ولكنّى لَمْ أعقِلْ قال ومات أبى وهو ابنُ عِشرينَ ومِئةِ سَنةٍ". فهذه أمثلة على كيفية إسلام من يسلمون فى عهد النبى، فهل تشم فى أى منها رائحة إكراه أو ضغط؟

الأكوينى كذاب أشر وجاهل غبى، ومع هذا يصفونه بالفيلسوف. واضح أن الفلسفة قد هُزِلَتْ وهان شأنها ولم تعد تساوى مليما. لقد دخلتُ البحث الذى أكتبه الآن، وظنى أنى سوف ألقى فكرا ورأيا، فإذا بى أجد تفاهة وتهافتا. وهذا الكائن، بدلا من الانزواء خجلا لعبادته بشرا مثله واعتماده على منطق ركيك أعمى يجعل من الثلاثة واحدا شأنه فى ذلك شأن الوثنيين، يجد فى نفسه من الوقاحة والدناءة ما يَؤُزُّه على مهاجمة الإسلام

الدين الحضارى الوحيد، والتطاول على سيده وسيد أهله وأمته والعالم كله محمد صلى الله عليه وسلم، الذى مكث فى مكة ثلاث عشرة سنة يتلقى الإيذاء من قومه والسخرية والتواقح، الذى تبلور فى نهاية المطاف فى وضع مؤامرة لقتله والتخلص بالتالى من دينه والإبقاء على الأوثان والخرافات المنحطة، والذى قضى العشر سنوات الأخيرة من حياته يدفع عن دعوته وأمته العدوان واحدا فى أعقاب الآخر، ورغم ذلك يتهمه هذا الكلب السعران بأن دينه قائم على القوة العسكرية وإجبار الناس بالسلاح على اعتناقه. لقد كان يكفى هذا الحلوفَ الوسخَ النجسَ المقارنةُ المخلصة بين توحيد محمد وبين تثليثه ليخر راكعا ساجدا فى هيكل الحقيقة ويعلن أن الإسلام يحلق فى الأعالى وينظر من عل إلى ما كان يعتنقه هو، لكن حلوفيته منعته من السير فى السبيل النقية الطاهرة وفضل عليها أكوام الزبالة التى هو جدير بها، وهى جديرة به. وقد صدق فيهما المثل القائل: وافَقَ شَنٌّ طبَقَةَ. إن هذا المسخ المسمى: فيلسوفا هو نسخة سابقة للساسة الغربيين الذين امتلخوا فلسطين وأعطَوْها غنيمة لليهود الصهاينة، وكلما حاول أبطال فلسطين استرداد حقهم أو شىء منه اتهموهم بأنهم إرهابيون، وأنكروا

مذابح التطهير العرقى الذى تمارسه إسرائيل فى غزة بفضل أسلحتهم وأموالهم التى سرقوها أو أخذوها من العرب الأوساخ الأنذال عَنْوَةً وغطرسةً وإجرامًا.

وهو يقول إن الإسلام ليس فيه التسامح الموجود فى النصرانية. يشير إلى ما ينسبه العهد الجديد إلى المسيح من أنه "إذا ضربك أحد على خدك الأيمن فأدر له خدك الأيسر" مما لا يصلح فى دنيا البشر ولا يمكن أىَّ إنسانٍ العملُ به، وإلا أُكِل من أول يوم يأتى فيه إلى الحياة. يقول ذلك الخنزير النجس، وهو يساعد بقلمه الوسخ مثله فى التنكيل بمسلمى الأندلس وإجبارهم بالتعذيب الوحشى السافل على التنصر حتى اسْتُؤْصِلَتْ شأفة الإسلام والتوحيد من هناك على عكس ما صنعه المسلمون مع أهل تلك البلاد لدن فتحها، إذ تركوا كُلًّا وما يعتقد ولم يحاولوا قَسْر أحد على اتّباع دين التوحيد. وأتحدى أى شخص أن يأتينا بأية دولة نصرانية عاملت أتباع دين آخر، وبخاصة الإسلام، بعشر معشار ذلك الشعار التهجيصى الذى يزعجوننا به مَيْنًا وزورًا. لقد قضى النصارى الغربيون على أمة كاملة فى قارة أمريكا هى أمة الهنود الحمر وبوسائل غاية فى التوحش الجهنمى المرعب الذى لا يتخيله متخيل

ولا حتى فى كوابيس الأحلام. وعلى نفس الشاكلة قضوا على أهل أستراليا الأصليين، وكانوا بعشرات الملايين. ورزاياهم وكوارثهم المتلتلة فى كل بلد فتحوه معلومة للقاصى والدانى. رأينا ما صنعته بريطانيا بمصر وفلسطين والعراق واليمن الجنوبى والهند، وما فعلته فرنسا فى مصر أواخر القرن الثامن عشر ثم فى سورية والمغرب العربى فى القرنين التاسع عشر والعشرين من إفساد فاحش وقتل وتدمير وكسح ثروات، وما عملته إيطاليا فى ليبيا، وما عمله وحوش الصرب بمسلمى البوسنة والهرسك تحت سمع وبصر الغربيين والأمريكان دون تدخل هؤلاء للدفاع عن المظلومين والمساكين، بل بالتعاون معهم على التنكيل بالمسلمين. ونحن منذ سنة ونصف نشاهد بعيوننا ونسمع بآذاننا ما تفعله صواريخ الدول النصرانية وقنابلها بالمنازل والمستشفيات والمدارس والمؤسسات وسكانها فى فلسطين الحبيبة من خلال الصهاينة الأوباش، فنعرف أن تلك الدول تطبق أعظم تطبيق مبدأ الصفع على الخدين بدلا من خَدٍّ واحد، مبدأ المسامحة والرحمة والرقة التى ستفقع مصارينى من كلام هذا الكلب الأجرب المصاب بداء السعار. وكل ذلك بعكس أسلوب تعامل المسلمين مع البلاد

المفتوحة وغير المفتوحة، إذ لم يؤسلموا أحدا بالقوة، فضلا عن أن تكون الأسلمة جماعية، بَلْهَ أن تكون شاملة عامة لا تستثنى أحدا. كما أن المسلمين لم يفكروا مجرد تفكير، فضلاعن أن ينفذوا على أرض الواقع استئصالا تاما لأى شعب أو طائفة. فلا ينبغى إذن أن نولى هذبان ذلك الكلب السعران أذنا صاغية حين يتكلم عن الرحمة والتسامح النصرانى، فكلامه إنما يذكّرنا بتوفيق الدقن بتاع "أحلى م الشرف ما فيش" وبالمومس الوقحة التى تلطخ سمعة كل حرة شريفة وتتباهى فى وجه كرائم النساء بأنها ربة العفاف والصيانة بحيث إنها لا تخرج عن طريقها أبدا إلا من المنزل إلى بيت الدعارة، ومن بيت الدعارة إلى المنزل.

إن موعظة الجبل بما فيها من شعار "من ضربك على خدك الأيمن فأدر له خدك الأيسر" لا تمس الضمير النصرانى بشىء ولاتؤثر فيه أدنى تأثير، بل هو مجرد كلام يلاك فى وجه المسلمين للضحك على ذقونهم. أما حكاية العهد القديم والعهد الجديد وأن يسوع قد جاء لفتح صفحة جديدة فى تاريخ بنى إسرائيل مضادة لتشريعات العهد القديم، فهو كلام فارغ من المضمون الحقيقى ولا قيمة له أو معنى. إن الغرب النصرانى لا يعرف غير لغة الجزر

والقتل والتدمير والتمزيق والإفقار والطمع والاستكبار والغطرسة والنظر إلى الأمم الأخرى على أنهم حيوانات لا بشر مكرمون، ومن حقهم أن يصنعوا بهم ما يحلو لهم.

ففى سفر "العدد/ ٣١": "١وَكَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى قَائِلًا: ٢«اِنْتَقِمْ نَقْمَةً لِبَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْمِدْيَانِيِّينَ، ثُمَّ تُضَمُّ إِلَى قَوْمِكَ». ٣فَكَلَّمَ مُوسَى الشَّعْبَ قَائِلًا: «جَرِّدُوا مِنْكُمْ رِجَالًا لِلْجُنْدِ، فَيَكُونُوا عَلَى مِدْيَانَ لِيَجْعَلُوا نَقْمَةَ الرَّبِّ عَلَى مِدْيَانَ. ٤أَلْفًا وَاحِدًا مِنْ كُلِّ سِبْطٍ مِنْ جَمِيعِ أَسْبَاطِ إِسْرَائِيلَ تُرْسِلُونَ لِلْحَرْبِ». ٥فَاخْتِيرَ مِنْ أُلُوفِ إِسْرَائِيلَ أَلْفٌ مِنْ كُلِّ سِبْطٍ. اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا مُجَرَّدُونَ لِلْحَرْبِ. ٦فَأَرْسَلَهُمْ مُوسَى أَلْفًا مِنْ كُلِّ سِبْطٍ إِلَى الْحَرْبِ، هُمْ وَفِينْحَاسَ بْنَ أَلِعَازَارَ الْكَاهِنِ إِلَى الْحَرْبِ، وَأَمْتِعَةُ الْقُدْسِ وَأَبْوَاقُ الْهُتَافِ فِي يَدِهِ. ٧فَتَجَنَّدُوا عَلَى مِدْيَانَ كَمَا أَمَرَ الرَّبُّ وَقَتَلُوا كُلَّ ذَكَرٍ. ٨وَمُلُوكُ مِدْيَانَ قَتَلُوهُمْ فَوْقَ قَتْلاَهُمْ: أَوِي وَرَاقِمَ وَصُورَ وَحُورَ وَرَابَعَ. خَمْسَةَ مُلُوكِ مِدْيَانَ. وَبَلْعَامَ بْنَ بَعُورَ قَتَلُوهُ بِالسَّيْفِ. ٩وَسَبَى بَنُو إِسْرَائِيلَ نِسَاءَ مِدْيَانَ وَأَطْفَالَهُمْ، وَنَهَبُوا جَمِيعَ بَهَائِمِهِمْ، وَجَمِيعَ مَوَاشِيهِمْ وَكُلَّ أَمْلاَكِهِمْ. ١٠وَأَحْرَقُوا جَمِيعَ مُدُنِهِمْ بِمَسَاكِنِهِمْ، وَجَمِيعَ حُصُونِهِمْ بِالنَّارِ. ١١وَأَخَذُوا كُلَّ الْغَنِيمَةِ وَكُلَّ النَّهْبِ مِنَ

النَّاسِ وَالْبَهَائِمِ، ١٢وَأَتَوْا إِلَى مُوسَى وَأَلِعَازَارَ الْكَاهِنِ وَإِلَى جَمَاعَةِ بَنِى إِسْرَائِيلَ بِالسَّبْيِ وَالنَّهْبِ وَالْغَنِيمَةِ إِلَى الْمَحَلَّةِ إِلَى عَرَبَاتِ مُوآبَ الَّتِي عَلَى أُرْدُنِّ أَرِيحَا.

١٣فَخَرَجَ مُوسَى وَأَلِعَازَارُ الْكَاهِنُ وَكُلُّ رُؤَسَاءِ الْجَمَاعَةِ لاسْتِقْبَالِهِمْ إِلَى خَارِجِ الْمَحَلَّةِ. ١٤فَسَخَطَ مُوسَى عَلَى وُكَلاءِ الْجَيْشِ، رُؤَسَاءِ الأُلُوفِ وَرُؤَسَاءِ الْمِئَاتِ الْقَادِمِينَ مِنْ جُنْدِ الْحَرْبِ. ١٥وَقَالَ لَهُمْ مُوسَى: «هَلْ أَبْقَيْتُمْ كُلَّ أُنْثَى حَيَّةً؟ ١٦إِنَّ هؤُلاَءِ كُنَّ لِبَنِى إِسْرَائِيلَ، حَسَبَ كَلاَمِ بَلْعَامَ، سَبَبَ خِيَانَةٍ لِلرَّبِّ فِى أَمْرِ فَغُورَ، فَكَانَ الْوَبَأُ فِى جَمَاعَةِ الرَّبِّ. ١٧فَالآنَ اقْتُلُوا كُلَّ ذَكَرٍ مِنَ الأَطْفَالِ. وَكُلَّ امْرَأَةٍ عَرَفَتْ رَجُلاً بِمُضَاجَعَةِ ذَكَرٍ اقْتُلُوهَا. ١٨لكِنْ جَمِيعُ الأَطْفَالِ مِنَ النِّسَاءِ اللَّوَاتِى لَمْ يَعْرِفْنَ مُضَاجَعَةَ ذَكَرٍ أَبْقُوهُنَّ لَكُمْ حَيَّاتٍ".

وفى "يشوع/ ٦": "١٢فَبَكَّرَ يَشُوعُ فِى الْغَدِ، وَحَمَلَ الْكَهَنَةُ تَابُوتَ الرَّبِّ، ١٣وَالسَّبْعَةُ الْكَهَنَةُ الْحَامِلُونَ أَبْوَاقَ الْهُتَافِ السَّبْعَةَ أَمَامَ تَابُوتِ الرَّبِّ سَائِرُونَ سَيْرًا وَضَارِبُونَ بِالأَبْوَاقِ، وَالْمُتَجَرِّدُونَ سَائِرُونَ أَمَامَهُمْ، وَالسَّاقَةُ سَائِرَةٌ وَرَاءَ تَابُوتِ الرَّبِّ. كَانُوا يَسِيرُونَ

وَيَضْرِبُونَ بِالأَبْوَاقِ. ١٤وَدَارُوا بِالْمَدِينَةِ فِى الْيَوْمِ الثَّانِى مَرَّةً وَاحِدَةً، ثُمَّ رَجَعُوا إِلَى الْمَحَلَّةِ. هكَذَا فَعَلُوا سِتَّةَ أَيَّامٍ. ١٥وَكَانَ فِى الْيَوْمِ السَّابِعِ أَنَّهُمْ بَكَّرُوا عِنْدَ طُلُوعِ الْفَجْرِ وَدَارُوا دَائِرَةَ الْمَدِينَةِ عَلَى هذَا الْمِنْوَالِ سَبْعَ مَرَّاتٍ. فِى ذلِكَ الْيَوْمِ فَقَطْ دَارُوا دَائِرَةَ الْمَدِينَةِ سَبْعَ مَرَّاتٍ. ١٦وَكَانَ فِى الْمَرَّةِ السَّابِعَةِ عِنْدَمَا ضَرَبَ الْكَهَنَةُ بِالأَبْوَاقِ أَنَّ يَشُوعَ قَالَ لِلشَّعْبِ: «اهْتِفُوا، لأَنَّ الرَّبَّ قَدْ أَعْطَاكُمُ الْمَدِينَةَ. ١٧فَتَكُونُ الْمَدِينَةُ وَكُلُّ مَا فِيهَا مُحَرَّمًا لِلرَّبِّ (أى يجب قتل الجميع، وهذا معنى التحريم هنا). رَاحَابُ الزَّانِيَةُ فَقَطْ تَحْيَا هِىَ وَكُلُّ مَنْ مَعَهَا فِى الْبَيْتِ، لأَنَّهَا قَدْ خَبَّأَتِ الْمُرْسَلَيْنِ اللَّذَيْنِ أَرْسَلْنَاهُمَا. ١٨وَأَمَّا أَنْتُمْ فَاحْتَرِزُوا مِنَ الْحَرَامِ لِئَلاَّ تُحَرَّمُوا، وَتَأْخُذُوا مِنَ الْحَرَامِ وَتَجْعَلُوا مَحَلَّةَ إِسْرَائِيلَ مُحَرَّمَةً وَتُكَدِّرُوهَا. ١٩وَكُلُّ الْفِضَّةِ وَالذَّهَبِ وَآنِيَةِ النُّحَاسِ وَالْحَدِيدِ تَكُونُ قُدْسًا لِلرَّبِّ وَتَدْخُلُ فِى خِزَانَةِ الرَّبِّ». ٢٠فَهَتَفَ الشَّعْبُ وَضَرَبُوا بِالأَبْوَاقِ. وَكَانَ حِينَ سَمِعَ الشَّعْبُ صَوْتَ الْبُوقِ أَنَّ الشَّعْبَ هَتَفَ هُتَافًا عَظِيمًا، فَسَقَطَ السُّورُ فِى مَكَانِهِ، وَصَعِدَ الشَّعْبُ إِلَى الْمَدِينَةِ كُلُّ رَجُل مَعَ وَجْهِهِ، وَأَخَذُوا الْمَدِينَةَ. ٢١وَحَرَّمُوا كُلَّ مَا فِى الْمَدِينَةِ مِنْ رَجُل وَامْرَأَة، مِنْ طِفْل وَشَيْخ، حَتَّى الْبَقَرَ وَالْغَنَمَ وَالْحَمِيرَ بِحَدِّ السَّيْفِ. ٢٢وَقَالَ

يَشُوعُ لِلرَّجُلَيْنِ اللَّذَيْنِ تَجَسَّسَا الأَرْضَ: «ادْخُلاَ بَيْتَ الْمَرْأَةِ الزَّانِيَةِ وَأَخْرِجَا مِنْ هُنَاكَ الْمَرْأَةَ وَكُلَّ مَا لَهَا كَمَا حَلَفْتُمَا لَهَا». ٢٣فَدَخَلَ الْغُلاَمَانِ الْجَاسُوسَانِ وَأَخْرَجَا رَاحَابَ وَأَبَاهَا وَأُمَّهَا وَإِخْوَتَهَا وَكُلَّ مَا لَهَا، وَأَخْرَجَا كُلَّ عَشَائِرِهَا وَتَرَكَاهُمْ خَارِجَ مَحَلَّةِ إِسْرَائِيلَ. ٢٤وَأَحْرَقُوا الْمَدِينَةَ بِالنَّارِ مَعَ كُلِّ مَا بِهَا، إِنَّمَا الْفِضَّةُ وَالذَّهَبُ وَآنِيَةُ النُّحَاسِ وَالْحَدِيدِ جَعَلُوهَا فِي خِزَانَةِ بَيْتِ الرَّبِّ. ٢٥وَاسْتَحْيَا يَشُوعُ رَاحَابَ الزَّانِيَةَ وَبَيْتَ أَبِيهَا وَكُلَّ مَا لَهَا، وَسَكَنَتْ فِي وَسَطِ إِسْرَائِيلَ إِلَى هذَا الْيَوْمِ، لأَنَّهَا خَبَّأَتِ الْمُرْسَلَيْنِ اللَّذَيْنِ أَرْسَلَهُمَا يَشُوعُ لِكَيْ يَتَجَسَّسَا أَرِيحَا".

وفى سفر "التثنية/٢": "٣١وَقَالَ الرَّبُّ لِي: اُنْظُرْ. قَدِ ابْتَدَأْتُ أَدْفَعُ أَمَامَكَ سِيحُونَ وَأَرْضَهُ. ابْتَدِئْ تَمَلَّكْ حَتَّى تَمْتَلِكَ أَرْضَهُ. ٣٢فَخَرَجَ سِيحُونُ لِلِقَائِنَا هُوَ وَجَمِيعُ قَوْمِهِ لِلْحَرْبِ إِلَى يَاهَصَ، ٣٣فَدَفَعَهُ الرَّبُّ إِلهُنَا أَمَامَنَا، فَضَرَبْنَاهُ وَبَنِيهِ وَجَمِيعَ قَوْمِهِ. ٣٤وَأَخَذْنَا كُلَّ مُدُنِهِ فِي ذلِكَ الْوَقْتِ، وَحَرَّمْنَا مِنْ كُلِّ مَدِينَةٍ: الرِّجَالَ وَالنِّسَاءَ وَالأَطْفَالَ. لَمْ نُبْقِ شَارِدًا. ٣٥لكِنَّ الْبَهَائِمَ نَهَبْنَاهَا لأَنْفُسِنَا، وَغَنِيمَةَ الْمُدُنِ الَّتِي أَخَذْنَا، ٣٦مِنْ عَرُوعِيرَ الَّتِي عَلَى

حَافَةِ وَادِى أَرْنُونَ وَالْمَدِينَةِ الَّتِى فِى الْوَادِى، إِلَى جِلْعَادَ، لَمْ تَكُنْ قَرْيَةٌ قَدِ امْتَنَعَتْ عَلَيْنَا. الْجَمِيعُ دَفَعَهُ الرَّبُّ إِلهُنَا أَمَامَنَا".

وفى سفر "التثنية/ ٣": "١«ثُمَّ تَحَوَّلْنَا وَصَعِدْنَا فِى طَرِيقِ بَاشَانَ، فَخَرَجَ عُوجُ مَلِكُ بَاشَانَ لِلِقَائِنَا هُوَ وَجَمِيعُ قَوْمِهِ لِلْحَرْبِ فِى إِذْرَعِى. ٢فَقَالَ لِى الرَّبُّ: لاَ تَخَفْ مِنْهُ، لأَنِّى قَدْ دَفَعْتُهُ إِلَى يَدِكَ وَجَمِيعَ قَوْمِهِ وَأَرْضِهِ، فَتَفْعَلُ بِهِ كَمَا فَعَلْتَ بِسِيحُونَ مَلِكِ الأَمُورِيِّينَ الَّذِى كَانَ سَاكِنًا فِى حَشْبُونَ. ٣فَدَفَعَ الرَّبُّ إِلهُنَا إِلَى أَيْدِينَا عُوجَ أَيْضًا مَلِكَ بَاشَانَ وَجَمِيعَ قَوْمِهِ، فَضَرَبْنَاهُ حَتَّى لَمْ يَبْقَ لَهُ شَارِدٌ. ٤وَأَخَذْنَا كُلَّ مُدُنِهِ فِى ذلِكَ الْوَقْتِ. لَمْ تَكُنْ قَرْيَةٌ لَمْ نَأْخُذْهَا مِنْهُمْ. سِتُّونَ مَدِينَةً، كُلُّ كُورَةِ أَرْجُوبَ مَمْلَكَةُ عُوجٍ فِى بَاشَانَ. ٥كُلُّ هذِهِ كَانَتْ مُدُنًا مُحَصَّنَةً بِأَسْوَارٍ شَامِخَةٍ، وَأَبْوَابٍ وَمَزَالِيجَ. سِوَى قُرَى الصَّحْرَاءِ الْكَثِيرَةِ جِدًّا. ٦فَحَرَّمْنَاهَا (أى قتلنا كل شخص فيها) كَمَا فَعَلْنَا بِسِيحُونَ مَلِكِ حَشْبُونَ، مُحَرِّمِينَ كُلَّ مَدِينَةٍ: الرِّجَالَ وَالنِّسَاءَ وَالأَطْفَالَ. ٧لكِنَّ كُلَّ الْبَهَائِمِ وَغَنِيمَةِ الْمُدُنِ نَهَبْنَاهَا لأَنْفُسِنَا".

وفى سفر "التثنية/ ١٣": "١٢«إِنْ سَمِعْتَ عَنْ إِحْدَى مُدُنِكَ الَّتِى يُعْطِيكَ الرَّبُّ إِلهُكَ لِتَسْكُنَ فِيهَا قَوْلًا: ١٣قَدْ خَرَجَ أُنَاسٌ بَنُو لَئِيمٍ مِنْ وَسَطِكَ وَطَوَّحُوا سُكَّانَ مَدِينَتِهِمْ قَائِلِينَ: نَذْهَبُ وَنَعْبُدُ آلِهَةً أُخْرَى لَمْ تَعْرِفُوهَا. ١٤وَفَحَصْتَ وَفَتَّشْتَ وَسَأَلْتَ جَيِّدًا وَإِذَا الأَمْرُ صَحِيحٌ وَأَكِيدٌ، قَدْ عُمِلَ ذلِكَ الرِّجْسُ فِى وَسَطِكَ، ١٥فَضَرْبًا تَضْرِبُ سُكَّانَ تِلْكَ الْمَدِينَةِ بِحَدِّ السَّيْفِ، وَتُحَرِّمُهَا بِكُلِّ مَا فِيهَا مَعَ بَهَائِمِهَا بِحَدِّ السَّيْفِ. ١٦تَجْمَعُ كُلَّ أَمْتِعَتِهَا إِلَى وَسَطِ سَاحَتِهَا، وَتُحْرِقُ بِالنَّارِ الْمَدِينَةَ وَكُلَّ أَمْتِعَتِهَا كَامِلَةً لِلرَّبِّ إِلهِكَ، فَتَكُونُ تَلاُ إِلَى الأَبَدِ لاَ تُبْنَى بَعْدُ".

وفى سفر "التثنية/ ٢٠": "١٠«حِينَ تَقْرُبُ مِنْ مَدِينَةٍ لِكَى تُحَارِبَهَا اسْتَدْعِهَا إِلَى الصُّلْحِ، ١١فَإِنْ أَجَابَتْكَ إِلَى الصُّلْحِ وَفَتَحَتْ لَكَ، فَكُلُّ الشَّعْبِ الْمَوْجُودِ فِيهَا يَكُونُ لَكَ لِلتَّسْخِيرِ وَيُسْتَعْبَدُ لَكَ. ١٢وَإِنْ لَمْ تُسَالِمْكَ، بَلْ عَمِلَتْ مَعَكَ حَرْبًا، فَحَاصِرْهَا. ١٣وَإِذَا دَفَعَهَا الرَّبُّ إِلهُكَ إِلَى يَدِكَ فَاضْرِبْ جَمِيعَ ذُكُورِهَا بِحَدِّ السَّيْفِ. ١٤وَأَمَّا النِّسَاءُ وَالأَطْفَالُ وَالْبَهَائِمُ وَكُلُّ مَا فِى الْمَدِينَةِ، كُلُّ غَنِيمَتِهَا، فَتَغْتَنِمُهَا لِنَفْسِكَ، وَتَأْكُلُ غَنِيمَةَ أَعْدَائِكَ الَّتِى أَعْطَاكَ الرَّبُّ إِلهُكَ. ١٥هكَذَا تَفْعَلُ بِجَمِيعِ الْمُدُنِ الْبَعِيدَةِ مِنْكَ جِدًّا الَّتِى

لَيْسَتْ مِنْ مُدُنِ هؤُلاَءِ الأُمَمِ هُنَا. ١٦وَأَمَّا مُدُنُ هؤُلاَءِ الشُّعُوبِ الَّتِي يُعْطِيكَ الرَّبُّ إِلهُكَ نَصِيبًا فَلاَ تَسْتَبْقِ مِنْهَا نَسَمَةً مَّا، ١٧بَلْ تُحَرِّمُهَا تَحْرِيمًا: الْحِثِّيِّينَ وَالأَمُورِيِّينَ وَالْكَنْعَانِيِّينَ وَالْفِرِزِّيِّينَ وَالْحِوِّيِّينَ وَالْيَبُوسِيِّينَ، كَمَا أَمَرَكَ الرَّبُّ إِلهُكَ".

وفى "يشوع/ ٨": "١فَقَالَ الرَّبُّ لِيَشُوعَ: «لاَ تَخَفْ وَلاَ تَرْتَعِبْ. خُذْ مَعَكَ جَمِيعَ رِجَالِ الْحَرْبِ، وَقُمِ اصْعَدْ إِلَى عَايٍ. انْظُرْ. قَدْ دَفَعْتُ بِيَدِكَ مَلِكَ عَايٍ وَشَعْبَهُ وَمَدِينَتَهُ وَأَرْضَهُ، ٢فَتَفْعَلُ بِعَايٍ وَمَلِكِهَا كَمَا فَعَلْتَ بِأَرِيحَا وَمَلِكِهَا (يقصد وجوب تحريمها، أى القتل والاستئصال الذى لا يُبْقِى ولا يَذَر). غَيْرَ أَنَّ غَنِيمَتَهَا وَبَهَائِمَهَا تَنْهَبُونَهَا لِنُفُوسِكُمْ. اجْعَلْ كَمِينًا لِلْمَدِينَةِ مِنْ وَرَائِهَا». ٣فَقَامَ يَشُوعُ وَجَمِيعُ رِجَالِ الْحَرْبِ لِلصُّعُودِ إِلَى عَايٍ. وَانْتَخَبَ يَشُوعُ ثَلاَثِينَ أَلْفَ رَجُلٍ جَبَابِرَةَ الْبَأْسِ وَأَرْسَلَهُمْ لَيْلاً، ٤وَأَوْصَاهُمْ قَائِلاً: «انْظُرُوا! أَنْتُمْ تَكْمُنُونَ لِلْمَدِينَةِ مِنْ وَرَاءِ الْمَدِينَةِ. لاَ تَبْتَعِدُوا مِنَ الْمَدِينَةِ كَثِيرًا، وَكُونُوا كُلُّكُمْ مُسْتَعِدِّينَ. ٥وَأَمَّا أَنَا وَجَمِيعُ الشَّعْبِ الَّذِي مَعِي فَنَقْتَرِبُ إِلَى الْمَدِينَةِ. وَيَكُونُ حِينَمَا يَخْرُجُونَ لِلِقَائِنَا كَمَا فِي الأَوَّلِ أَنَّنَا نَهْرُبُ قُدَّامَهُمْ، ٦فَيَخْرُجُونَ وَرَاءَنَا حَتَّى نَجْذِبَهُمْ عَنِ الْمَدِينَةِ. لأَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّهُمْ هَارِبُونَ أَمَامَنَا كَمَا فِي الأَوَّلِ. فَنَهْرُبُ

قُدَّامَهُمْ. ٧وَأَنْتُمْ تَقُومُونَ مِنَ الْمَكْمَنِ وَتَمْلِكُونَ الْمَدِينَةَ، وَيَدْفَعُهَا الرَّبُّ إِلهُكُمْ بِيَدِكُمْ. ٨وَيَكُونُ عِنْدَ أَخْذِكُمُ الْمَدِينَةَ أَنَّكُمْ تُضْرِمُونَ الْمَدِينَةَ بِالنَّارِ. كَقَوْلِ الرَّبِّ تَفْعَلُونَ. انْظُرُوا. قَدْ أَوْصَيْتُكُمْ». ٩فَأَرْسَلَهُمْ يَشُوعُ، فَسَارُوا إِلَى الْمَكْمَنِ، وَلَبِثُوا بَيْنَ بَيْتِ إِيلَ وَعَاى غَرْبِي عَاى. وَبَاتَ يَشُوعُ تِلْكَ اللَّيْلَةَ فِي وَسَطِ الشَّعْبِ.

١٠فَبَكَّرَ يَشُوعُ فِي الْغَدِ وَعَدَّ الشَّعْبَ، وَصَعِدَ هُوَ وَشُيُوخُ إِسْرَائِيلَ قُدَّامَ الشَّعْبِ إِلَى عَاى. ١١وَجَمِيعُ رِجَالِ الْحَرْبِ الَّذِينَ مَعَهُ صَعِدُوا وَتَقَدَّمُوا وَأَتَوْا إِلَى مُقَابِلِ الْمَدِينَةِ، وَنَزَلُوا شِمَالِي عَاى، وَالْوَادِي بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ عَاى. ١٢فَأَخَذَ نَحْوَ خَمْسَةِ آلاَفِ رَجُل وَجَعَلَهُمْ كَمِينًا بَيْنَ بَيْتِ إِيلَ وَعَاى غَرْبِي الْمَدِينَةِ. ١٣وَأَقَامُوا الشَّعْبَ، أَيْ كُلَّ الْجَيْشِ الَّذِي شِمَالِي الْمَدِينَةِ، وَكَمِينَهُ غَرْبِي الْمَدِينَةِ. وَسَارَ يَشُوعُ تِلْكَ اللَّيْلَةَ إِلَى وَسَطِ الْوَادِي. ١٤وَكَانَ لَمَّا رَأَى مَلِكُ عَاى ذلِكَ أَنَّهُمْ أَسْرَعُوا وَبَكَّرُوا، وَخَرَجَ رِجَالُ الْمَدِينَةِ لِلِقَاءِ إِسْرَائِيلَ لِلْحَرْبِ، هُوَ وَجَمِيعُ شَعْبِهِ فِي الْمِيعَادِ إِلَى قُدَّامِ السَّهْلِ، وَهُوَ لاَ يَعْلَمُ أَنَّ عَلَيْهِ كَمِينًا وَرَاءَ الْمَدِينَةِ. ١٥فَأَعْطَى يَشُوعُ وَجَمِيعُ إِسْرَائِيلَ انْكِسَارًا أَمَامَهُمْ وَهَرَبُوا فِي طَرِيقِ الْبَرِّيَّةِ. ١٦فَأُلْقِيَ الصَّوْتُ عَلَى جَمِيعِ الشَّعْبِ الَّذِينَ فِي الْمَدِينَةِ لِلسَّعْيِ وَرَاءَهُمْ، فَسَعَوْا

وَرَاءَ يَشُوعَ وَانْجَذَبُوا عَنِ الْمَدِينَةِ. ١٧وَلَمْ يَبْقَ فِي عَاي أَوْ فِي بَيْتِ إِيل رَجُلٌ لَمْ يَخْرُجْ وَرَاءَ إِسْرَائِيلَ. فَتَرَكُوا الْمَدِينَةَ مَفْتُوحَةً وَسَعَوْا وَرَاءَ إِسْرَائِيلَ.

١٨فَقَالَ الرَّبُّ لِيَشُوعَ: «مُدَّ الْمِزْرَاقَ الَّذِي بِيَدِكَ نَحْوَ عَاي لأَنِّي بِيَدِكَ أَدْفَعُهَا». فَمَدَّ يَشُوعُ الْمِزْرَاقَ الَّذِي بِيَدِهِ نَحْوَ الْمَدِينَةِ. ١٩فَقَامَ الْكَمِينُ بِسُرْعَةٍ مِنْ مَكَانِهِ وَرَكَضُوا عِنْدَمَا مَدَّ يَدَهُ، وَدَخَلُوا الْمَدِينَةَ وَأَخَذُوهَا، وَأَسْرَعُوا وَأَحْرَقُوا الْمَدِينَةَ بِالنَّارِ. ٢٠فَالْتَفَتَ رِجَالُ عَاي إِلَى وَرَائِهِمْ وَنَظَرُوا وَإِذَا دُخَانُ الْمَدِينَةِ قَدْ صَعِدَ إِلَى السَّمَاءِ. فَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مَكَانٌ لِلْهَرَبِ هُنَا أَوْ هُنَاكَ. وَالشَّعْبُ الْهَارِبُ إِلَى الْبَرِّيَّةِ انْقَلَبَ عَلَى الطَّارِدِ. ٢١وَلَمَّا رَأَى يَشُوعُ وَجَمِيعُ إِسْرَائِيلَ أَنَّ الْكَمِينَ قَدْ أَخَذَ الْمَدِينَةَ، وَأَنَّ دُخَانَ الْمَدِينَةِ قَدْ صَعِدَ، انْثَنَوْا وَضَرَبُوا رِجَالَ عَاي. ٢٢وَهؤُلاَءِ خَرَجُوا مِنَ الْمَدِينَةِ لِلِقَائِهِمْ، فَكَانُوا فِي وَسَطِ إِسْرَائِيلَ، هؤُلاَءِ مِنْ هُنَا وَأُولئِكَ مِنْ هُنَاكَ. وَضَرَبُوهُمْ حَتَّى لَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ شَارِدٌ وَلاَ مُنْفَلِتٌ. ٢٣وَأَمَّا مَلِكُ عَاي فَأَمْسَكُوهُ حَيًّا وَتَقَدَّمُوا بِهِ إِلَى يَشُوعَ. ٢٤وَكَانَ لَمَّا انْتَهَى إِسْرَائِيلُ مِنْ قَتْلِ جَمِيعِ سُكَّانِ عَاي فِي الْحَقْلِ فِي الْبَرِّيَّةِ حَيْثُ لَحِقُوهُمْ وَسَقَطُوا جَمِيعًا بِحَدِّ السَّيْفِ حَتَّى فَنُوا، أَنَّ جَمِيعَ إِسْرَائِيلَ

رَجَعَ إِلَى عَاى وَضَرَبُوهَا بِحَدِّ السَّيْفِ. ٢٥فَكَانَ جَمِيعُ الَّذِينَ سَقَطُوا فِي ذلِكَ الْيَوْمِ مِنْ رِجَال وَنِسَاءٍ اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفًا، جَمِيعُ أَهْلِ عَاى. ٢٦وَيَشُوعُ لَمْ يَرُدَّ يَدَهُ الَّتِي مَدَّهَا بِالْمِزْرَاقِ حَتَّى حَرَّمَ جَمِيعَ سُكَّانِ عَاى. ٢٧لكِنِ الْبَهَائِمُ وَغَنِيمَةُ تِلْكَ الْمَدِينَةِ نَهَبَهَا إِسْرَائِيلُ لأَنْفُسِهِمْ حَسَبَ قَوْلِ الرَّبِّ الَّذِي أَمَرَ بِهِ يَشُوعَ. ٢٨وَأَحْرَقَ يَشُوعُ عَاى وَجَعَلَهَا تَلًا أَبَدِيًّا خَرَابًا إِلَى هذَا الْيَوْمِ. ٢٩وَمَلِكُ عَاى عَلَّقَهُ عَلَى الْخَشَبَةِ إِلَى وَقْتِ الْمَسَاءِ. وَعِنْدَ غُرُوبِ الشَّمْسِ أَمَرَ يَشُوعُ فَأَنْزَلُوا جُثَّتَهُ عَنِ الْخَشَبَةِ وَطَرَحُوهَا عِنْدَ مَدْخَلِ بَابِ الْمَدِينَةِ، وَأَقَامُوا عَلَيْهَا".

وفى "صموئيل الثانى/ ١٢": "٢٦وَحَارَبَ يُوآبُ رِبَّةَ بَنِي عَمُّونَ وَأَخَذَ مَدِينَةَ الْمَمْلَكَةِ. ٢٧وَأَرْسَلَ يُوآبُ رُسُلًا إِلَى دَاوُدَ يَقُولُ: «قَدْ حَارَبْتُ رِبَّةَ وَأَخَذْتُ أَيْضًا مَدِينَةَ الْمِيَاهِ. ٢٨فَالآنَ اجْمَعْ بَقِيَّةَ الشَّعْبِ وَانْزِلْ عَلَى الْمَدِينَةِ وَخُذْهَا لِئَلاَّ آخُذَ أَنَا الْمَدِينَةَ فَيُدْعَى بِاسْمِي عَلَيْهَا». ٢٩فَجَمَعَ دَاوُدُ كُلَّ الشَّعْبِ وَذَهَبَ إِلَى رِبَّةَ وَحَارَبَهَا وَأَخَذَهَا. ٣٠وَأَخَذَ تَاجَ مَلِكِهِمْ عَنْ رَأْسِهِ، وَوَزْنُهُ وَزْنَةٌ مِنَ الذَّهَبِ مَعَ حَجَرٍ كَرِيمٍ، وَكَانَ عَلَى رَأْسِ دَاوُدَ. وَأَخْرَجَ غَنِيمَةَ الْمَدِينَةِ كَثِيرَةً جِدًّا. ٣١وَأَخْرَجَ الشَّعْبَ الَّذِي فِيهَا وَوَضَعَهُمْ تَحْتَ

مَنَاشِيرَ وَنَوَارِجِ حَدِيدٍ وَفُؤُوسِ حَدِيدٍ وَأَمَرَّهُمْ فِي أَتُونِ الآجُرِّ، وَهكَذَا صَنَعَ بِجَمِيعِ مُدُنِ بَنِي عَمُّونَ. ثُمَّ رَجَعَ دَاوُدُ وَجَمِيعُ الشَّعْبِ إِلَى أُورُشَلِيمَ".

وفى سفر "الملوك الثانى/ ١٥": "١٤وَصَعِدَ مَنَحِيمُ بْنُ جَادِي مِنْ تِرْصَةَ وَجَاءَ إِلَى السَّامِرَةِ، وَضَرَبَ شَلُّومَ بْنَ يَابِيشَ فِي السَّامِرَةِ فَقَتَلَهُ، وَمَلَكَ عِوَضًا عَنْهُ. ١٥وَبَقِيَّةُ أُمُورِ شَلُّومَ وَفِتْنَتُهُ الَّتِي فَتَنَهَا هِيَ مَكْتُوبَةٌ فِي سِفْرِ أَخْبَارِ الأَيَّامِ لِمُلُوكِ إِسْرَائِيلَ. ١٦حِينَئِذٍ ضَرَبَ مَنَحِيمُ تَفْصَحَ وَكُلَّ مَا بِهَا وَتُخُومَهَا مِنْ تِرْصَةَ، لأَنَّهُمْ لَمْ يَفْتَحُوا لَهُ. ضَرَبَهَا وَشَقَّ جَمِيعَ حَوَامِلِهَا".

ثم جاء يسوع فقدم لنا الخلاصة الحقيقية إذ قال: "٣٤«لاَ تَظُنُّوا أَنِّي جِئْتُ لأُلْقِيَ سَلاَمًا عَلَى الأَرْضِ. مَا جِئْتُ لأُلْقِيَ سَلاَمًا بَلْ سَيْفًا. ٣٥فَإِنِّي جِئْتُ لأُفَرِّقَ الإِنْسَانَ ضِدَّ أَبِيهِ، وَالابْنَةَ ضِدَّ أُمِّهَا، وَالْكَنَّةَ ضِدَّ حَمَاتِهَا" (إنجيل متى/ ١٠: ٣٤). ترى أين ذهب شعار "من ضربك على خدك الأيمن فأدر له خدك الأيسر"؟ لقد أكلته القطة!

والآن قارن هذا الكلام الدموى بما قاله رسول الله فى أحاديثه الشريفة حتى نتبين الفرق بين ما عندنا وما فى كتبهم. لقد نهانا عن التعرض للنساء والشيوخ والأطفال والرهبان والمسالمين بأى أذى، ونهانا عن عقر النخل والشجر وتحريق البيوت أو هدمها وقتل الحيوانات، وإذا أسرنا أسيرا فعلينا إطعامه والعناية به، وإن جنح عدونا للسلم فيجب علينا الجنوح له. كذلك لا ينبغى أن نفرح بالقتال إلا إذا كان لا مناص منه.

إن الدين الكريم الذى أتى به نبينا العظيم مفعم بالحث على الصبر والعفو والتسامح، ولكن من باب القوة والمقدرة وحين يكون العفو هو الحل الناجع أوعلى الأقل: هو الحل الأمثل. والمسلم مطالب بالصبر والعفو لا فى مواجهة البشر وسخافاتهم وتجاوزاتهم فقط بل وفى وجه حِدْثَان الحياة وما فيها من متاعب ومعاناة أيضا. قال تعالى: "وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ"، "وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ (أى إن طلقتم زوجاتكم) مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ

يَعْفُوَ الَّذِى بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلَا تَنْسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ"، "إِنْ تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا"، "يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ"، "(يا رسول الله) خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ"، "ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنْصُرَنَّهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ"، "وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ"، "وَهُوَ الَّذِى يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ"، "وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ"، "وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ"، "وَلَا تَزَالُ (يارسول الله) تَطَّلِــعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ (من اليهود) إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ"، "وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ (الكلام عن المشركين وصلابة أمخاخهم وعنادهم فى مواجهة ما جاءهم به من خير ونور وتحضر)"، "وَقِيلِهِ

(أى قول رسول الله عن المشركين وتمردهم على سماع دعوة الإسلام والتقدم والاستنارة) يَا رَبِّ إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ * فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ"، "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ"، "وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ"، "(وفى الصراع مع المشركين) إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ"، "لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ"، "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ"، "وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ"، "وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ"، "وَاصْبِرْ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ"، "الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ"، "وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ"، "وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ * جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ

يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ * سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ"، "وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ * الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ"، "وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ"، "وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ * وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ * إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ"، "فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ (أى المشركون) وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى"، "إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ (جَزَيْتُ المؤمنين يوم القيامة) بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ"، "أُولَئِكَ (المؤمنون الصالحون) يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ (الجنة) بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا"، "أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا (الكلام عن أهل الكتاب الذين آمنوا بمحمد عليه السلام)"، "وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ * الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ"، "فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ"، "وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّلْ لَنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ

الْحِسَابِ * اصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ"، "وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ الْمُسْلِمِينَ * وَلَا تَسْتَوِى الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِىٌّ حَمِيمٌ * وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ"، "(من صفات المؤمنين أنهم) إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْىُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ * وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ * وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ * إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِى الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ"، "فَاصْبِرْ (يارسول الله) كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ"، "فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ * وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَارَ السُّجُودِ"، "وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ * وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ"، "فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا"، "وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا"، "وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ"، "وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا * مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا

يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا * وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا"، "ثُمَّ كَانَ (أى العمل الصالح) مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ * أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ"، "وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ".

لا أظن أنه يوجد فى الأناجيل ولا فى العهد القديم شىء مثل هذا مع أنى لم أورد كل الآيات المتعلقة بموضوعنا ولا تطرقت إلى ما خلفه لنا رسول الله من كنوز الحديث الثرية المباركة. ولا ريب فى أن القارئ قد لاحظ أن الصبر والعفو والتسامح والتغاضى فى الآيات المجيدة يغطى كل شىء فى الدنيا. ومع هذا كله فنحن لا نطنطن بما عندنا من كنوز نفسية وأخلاقية وروحية واجتماعية كما يفعل كذبا وزورا أصحاب "إذا ضربك أحد على خدك الأيمن فأدر له خدك الأيسر". وقد كانت الفتوح الإسلامية رغم كل ما يمكن أن يشغب به الشاغبون عليها هى أفضل وأرقى وأنقى وأنظف وأطهر وأعدل وأقوم من كل غزو آخر. ونحن، وعلى عينك يا تاجر، نرى بأنفسنا كيف يتصرف الأوغاد الأمريكان

والأوربيون تجاهنا وتجاه الفلسطينيين. لعنة الله على كل وغد لئيم أثيم!

وهنا يأتى ما قاله توما الأكوينى عن الحديث الذى يقول: "لا يجتمعُ دينان فى جزيرةِ العربِ"، وإن كان المعلق النصرانى قد ترجم الكلام المكتوب باللاتينية ولم يلتزم بنص الحديث كما رواه مسلم حسبما قال. وهذا ما كتبه موقع "الدرر السنية" فى تحديد معنى "جزيرة العرب": "اختُلِفَ فى المقصودِ بجزيرةِ العربِ تحديدًا بعدَ اتِّفاقِهم جميعًا على مكَّةَ والمدينةِ، فقيل: الذى يُمَنَعُ المشرِكونَ مِن سُكناهُ مِن أرضِ الجزيرةِ هو الحِجازُ خاصَّةً. وهذا التَّخصيصُ لأنَّ تَيْماءَ التى أُخرِجَ اليهودُ إليها كانتْ مِن جَزيرةِ العربِ، لكنَّها ليسَتْ مِن الحِجازِ. ومنهم مَن أدْخَلَ اليمامةَ. ومنهم مَن أدخَلَ اليمنَ فى هذا التَّخصيصِ. وقيل: المقصودُ بالجزيرةِ العربيَّةِ هو كلُّ أرضِ العربِ التى كانتْ تحتَ أيديهِم، وفيها أوطانُهم منذُ الجاهليَّةِ، وهى المنطقةُ التى يُحيطُ بها البحرُ الأحمرُ والمحيطُ الهندى والخليجُ العربى، وتَنتهى شَمالًا إلى أطرافِ الشامِ والعراقِ... ولمَّا استُخلِفَ عُمَرُ بنُ الخطَّابِ رضِى اللهُ عنه أَجْلَى أهلَ نَجْرانَ إلى النَّجْرانيَّةِ بناحيةِ الكُوفةِ، وبهم سُمِّيتْ، واشتَرى عقرَهم وأموالَهم، وأَجْلى

أهلَ فَدَكَ وتَيْماءَ وأهلَ خَيْبَرَ. ومع إخراجِهم منها لا يَمنَعُ ذلك مِن دخولِهم إيَّاها مسافرينَ أو لحاجةٍ".

وأنا لا أعرف فى الواقع معنى لإثارة الأكوينى هذا الأمر، وكتاباته قد مهدت الطريق لتصفية الإسلام والمسلمين من شبه الجزيرة الأيبيرية واستئصال شأفة التوحيد تمام الاستئصال عن طريق محاكم التفتيش. فيا له من حقود وحشى وأحمق! والشىء الثانى أن الفاتيكان دولة لا يوجد فيها غير النصارى بل غير رجال الدين النصرانى. فمن الممكن النظر إلى قول النبى هذا فى ضوء وضع الفاتيكان. ونحن الآن نرى الصهاينة فى فلسطين قد جعلوا دولتهم وقفا على اليهود ويعملون بكل وسيلة وسبيل على طرد الفلسطينيين منها بعدما سرقوها منهم بتخطيط ومعونة وحماية الغرب النصرانى. فاهم أو لا أيها الخنزير؟ ثم إن علماء الدين المسلمين قد اختلفوا فى تحديد معنى "جزيرة العرب" حتى لقد حددها فريق منهم بأن المقصود هو الحجاز فقط. ولا ينبغى أن ننسى أن النبى قد سمح لوفد نصرانى قدم إلى المدينة أن يؤدوا صلاتهم فى مسجده صلى الله عليه وسلم. كما أن عمر لم يستول على أملاك المهجَّرين مجانا بل اشتراها منهم. ولم يحدث أن أكره أحدا منهم على

الإسلام ولا ساومهم على هجر دينهم. وعلى أية حال لقد أُنْشِئَتْ الآن الكنائس فى بلاد الجزيرة العربية وتطاول منشئوها فى البنيان. بل لقد بُنِىَ معبد هندوسى هائل ضخم رحيب الجنبات فى دولة الإمارات، ووُضِعَتْ تماثيل بوذا فى الطرق العامة، وجُعِلَت الإجازة الأسبوعية يومى السبت والأحد، أما الجمعة فهو يوم عمل للمسلمين لا يرتاحون فيه، فى الوقت الذى أراح فيه الوضعُ الجديدُ اليهودَ والنصارَى وكأنهم هم أهل البلد، وكأن أهل البلد هم الغرباء الطارئون الذين لا يحق أخذهم فى الاعتبار والحسبان. على أن المسألة لا تتم فصولها هنا، إذ ظهر هناك ما يسمَّى بـ"االديانة الإبراهيمية"، لتحل فى الغالب محل الإسلام. وتنحاز الإمارات الآن إلى الصهاينة فى عدوانهم الوحشى على الفلسطينيين. والبقية تأتى. واستر يا رب!

ولا يتوقف سخف عقل الأكوينى عند هذا الحد بل يمضى زاعما أن الإسلام لا يعتمد على الحوار والإقناع بل عل القوة المسلحة. ودليل هذا المتخلف هو قوله تعالى فى سورة "البقرة": "كُتِبَ عليكم القِتالُ وهو كُرْهٌ لكم" مع أن معنى الآية أن القتال ليس مما تهش له النفس. وهل هناك من يشك فى هذا؟ لكن

الظروف التى مر بها المسلمون أوانذاك أجبرتهم على القتال دفاعا عن أنفسهم لا لفرض الإسلام على غيرهم، وإلا فهل كان الرسول يمسك سيفا وحربة فى يده يقطع بالأول رقبة من يقف أمامه ويرفض ما يدعوه إليه، ويرمى بالثانية ظهر من يرفض الدعوة ويجرى ولا يقف؟ إنا لو رجعنا قليلا عدة آيات قبل تلك الآية لقرأنا قوله تعالى: "وَقَاتِلُوا فِى سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ * وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ * فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ * وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ * الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ".

وفى سورة "النحل": "ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِى هِى أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ * وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ

وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ * وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ * إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ".

وفى القرآن المجيد تقابلنا العبارات التالية التى تتمحور حول الرسول الكريم مخاطَبًا ومتكلِّمًا: "لستَ عليهم بمسيطر، لستُ عليكم بوكيل، وما أنا عليكم بحفيظ، وما أنت عليهم بجبّار، إن أنت إلا نذير، وما أنا إلا نذير وبشير، ليس لك من الأمر شىء أو يتوبَ عليهم أو يعذّبَهم". فكيف يقال إن الإسلام دين الإكراه وفرض الدعوة الجديدة على الناس بقوة السلاح؟ إن ذلك المتخلف المنافق عابد البشر يرمى الإسلام بداء أمته وينسلّ، سلّ الله جسمه! إن المسيح رغم أنه لم يُعَمَّر على الأرض طويلا قد هدد بنى إسرائيل بأنه إنما جاءهم بالسيف، فكيف لو امتد به العمر أطول من الت القصير الذى عاشه؟ إذن لكانت له فيهم وقعات مثخنة ولنشرهم بالمناشير وحَرَّم بالسيف أو بالنار أهل كل مدينة يفتحها كما يقول العهد القديم. ألم يقل إنه ما جاء لينقض الناموس بل ليُكَمِّل؟ لكن كان للأقدار كلمة أخرى. وعلى أية حال فالعبرة بالواقع لا بالكلام الكبير المتشنج. وقد بينا أن الغزو النصرانى للدول لا علاقة له

بـ"الحد الأيمن والحد الأيسر" والشعارات الفارغة الكاذبة عن الرحمة والتسامح وحب السلام بل بالقتل والدمار وتمزيق الدول ونشر الجهل وإفقار الشعوب وشفط ثرواتها حراما وسحتا. وسوف أجتزئ هنا بمثالين اثنين فقط يبينان لنا الفرق بين طريقة الإسلام فى فتح البلاد وطريقة النصرانية فى غزوها: لقد فتح المسلمون القدس، فلم نرهم يبيدون الناس أو يجبرونهم على هجر دينهم أو لغتهم بل تم ذلك مع مرور الوقت وصارت المنطقة عربية إسلامية على المنوال الطبيعى فى تطور الأحداث والأحوال. لكن تعالوا إلى الناحية الأخرى لنرى ماذا صنع الصليبيون حينما دخلوا بيت المقدس. ولن نورد هنا شيئا غير المذبحة التى نفذوها وراح ضحيتها عشرات الألوف من العرب والمسلمين حتى لقد كتب أحد مؤرخيهم هم أنهم كانوا يخوضون حرفيا فى دماء الشهداء. يا للهول! ولم يعْفُوا المدن النصرانية التى مروا بها عبر أوربا من النهب والسلب والقتل والتدمير. وهذا مشهور متعالم يعرفه كل من له أدنى تماسٍّ مع تاريخ الحملات الصليبية.

كذلك فتح المسلمون شبه الجزيرة الأيبيرية، فلم نسمع قط أنهم نفذوا مذابح أو فكروا مجرد تفكير فى تغيير دين الناس هناك أو

لغتهم وأدبهم أو تهجيرهم، فضلا عن استئصالهم أو إنشاء محاكم تفتيش إسلامية يقوم عليها علماء دين مجرمون ساديون أبالسة كمحاكم التفتيش النصرانية القادمة فى الطريق. ثم شالت نعامتهم لركونهم إلى الترف وهجران قيم الدين التى من شأنها المحافظة على صلابة الأمة وطموحها الغلاب وتمتين ثقتها بربها وبنفسها وبقدراتها، فضلا عن التمزق إلى دويلات تتنازع فيما بينها وتحاول كل منها القضاء على الدويلة الأخرى مع الاستعانة بالقوى النصرانية هناك. ثم إننا نعلم تماما ما حدث بعدما انتهت السيادة الإسلامية فى تلك البلاد، إذ قامت محاكم التفتيش الإجرامية الشيطانية التى وضعت نصب عينيها إخلاء شبه الجزيرة الأيبيرية من الإسلام والمسلمين معا بكل الوسائل الممكنة وبكل طريقة تخطر أو لا تخطر على البال، ونجحت فى ذلك نجاحا مذهلا عن طريق القتل والإحراق، والتجسس على البيوت المفتوحة ليل نهار بأمرهم، والاعتقال والتعذيب فى السجن على نحو لا يطيقه بشر، والتهجير ومصادرة الممتلكات والإكراه على نبذ الإسلام واعتناق النصرانية والانسلاخ من اللغة العربية وطىّ صفحة الأدب المكتوب بها وإحراق الكتب الإسلامية والعربية.

وللعلم فإن الأغلبية الساحقة الماحقة من المسلمين هناك كانوا مواطنين من أهل البلاد لا من العرب أو البربر. نعم لقد امترجت الدماءات الثلاثة، لكن نسبة الدم العربى والبربرى فى هذا المزيج نسبة ضئيلة أشد الضآلة، إذ كانت أعداد الفاتحين تحصى بالألف بينما كانت فى حالة المواطنين تعد بالمليون.

وننتقل إلى تهمة أخرى، وملخصها أن القرآن يخالف الكتب المقدسة. ولا أدرى كيف لم يبصر هذا المتخلف ما يفتحه على نفسه من أبواب الخزى. أيها المتخلف، لقد جاء الإسلام بالتوحيد بينما جعلتم الله ثالث ثلاثة، وهو ما لم يرد فى كتاب سماوى. وصور كتابك المقدس الله والأنبياء فى صور تثير الاشمئزاز والنفور فى حين حافظ القرآن على جلال الله وعظمته وسلطانه وعلى نقاء سيرة الأنبياء كما كانوا فى الحياة لا على صفحات كتابكم: فهذا يسكر ويفقد وعيه يتصرف كالأوباش فينطرح على الأرض وتبدو سوأته ويدخل ابنه عليه فيراه على تلك الحالة المزرية. وهذا يتخلى عن امرأته للملك مكتفيا ببعض المواشى التى أنعم بها الملك عليه. وهذا يخدع الله ويحصل على البركة بطبق عدس وارتداء فراء خروف، وهذا يسكر ويمارس الزنا مع بنتيه، وهذا يخاطب الله

بأسلوب وقح، وهذا يصنع العجل ليعبده قومه، وهذا يزنى ويقتل، وهذا يتزوج بالمشركات ويعصى الله ويتمرد على أوامره ونواهيه ثم لا يكتفى سيادته بهذا بل ينصب لهم الأوثان فى البيت، وفوق هذا يشاركهن فى عبادتها، ثم إنه لا يستحى ويبقى الطبق مستورا بل ينظم شعرا عاهرا تنفر من نظمه المومسات... إلخ. كما أن الإسلام ينهى عن الكفر بالله وأنبيائه وعن القتل والزنا والخمر والظلم والكذب واللواط والسرقة وغصب ممتلكات الغير... فهل تعاليم دينكم ترحب بما نهى عنه الإسلام، فكتابكم يأمر بالكفر والقتل والزنا وشرب الخمور ويحبب إليكم الظلم والكذب والشذوذ الجنسى والسرقة واغتصاب أموال الآخرين؟ والإسلام يفرض على المسلم والمسلمة طلب العلم، فهل دينكم يحبذ الجهل يا جاهل ويفضل أن يظل الإنسان حيوانا بل وحيوانا غير عاقل ولا فاهم ولا عارف ولا عالم؟ قل يا متخلف ولا تسكت! والإسلام يحض نبيَّه على الشورى، فهل أنبياؤكم طغاة مستبدون؟ والإسلام يوصينا بالصبر والتجمل بالأمل، فبم يوصيكم كتابكم؟ ألعله يوصيكم بالسخط والرعونة والتعجل والركون إلى اليأس والكآبة؟ فى الواقع أيها القارئ سوف تجد فى كتابهم المقدس أخلاقا قذرة وعقولا مشوهة

وظلما وسرقة وإجحافا وزنا وقتلا... وممن؟ من أنبيائهم أنفسهم. لكنى اكتفيت هنا بتجلية وجه الإسلام الجميل البديع ليس إلا حتى يفهم المسلمون أن هذا الخنزير يكذب ويكذب ويكذب، وهو إنما يفعل ذلك استنادا إلى ما قاله بولس وينفذه كثير من رجال دينهم من أن الكذب، ما دام يستخدم فى نصرة دينهم، فهو حلال زلالا بلال. أعاش الله الكذابين فى هم وبلبال!

ومما قاله توما الأكوينى كذلك أن أحدا من الأنبياء السابقين لم يتنبأ بمجيء محمد. وقبل أن نناقش هذه الدعوى فإننا نتساءل: هل هناك قاعدة فى أى دين من الأديان السماوية تقول إنه لا يمكن أن يكون أى شخص نبيا إلا إذا تنبأ نبى سابق به؟ فأين هذه القاعدة؟ بل إن المسيح نفسه لم يتنبأ به نبى من قبل تنبؤا واضحا لا يحتمل جدالا أو مراجعة، وإلا فلم كان كل نبى بما فيهم عيسى عليه السلام يقابَل بالتكذيب والعناد والعصيان ولا يؤمن به الناس إلابعد اللَّتَيَّا والَّتِى؟ ولنطالع معا ما كتبته "دائرة المعارف الكتابية" فى مادة "نبوة" لنرى أهناك مثل تلك القاعدة التى يشهرها توما الأكوينى المتخلف فى وجوهنا ظنا منه أنه بها يستطيع أن يوقف نبوة محمد صلى الله عليه وسلم. تقول مادة "نبوة - نبوات - نبى – أنبياء" فى تلك الدائرة:

"أولا: (١) النبوة فى الكتاب المقدس:

الثابت أن الكتاب المقدس يعتبر أن النبى هو من يتكلم بما يُوحَى به إليه من الله، فأقواله ليست من بنات أفكاره، ولكنها من مصدر أسمى. والنبي هو فى نفس الوقت "الرائى" الذى يرى أمورًا لا تقع فى دائرة البصر الطبيعى، ويسمع أشياء لا تستطيع الأذن الطبيعية أن تسمعها. فكلمتا "النبى" و"الرائى" مترادفتان (١صم ٩: ٩). أما من يتكلمون "برؤيا قلبهم لا عن فم الرب" "فمن تلقاء ذواتهم ... الذاهبين وراء روحهم، ولم يروا شيئًا" فهم أنبياءُ كَذَبَةٌ" و"الرب لم يرسلهم" (إرميا ٢٣: ١٦ - ١٨، حز ١٣: ٢ - ٧). فالأنبياء الحقيقيون إنما يتكلمون بما يضعه الله فى أفواههم أو يكشفه لبصائرهم الروحية (ارجع إلى إش ٢: ١). فليس من الضرورى أن يأتى كلام الرب للنبي بصوت مسموع لأذنه الطبيعية. ولكن الأمر الأساسى هو أن يكون قادرًا تمامًا على التمييز بين صوت الله وصوت قلبه أو أفكاره الذاتية. فبهذا وحده يستطيع أن يقول إنه يتكلم باسم الرب أو "هكذا قال السيد الرب" (حز ٤: ١٦، ٧: ١). وفى هذا الحال يدرك أنه لابد أن يتكلم كما يقول عاموس النبي: الأسد قد زمجر، فمن لا يخاف؟ السيد الرب قد تكلم، فمن لا يتنبأ" (عا ٣: ٨)، لأن كلمات الرب تشتعل فى قلبه "كنار محرقة" إلى أن ينطق بها (إرميا ٢٠: ٧ - ٩).

(٢) الوحى النبوى:

إن القوة الإلهية التى تحل على كائن بشرى وتجبره على رؤية أو سماع أشياء تظل بدون ذلك مخفية عنه، هذه القوة هى التى يعبر عنها "بالوحى"، فيقـال مثلًا: "فكان عليه روح الله" (عد ٢٤: ٢)، أو "حل عليه روح الله" (حز١١: ٥) ؛ أو "كانت عليه يد الرب" (٢ مل ٣: ١٥، حز ١: ٣، ٣: ١٤ و ٢٢)، أو "لبسه روح الله" (٢أخ ٢٤: ٢٠)، أى أن روح الله ملأه، أو "استقرت" روح الله عليه (٢ مل ٢: ١٥، إش ١١: ٢ و٦١: ١)، أى حلت حلولًا دائمًا. أو "جعل الرب روحه عليه" (عد ١١: ٢٩)، أو "وضع الرب روحه عليه" (إش ٤٢: ١)، أو "يسكب روحه عليه" (يو ٢: ٨٢). ولكن لم يكن الوحى يلغى وعى من يتلقاه أو شخصيته فيصبح مجرد آلة تسجيل، بل يكون متلقى الوحى فى كامل وعيه، ويستطيع فيما بعد أن يصف كل ما حدث وصفًا دقيقًا. فالله هو الذى أعد النبى لتلقى الوحى، وزوده بكل المواهب والقدرات والخبرات اللازمة لنقل أقوال الله وتدوينها كما وصلت إليه بكل أمانة ودقة ".

فكما نرى ليس فى هذا النص المتصل بموضوعنا اتصالا مباشرا ولا فى بقية المادة، وهى عن موضوعات لا علاقة لها بما نحن فيه، ليس فى ذاك ولا هذه أى شىء مما ادعاه توما الأكوينى من قريب أو من بعيد، بل مِلَاكُ الأمرِ يقوم على تجربة النبى الذاتية، وهو ما حدث فى حالة النبى محمد صلى الله عليه وسلم أفضل وأوضح وأحسم من أى نبى من أنبياء الكتاب المقدس مما وصفه وشرحه عليه السلام فى الحديث عما رآه فى

الغار وفى شعوره بالعبء الباهظ الملقَى على عاتقه عندما وبعدما ظهر جبريل له فى السماء وحادثه ونقَل إليه رسالة ربه. بل لقد كانت حياته كلها بعد أن صار نبيا سلسلة متصلة من المعاناة والإزعاج. ولم يقبض النبى على الفور على هذه الرؤيا ويدَّعِ أنه نبى وأن الله ظهر له وكلمه وحاوره ورفعه مكانا عليا فوق جميع البشر، بل كان خائفا مرتعدا كما تنبئنا سورتا "المزمل" و"المدثر".

وفى الحديث التالى تصوير لما وقع فى الغار ليلة ظهر له جبريل: "كانَ أوَّلَ ما بُدِئَ به رَسولُ اللَّهِ ﷺ الرُّؤْيا الصّادِقَةُ فى النَّوْمِ، فَكانَ لا يَرى رُؤْيا إلّا جاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ، ثُمَّ حُبِّبَ إلَيْهِ الخَلاءُ، فَكانَ يَلْحَقُ بغارِ حِراءٍ فَيَتَحَنَّثُ فيه (قالَ: والتَّحَنُّثُ: التَّعَبُّدُ) اللَّيالِى ذَواتِ العَدَدِ قَبْلَ أنْ يَرْجِعَ إلى أهْلِهِ ويَتَزَوَّدُ لذلكَ، ثُمَّ يَرْجِعُ إلى خَدِيجَةَ فَيَتَزَوَّدُ بمِثْلِها حتّى فَجِئَهُ الحَقُّ وهو فى غارِ حِراءٍ، فَجاءَهُ المَلَكُ فَقالَ: اقْرَأْ. فَقالَ رَسولُ اللَّهِ ﷺ: ما أنا بقارِئٍ. قالَ: فأخَذَنِى فَغَطَّنِى حتّى بَلَغَ مِنِّى الجُهْدَ ثُمَّ أرْسَلَنِى، فَقالَ: اقْرَأْ. قُلتُ: ما أنا بقارِئٍ. فأخَذَنِى فَغَطَّنِى الثّانِيَةَ حتّى بَلَغَ مِنِّى الجُهْدَ، ثُمَّ أرسَلَنِى فَقالَ: اقْرَأْ. قُلتُ: ما أنا بقارِئٍ. فأخَذَنِى فَغَطَّنِى الثّالِثَةَ حتّى بَلَغَ مِنِّى الجُهْدَ، ثُمَّ أرْسَلَنِى فقالَ: "اقْرَأْ باسْمِ رَبِّكَ الذى خَلَقَ، خَلَقَ الإنْسانَ مِن عَلَقٍ، اقْرَأْ ورَبُّكَ الأكْرَمُ الذى عَلَّمَ بالقَلَمِ"... الآياتِ إلى قَوْلِهِ: "عَلَّمَ الإنْسانَ ما لَمْ يَعْلَمْ"، فَرَجَعَ بها رَسولُ اللَّهِ ﷺ تَرْجُفُ بَوادِرُهُ حتّى دَخَلَ على خَدِيجَةَ فَقالَ: زَمِّلُونِى زَمِّلُونِى. فَزَمَّلُوهُ حتّى ذَهَبَ عنْه

الرَّوْعُ. قالَ لِخَدِيجَةَ: أى خَدِيجَةُ، ما لى؟ لقَدْ خَشِيتُ على نَفْسِى. فأخْبَرَها الخَبَرَ. قالَتْ خَدِيجَةُ: كَلّا، أَبْشِرْ فَواللَّهِ لا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا. فَواللَّهِ إنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وتَصْدُقُ الحَدِيثَ، وتَحْمِلُ الكَلَّ، وتُكْسِبُ المَعْدُومَ، وتَقْرِى الضَّيْفَ، وتُعِينُ على نَوائِبِ الحَقِّ. فانْطَلَقَتْ به خَدِيجَةُ حتّى أَتَتْ به وَرَقَةَ بنَ نَوْفَلٍ، وهو ابنُ عَمِّ خَدِيجَةَ أخِى أبِيها، وكانَ امْرَءًا تَنَصَّرَ فى الجاهِلِيَّةِ، وكانَ يَكْتُبُ الكِتابَ العَرَبِى، ويَكْتُبُ مِنَ الإنْجِيلِ بالعَرَبِيَّةِ ما شاءَ اللَّهُ أنْ يَكْتُبَ، وكانَ شيخًا كَبِيرًا قدْ عَمِى، فَقالَتْ خَدِيجَةُ: يا ابْنَ عَمِّ، اسْمَعْ مِنَ ابْنِ أخِيكَ. قالَ ورَقَةُ: يا ابْنَ أخِى، ماذا تَرى؟ فأخْبَرَهُ النبى ﷺ خَبَرَ ما رَأى. فَقالَ ورَقَةُ: هذا النّامُوسُ الذى أُنْزِلَ على مُوسى. لَيْتَنِى فِيها جَذَعًا، لَيْتَنِى أَكُونُ حَيًّا (ذَكَرَ حَرْفًا). قالَ رَسولُ اللَّهِ ﷺ: أَوَمُخْرِجِى هُمْ؟ قالَ ورَقَةُ: نعَمْ، لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ بما جِئْتَ به إلّا أُوذِى. وإنْ يُدْرِكْنِى يَوْمُكَ حَيًّا أنصُرْكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا. ثُمَّ لَمْ يَنْشَبْ ورَقَةُ أنْ تُوُفِّى، وفَتَرَ الوَحْى فَتْرَةً، حتّى حَزِنَ رَسولُ اللَّهِ ﷺ". ولو كان محمد متنبئا زائفا لما خاف وارتعد وتغطى وكمش تحت الغطاء، إذ لم يكن فى هذه الحالة قد شاهد أو سمع شيئا غير اعتيادى مما يملأ القلوب رعبا، بل يحكى قصة من ابتداع خياله، ولا مانع أن يزعم أن من رآه وسمع كلامه وجها لوجه هو الله نفسه. وهل يصعب على الكذابين ولوج أى باب؟

كذلك لم يكن صلى الله عليه وسلم يستطيع التوانى عن تأدية الوحى فور نزوله عليه. وكان القرآن ينبهه إلى أى شىء قد يُشْتَمّ منه أن إبلاغ

هذا الوحى للناس من الممكن أن يسبب له حرجا كما فى مفتتح سورة "الأعراف": "المص * كِتَابٌ أُنْزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِى صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ لِتُنْذِرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ"، وكما فى قوله عز شأنه فى سورة "المائدة": "يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِى الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ"، وفى سورة "الأحزاب" حين كان عليه صلى الله عليه وسلم أن يتزوج زينب بنت جحش (ابنة عمته) بعد طلاقها من زيد بن حارثة، ابنه بالتبنى، فكان يخشى مواجهة الناس بذلك، إذ كان المجتمع الجاهلى يرى فى الابن بالتبنى ابنا حقيقيا، ومن ثم لا يصح التزوج من مطلقته، فأراد النبى تجنب هذا الموقف المحرج له أشد الإحراج وحاول مرات أن يَثْنِىَ زيدا عن تطليقها حتى لا يجد نفسه أمام هذا الوضع الصعب، لكنْ نزل الوحى يعاتبه على هذا: "وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِى أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ (أى زيد بن ثابت) أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَى لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِى أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا"، فلم يجد النبى مناصا من النزول على أمر الله له بالزواج من ابنة عمته وتحمل الانتقادات من العرب للسبب السابق ذكره.

وقد سبق أن أوردنا آية سورة "المائدة"، التى تحذره من إهمال تبليغ الوحى لهذا السبب أو ذاك. وهناك أيضا الآيات التالية من سورة

"الحاقة"، التى ترينا كيف أن الله سبحانه يراقبه عليه الصلاة والسلام على الدوام ويتابع تبليغه القرآن تبليغا مخلصا أمينا: "وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ * لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ * ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ * فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ". كذلك نجد فى القرآن طائفة من الآيات تعاتب النبى وتؤاخذه على شىء لم يفعله وكان الأفضل أن يفعله، أو على شىء فعله وكان الأفضل ألا يفعل. وفى كل من الحالين نراه يبلّغ الوحى كما هو دون أن يزيد أو ينقص منه حرفا. على أنْ ليس الأمر يقتصر على الآيات القرآنية بوجه عام بل يمتد ليشمل آيات المعجزات: "قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِى يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ * وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَإِ الْمُرْسَلِينَ * وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِى نَفَقًا فِى الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِى السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ"

ومما قاله الأكوينى أيضا أن النبى عليه السلام قد أفسد قصص العهد القديم وجعلها أقاصيص أسطورية. أستغفر الله العظيم! محمد حوَّل قصصكم الواقعية الصادقة إلى أساطير؟ بأية أمارة؟ لقد صورتم الله سبحانه فى سفر "التكوين" وكأنه رجل إقطاعى يتمشى

فى حقوله ليطمئن على حالها فتهب عليه ريح النهار. والمقصود نسيم العصرية طبعا! وحين يشعر آدم به يختبئ منه خوفا من العقاب لأنه أكل من الشجرة التى نهاه عن الاقتراب منها، فيضطر الله سبحانه إلى رفع الصوت بالسؤال: أين أنت يا آدم؟ فلا يجد آدم بدا من الجواب وهو لابد فى مخبئه. وأما كيف وقع آدم فى المعصية فالذنب كله على حواء بنت الَّذِينَ التى ضحكت عليها الحية التى دخلها إبليس وعن طريقها صار فى جنة عدن. وتكون العقوبة الإلهية أن الله سبحانه ابتلى المرأة بالحمل والولادة وما فيهما من آلام ومعاناة، وجعل الرجل يسحق الحية سحقا. طبعا هذه حقائق لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها بخلاف ماجاء فى القرآن من أن الشيطان، ذلك الصوت الداخلى الذى يوسوس بالشر والباطل والخروج على القانون والخلق الكريم وعصيان الله، هو الذى أنساهما النهى الإلهى وزين لهما الأكل من الشجرة المذكورة، فضعفا آدم أمام إغراءاته، وكانت النتيجة أنْ أنزلهما الله من الجنة لتبدأ صفحة أخرى من التاريخ البشرى هى هذه التى نعيشها الآن على الأرض، وطويت الصفحة الأولى بأنْ غفر الله لهما بعدما شعرا بالذنب ودَعَوَا ربهما أن يقيلهما من عثرتهما. فلا

حية إذن ولا شيخ بلد ولا غيط ذرة ولا إله لا يدرى من امر عبده شيئا ولا يدرى ماذا صنع ولا أين يختبئ... إلى آخر تلك الحقائق الصادقة جدا وليس فيها غير الصدق.

وليس فى القرآن ما فى الكتاب المقدس من أن يعقوب قابل الله ليلا فى العراء حين كان يقطع أحد الأودية، فأمسك يعقوب به إمساكة صعبة، وصارا يتصارعان طوال الليل، والله يرجو يعقوب ويبتهل إليه أن يطلق سراحه، لكن يعقوب يرفض إلا بعد أن يخلع عليه الله البركة (وهل تحصل البركة الإلهية بالقوة والتكتيف؟)، وهنا استطاع الله فى لحظة يأس أن ينتفض فجأة ويتفلفص قليلا (ويا روح ما بعدك روح!) ويوجه خطافية إلى فخذ يعقوب أصابته بعرق النَّسَا، فاضطر إلى تركه ولكن بعد أن باركه الله. أرأيتم الحقائق المحكمة التى لا يخر منها الماء؟

كذلك ليس فى القرآن أن هارون، فى الفترة التى غاب فيها موسى فوق الجبل أربعين ليلة واستولى الملل والضيق على بنى إسرائيل وهم قاعدون لا شغلة ولا مشغلة، فاضطر هارون تحت ضغط منهم أن يصنع لهم عجلا من الذهب المسروق من المصريين

قبل خروجهم من البلاد وعبورهم البحر بأمان وسلام، فصنع لهم العجل كى يعبدوه حتى يأتى موسى (على طريقة "إذا غاب الماء صَحَّ التيمم")، بل لقد شاركهم هارون ذاته عبادة العجل. وننظر فى القرآن فلا نجد هذه الأكاذيب، فهارون نبى كريم لا يمكن أن يقدم على شىء كهذا كله كفر وتكذيب لما أتى به هو وأخوه من الرسالة التوحيدية الكريمة.

وفى الكتاب المقدس أن داود كان يتمشى على سطح قصره، فوقعت عينه على امرأة فاتنة تستحم بلبوصة فى فناء بيتها "منها للسماء"، فاشتهاها وأرسل على الفور من أحضرها له وقضى معها وقتا لذيذا جميلا فى السرير، ثم أعادها إلى بيتها. أوتعرف زوجة من هذه المرأة الإستربريزية التى سبقت عصرها وصارت رائدة فى النيودزم؟ إنها زوجة القائد الذى كان يحرس داود وقصره ويدافع عن مملكته. ولكم أن تتعجبوا ما شاء لكم التعجب من دناءة ونذالة الملك "أبو عين فارغة" الذى يصعد إلى سطح قصره ليتجسس على بيوت الآخرين وأسرارهم ويحلق فى نسائهم البلبوصات ويرسل من يحضرهن ليزنى بهن. ترى هل هناك أصلا ملك يتمشى فوق سطح قصره ويتطلع إلى بيوت الجيران إن كان

للملك جيران؟ وهل حُبك للمرأة الاستحمام فى فناء الدار؟ أليس هناك حمام؟ أليس هناك على الأقل ستار تحتمى به من العيون؟ لاحظوا أنها زوجة قائد عسكرى عظيم، ومع هذا ليس فى بيتها مُسْتَحَمّ ولا تخجل أن تتعرى فى الهواء الطلق! ثم هل وافقت المرأة ونامت معه بهذه السرعة ولم تجشم نفسها حتى الاستفسار من الرسول عما يريده الملك منها قبل الذهاب إليه؟ أتراها قصدتْ قصدًا هذا الاستحمام الهوليوودى المثير الذى يدفق الدم فى العروق ويسيل اللعاب لمعرفتها أنهم جيران لملك خلبوص تريد أن تكون عشيقة له كى تصير ملكة بدلا من أن تظل امرأة لقائد عسكرى، إذ أين قائد عسكرى سنكوح من ملك ذى هيل وهيلمان؟ أتعرفون من هذه المرأة التى حكى لنا قصتها الكتاب المقدس؟ ألا فاعرفوا أنها ستكون بعد قليل أما لسليمان. ترى انتهت الحدوتة هنا؟ أبدا، فقد وقع داود عليه السلام، وأستغفر الله أن نقلت هذا الكلام من الكتاب المقدس الذى يفاخرنا توما الأكوينى به ويزعم أنه أفضل من القرآن، فالقرآن أساطير، وهذا الكتاب المقدس لا يحوى من القصص إلا ما كان حقائق دامغة طبقا لمزاعمه الكاذبة، إذ تقول الحدوتة إن داود وقع فى غرامها فلم

يهدأ له بال إلا بعدما أمر رجال الجيش بأن يضعوا زوج المرأة على خط القتال الأول حتى يكون هدفا لسيوف الأعداء ورماحهم ويموت قتيلا هناك ويرتاح داود من صداع وجوده بجواره يعوقه أن ينال امرأته متى أراد دون اتخاذ أية إجراءات احتياطية. فالملك يحب أن ينال ما يشتهى على المكشوف وبدون حواجز. وقد تم له ما أراد، وقتل الزوج، وانتقلت الزوجة إلى القصر، وعُزِفَت الموسيقى الملكية ابتهاجا بالقِرَان السعيد.

طيب ماذا يقول القرآن هنا؟ فلنقرأ: "وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ (٢١) إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُودَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُمْ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ (٢٢) إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ (٢٣) قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ (٢٤) فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ (٢٥) يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ

بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ".

إن الحديث هنا عن نعاج لا نساء. والكلام عن الفتنة يمكن أن يكون راجعا إلى أن داود عليه السلام تسرع فأصدر حكما دون أن يستمع إلى الطرف الآخر. وفى الأمثال العامية ما معناه أنه إذا جاءك شخص مفقوع العين يتهم غريما له بأنه صنع به ذلك فانتظر ولا تحكم له حتى يحضر الغريم، فلعل صاحب العين المفقوعة قد فقع له عينيه الاثنتين. ولنفترض أن القصة تتكلم عن النساء، فأقصى ما يمكن أن يدور فى خاطرنا أن داود ربما نما إليه الخبر بجمال زوجة قائده، فتمنى لو كان هو قد سبقه إلى خطبتها والاقتران بها، فأراد الله منه أن يقمع مثل ذلك الخاطر فى نفسه ويشكر الله على ما لديه من نساء، والدنيا بحمد الله فيها من الجميلات الكثير. والآن أرجوك، يا قارئى الكريم، أن تقارن بين حدوتة الكتاب المقدس وبين القصة القرآنية. والمهم فى كل ذلك أن القرآن لم يقل فى حق داود ما يسىء باطلا إليه، فهو نبى لا دون نجوان يجرى وراء النساء هنا وهناك لا يقنع ولا يشبع ولا يرتوى.

ولو ذهبنا نقارن بين الكتاب المقدس فى هذا المجال وبين كتاب الله المجيد فلن ننتهى. ولهذا سوف أكتفى بقصة المسيح عليه السلام عندهم وعندنا لنرى أين الأساطير وأين الحقائق المعقولة. ولن أدخل فى تفاصيلها حتى لا أملّ أنا والقارئ. فيسوع فى الأناجيل يوصف بأنه ابن داود، ولكن حين يقدم لنا كُتّاب الأناجيل سلسلة نسبه التى تتصل بداود نجد هذا النسب لا يتصل بمريم بل بيوسف النجار. فهل تدركون معنى هذا؟ من الممكن بكل سهولة أن يتخذ من يرمى مريم فى عرضها الشريف النظيف من هذا النسب برهانا على صحة تلك التهمة، وأن يسوع هو ابن مريم من يوسف ولم يأت من حمل إعجازى. لكن القرآن لا يقول هذا، بل هو وأمه فى كتاب ربنا نقيان مبرآن من كل ريبة أو شائبة. ثم يتهم المتخلف توما الأكوينى القرآن بأنه أفسد قصص الكتاب المقدس! عجبا!

وطبعا فإن النصارى المثلثة يرمون القرآن بأنه انحرف عن الإيمان الحقيقى بيسوع بوصفه أقنوما من ثلاثة تشكل جميعا الإله. ولكن عندما تقول لهم إن هذا التثليث لا يليق ينبرون على الفور بأن الله عندهم واحد لا ثلاثة رغم أنهم يقولون عن يسوع إنه

ربهم. وهذا مكتوب على صفحة عنوان العهد الجديد هكذا: "إنجيل ربنا يسوع المسيح". والسؤال هو: كيف ينقسم الإله، وهو مطلق لا بداية له ولا نهاية بأى معنى من المعانى؟ إنه خالق الزمان والمكان والحساب والأعداد ومن يستخدمون الحساب والأعداد، ولا يمكن أن يؤذيه أو يضره أحد، فضلا عن أن يشعر بحزن أو كآبة كالتى شعر بها يسوع قبيل القبض عليه، ولا يمكن أن يخونه خائن أو يسلمه لأعدائه ولا يمكن أن يصلب ويهان ويشتم ويطعن بالحربة فى جنبه (وهل لله جنب يمكن طعنه؟) وتمسمر يداه ورجلاه على الصليب، وينفضّ عنه أتباعه هاربين فلا يجد أمامه سوى الصراخ من الألم والعذاب ويصيح قائلا: إلهى إلهى لماذا تركتنى؟ الحق أنه إذا كانت هذه هى الألوهية فلا حاجة للبشر إليها. إننا نحن الذين ندعو الله ونبتهل إليه ونريق الدمع بين يديه ونرجوه العون والنجاة من الشرور والأذى وناس السَّوْء لا إنه هو الذى يستغيث ويتألم ثم لا يجد أحدا يسمع صرخاته. والطريف أنهم يقولون إن الله أرسله إلى الأرض ليموت على الصليب افتداءً للبشر من خطيئتهم الأولى. فإذا كان هناك اتفاق بين الأب الإله وبين ابنه الإله (وبالطبع لا يمكن أبدا أن يكون هناك إلهان لأن

الإله كما قلنا مطلق لا يحده حد، ومن ثم لا يمكن أن يكون إلا إله واحد، ودعنا من التناقض الكامن فى أن الإله هو الأب، والإله هو الابن) من الطريف أن يكون هناك هذا الاتفاق ثم ما إن يبدأ يسوع تنفيذ الخطة حتى يبكى ويصرخ ويطلب النجدة. فكيف يكون إلها إذن؟ وأين المرجلة واحترام الاتفاقيات؟ هذه تصرفات عيال صغار لا يعقلون ولا يعرفون الصواب من الخطإ ولا يستطيعون القيام بالمهمة التى أرسلهم أبوهم لإنجازها! ثم يموت الله (أو ابن الله. لا فرق) ويكفَّن ويدفن ليقوم بعد موته الذى استمر ثلاثة أيام. ترى كيف يموت الإله؟ ترى كيف يكفَّن؟ ترى كيف يدفن؟

أما القرآن فعيسى فيه عبد من عباد الله ونبى من أنبيائه الكرام، وأمه صديقة، وحين وقف اليهود ضده وخططوا لصلبه وقتله توفاه الله ورفعه إليه (كيف؟ لا ندرى. المهم أنه لم يصلب ولم يقتل)، وترك اليهود يتوهمون أنهم صلبوه وقتلوه. وفى القرآن أن الله سبحانه وتعالى قد غفر آدم وحواء عصيانهما وانتهى الأمر فلا خطيئة ولا يحزنون، ولا داعى من ثم لصلب أو قتل، فضلا عن النزول من السماء من أجل جنس البشر الذى لا يثمر فيه

عمل طيب أبدا. والآن حان وقت النوم فاذهبوا إلى فراشكم واحلموا أحلاما سعيدة ولا تفكروا فى مشهد صلب المسيح المرعب الذى يقطع نياط القلوب. ببساطة لأنه لم يحدث.

والآن بالله عليك أين الخرافات والأساطير والوثنيات المتخلفة؟ فى قرآننا أم فى كتابهم؟ أوليس عجيبا غريبا مريبا معيبا أن يتهم توما الأكوينى القرآن بأنه أخذ قصص الكتاب المقدس وحولها إلى أساطير؟ خيبة الله عليك يا أكوينى يا متخلف! يا متخلف، لقد طهرنا سمعة أنبيائكم التى لطختموها بنفوسكم الدنسة وعقولكم الزنخة. فإذا جاء القرآن وأعاد الأمور إلى نصابها لأن الأنبياء ليسوا من أوباش البشر بل هم فى الذروة الخلقية والسلوكية والاعتقادية منهم يأتى هذا الوغد فيتهم القرآن يأنه حرف قصص الكتاب المقدس. يا متخلف، لقد كان يكون كلامك هذا مفهوما لو حدث العكس، إذ فى هذه الحالة يمكن القول بأن التشويه وراءه نية سيئة، أما أن يجىء إنسان فيقول لك إن والديك اللذين تحبهما وتضعهما فى مكانة عالية كانا شخصين محترمين لأنهما من أسرة طيبة ولأن أحدا من الناس لم يمسك عليهما زلة ولأن اللجنة التى اختارتهما لتعطيهما لقب الأبوين المثاليين قد دققت وحققت

وفَلّت المرشحين للفوز باللقب تفلية دقيقة فلم تجد عليهما شيئا سيئا فتضيق أنت وتتهم من حكم هذا الحكم بأنه تلاعب بالتقرير الذى يحتوى على كل ذلك فأنت، والحق يقال، خنزير كبير تستأهل ضرب المنتوفلى. لقد كانت مصلحة محمد فى أن يبقى صور الأنبياء فى الكتاب المقدس كما هى ملطخة مشوهة منفِّرة تثير الاشمئزاز والغثيان. لماذا؟ لئلا ينتقده أحد إذا اجترح خطأ أو خطيئة، إذ الحجة حاضرة، وهى أن "كل الأنبياء مثلى وأسوأ"، لكنه من نبل نفسه وصفاء ضميره أدى الرسالة كما هى، وترك صور الأنبياء الساطعة فى القرآن كما هى. والمصيبة أن أهل الكتاب يعيبون الرسول بهذا العيب أو ذاك ويتشددون فى ذلك تشددا عجيبا مع أنه حتى لو كانت العيوب المزعومة صحيحة ما بلغت واحدا على الألف مما ينسبونه لأنبيائهم. وإذا قلنا إن ما هو مكتوب عندكم فى كتابكم عن الأنبياء لا يتسق مع اختيار الله لهم للنبوة كان جوابهم: إنهم بشر، ومن الطبيعى أن يخطئوا هذه الأخطاء. طيب، وهل الله سبحانه أيضا من البشر حتى تسندوا إليه ما يعيب حتى البشر أنفسهم؟ ثم إذا كنتم تتسامحون مع كبائر أنبيائكم وفواحشهم وما هو

أكبر من الفواحش فكيف تحبكونها مع سيد الأنبياء وتشنعون عليه فيما هو من التفاهات، وهذا إن صح أنه قد اجترحها؟

أما زعم توما الأكوينى بأن النبى محمدا صلى الله عليه وسلم كان يستشهد (فى القرآن، الذى يريد هذا الوغد ان يقول إنه من تأليف النبى) كان يستشهد بالكتاب المقدس بصورة انتقائية: فيحيل إليه حين يحتاجه للشهادة له بالنبوة، وينبذه فى أحيان أخرى قائلًا إنه قد داخله التحريف، وقوله إنه بهذا يعمل الشىء ونقيضه، إذ إما أن يكون الكتاب المقدس سليما بحيث تصح شهادته بنبوة محمد أو يكون قد حرف كما يقول القرآن. والرد سهل ميسور، فأنا حينما أقول إن فى هذا الثوب لطخا طينية أو نجاسة فإن هذا لا يعنى أنه كله ملطخ بالطين أو أنه كله نجس. ونحن حين نذهب إلى الخضراواتى والفاكهانى فإن القفص كثيرا ما لا يكون كله سليما بل نجد بعض ما فيه من الخضراوات والفواكه صالحا وجيدا، وبعضه فاسد معطوب. فما المشكلة فى ذلك؟ وما من واحد منا إلا وفيه مرض أو اثنان أو أكثر، فهل يذهب الإنسان وينتحر أو تقتله أسرته أو تفصله المؤسسة التى يعمل بها باعتبار أنه لم يعد صالحا لشىء؟ وما منا أحد إلا وفيه هذا العيب النفسى أو

الخلقى أو الفكرى ولا يعنى هذا أنه سيئ من كل النواحى. إن كلام هذا المتخلف الوثنى إنما يكون صحيحا لو قلنا إن الكتاب المقدس كله خطأ فى خطإ ثم استشهدنا به لمصلحتنا باعتبار أنه كتاب سماوى صادق لم يعتره عبث أوتزييف أو تحريف. أما أن نقول إن فلانا لا يصلح أن يكون مدرسا لأنه أخرس فلا يتعارض هذا مع قولنا فى ذات الوقت إنه يصلح أن يكون رافع أثقال مثلا. موقف القرآن من الكتاب المقدس سليم ليس فيه ما ينتقد أو يعاب. والمشكلة فى عقلية الأكوينى. ولعله قد صار مفهوما الآن لماذا أصفه هنا بـ"المتخلف".

فعلى سبيل المثال هناك فى سفر "التكوين" كلام سليم عن الجنة الأولى وعصيان أبوينا الأولين لله وهبوطهما إلى أرض المتاعب والمنغصات هذه. لكنه فى نفس الوقت يتكلم عن الحية وعن تمشى الله سبحانه فى الجنة عندما هبت ريح النهار واختباء آدم منه وجهله جل وعلا بمكان اختفائه... فهل يجب علىّ إما أن أصدقه كله او أرفضه كله؟ إنها ليست شروة طماطم علىَّ أن آخذها كما هى معطوبًا فاسدا مع سليمٍ صالحٍ. وفى قصة موسى وهارون كلام يتسق مع مكانة الأنبياء، وكلام آخر لا. فموسى فى

العهد القديم مثلا نبى كلفه الله بإبلاغ رسالة التوحيد إلى قومه فقام بها كما أُمِر، وهذا كلام طيب. وحين رأى فى الطريق خناقة بين المصرى والإسرائيلى تلفت يمينا ويسارا حتى تيقن أن أحدا لا يراه، وعندئذ ضرب المصرى وقتله عن عمد وسبق إصرار. وهذا الخلق لا يليق بأشخاص يختارهم الله ليكونوا قدوة للناس من حولهم. كما أنه، حينما يبلغه ربه بأنه اختاره رسولا إلى قومه، يردّ عليه بجلافة قائلا ما معناه: أنت حر. أرسلْ من ترسل، فهذا شأنك لكنه لا يعنينى. ومن جهتى فأنا لا أصلح لتلك المهمة. فهل هذا مما يمكن أن يصدر عن شخص يختاره الله للنبوة؟ وهارون، حتى لو قلنا إنه لم يكن نبيا مساعدا مع موسى أخيه بل مجرد كاهن كما يقول العهد القديم، هل يمكن أن يتدهدى ويتنزل إلى صناعة عجل لقومه يعبدونه من دون الله؟ أما فى كتاب ربنا فهو رسول لا كاهن. كذلك ليس هو الذى صنع العجل ليعبده قومه بل السامرىّ. وهل يصح أن نرافئ العهد الجديد ونجعل المسيح عليه السلام حفيدا بعيدا لداود من خلال يوسف النجار؟ ترى هل ذنب نبينا الكريم أنه استنقذ عرض مريم وشرفها وطهارة نسب عيسى؟

ترى هل يمكن أن يقبل العقل أن الكلام التالى هو كلام الله؟ لنقرأ من مفتتح الإصحاح السادس عشر من سفر "حزقيال": "١وَكَانَتْ إِلَىَ كَلِمَةُ الرَّبِّ قَائِلَةً: ٢«يَا ابْنَ آدَمَ، عَرِّفْ أُورُشَلِيمَ بِرَجَاسَاتِهَا، ٣وَقُلْ: هكَذَا قَالَ السَّيِّدُ الرَّبُّ لأُورُشَلِيمَ: مَخْرَجُكِ وَمَوْلِدُكِ مِنْ أَرْضِ كَنْعَانَ. أَبُوكِ أَمُورِى وَأُمُّكِ حِثِّيَّةٌ. ٤أَمَّا مِيلاَدُكِ يَوْمَ وُلِدْتِ فَلَمْ تُقْطَعْ سُرَّتُكِ، وَلَمْ تُغْسَلِى بِالْمَاءِ لِلتَّنَظُّفِ، وَلَمْ تُمَلَّحِى تَمْلِيحًا، وَلَمْ تُقَمَّطِى تَقْمِيطًا. ٥لَمْ تَشْفُقْ عَلَيْكِ عَيْنٌ لِتَصْنَعَ لَكِ وَاحِدَةً مِنْ هذِهِ لِتَرِقَّ لَكِ، بَلْ طُرِحْتِ عَلَى وَجْهِ الْحَقْلِ بِكَرَاهَةِ نَفْسِكِ يَوْمَ وُلِدْتِ. ٦فَمَرَرْتُ بِكِ وَرَأَيْتُكِ مَدُوسَةً بِدَمِكِ، فَقُلْتُ لَكِ: بِدَمِكِ عِيشِى، قُلْتُ لَكِ: بِدَمِكِ عِيشِى. ٧جَعَلْتُكِ رَبْوَةً كَنَبَاتِ الْحَقْلِ، فَرَبَوْتِ وَكَبُرْتِ، وَبَلَغْتِ زِينَةَ الأَزْيَانِ. نَهَدَ ثَدْيَاكِ، وَنَبَتَ شَعْرُكِ وَقَدْ كُنْتِ عُرْيَانَةً وَعَارِيَةً. ٨فَمَرَرْتُ بِكِ وَرَأَيْتُكِ، وَإِذَا زَمَنُكِ زَمَنُ الْحُبِّ. فَبَسَطْتُ ذَيْلِى عَلَيْكِ وَسَتَرْتُ عَوْرَتَكِ، وَحَلَفْتُ لَكِ، وَدَخَلْتُ مَعَكِ فِى عَهْدٍ، يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ، فَصِرْتِ لِى. ٩فَحَمَّمْتُكِ بِالْمَاءِ، وَغَسَلْتُ عَنْكِ دِمَاءَكِ، وَمَسَحْتُكِ بِالزَّيْتِ، ١٠وَأَلْبَسْتُكِ مُطَرَّزَةً، وَنَعَلْتُكِ بِالتُّخَسِ، وَأَزَّرْتُكِ بِالْكَتَّانِ، وَكَسَوْتُكِ بَزًّا، ١١وَحَلَّيْتُكِ بِالْحُلِى،

فَوَضَعْتُ أَسْوِرَةً فِى يَدَيْكِ وَطَوْقًا فِى عُنُقِكِ. ١٢وَوَضَعْتُ خِزَامَةً فِى أَنْفِكِ وَأَقْرَاطًا فِى أُذُنَيْكِ وَتَاجَ جَمَالٍ عَلَى رَأْسِكِ. ١٣فَتَحَلَّيْتِ بِالذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، وَلِبَاسُكِ الْكَتَّانُ وَالْبَزُّ وَالْمُطَرَّزُ. وَأَكَلْتِ السَّمِيذَ وَالْعَسَلَ وَالزَّيْتَ، وَجَمُلْتِ جِدًّا جِدًّا، فَصَلُحْتِ لِمَمْلَكَةٍ. ١٤وَخَرَجَ لَكِ اسْمٌ فِى الأُمَمِ لِجَمَالِكِ، لأَنَّهُ كَانَ كَامِلاً بِبَهَائِى الَّذِى جَعَلْتُهُ عَلَيْكِ، يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ.

١٥«فَاتَّكَلْتِ عَلَى جَمَالِكِ، وَزَنَيْتِ عَلَى اسْمِكِ، وَسَكَبْتِ زِنَاكِ عَلَى كُلِّ عَابِرٍ فَكَانَ لَهُ. ١٦وَأَخَذْتِ مِنْ ثِيَابِكِ وَصَنَعْتِ لِنَفْسِكِ مُرْتَفَعَاتٍ مُوَشَّاةٍ، وَزَنَيْتِ عَلَيْهَا. أَمْرٌ لَمْ يَأْتِ وَلَمْ يَكُنْ. ١٧وَأَخَذْتِ أَمْتِعَةَ زِينَتِكِ مِنْ ذَهَبِى وَمِنْ فِضَّتِى الَّتِى أَعْطَيْتُكِ، وَصَنَعْتِ لِنَفْسِكِ صُوَرَ ذُكُورٍ وَزَنَيْتِ بِهَا. ١٨وَأَخَذْتِ ثِيَابَكِ الْمُطَرَّزَةَ وَغَطَّيْتِهَا بِهَا، وَوَضَعْتِ أَمَامَهَا زَيْتِى وَبَخُورِى. ١٩وَخُبْزِى الَّذِى أَعْطَيْتُكِ، السَّمِيذَ وَالزَّيْتَ وَالْعَسَلَ الَّذِى أَطْعَمْتُكِ، وَضَعْتِهَا أَمَامَهَا رَائِحَةَ سُرُورٍ. وَهكَذَا كَانَ، يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ.

٢٠«أَخَذْتِ بَنِيكِ وَبَنَاتِكِ الَّذِينَ وَلَدْتِهِمْ لِى، وَذَبَحْتِهِمْ لَهَا طَعَامًا. أَهُوَ قَلِيلٌ مِنْ زِنَاكِ ٢١أَنَّكِ ذَبَحْتِ بَنِىَّ وَجَعَلْتِهِمْ يَجُوزُونَ

فِى النَّارِ لَهَا؟ ٢٢وَفِى كُلِّ رَجَاسَاتِكِ وَزِنَاكِ لَمْ تَذْكُرِى أَيَّامَ صِبَاكِ، إِذْ كُنْتِ عُرْيَانَةً وَعَارِيَةً وَكُنْتِ مَدُوسَةً بِدَمِكِ. ٢٣وَكَانَ بَعْدَ كُلِّ شَرِّكِ. وَيْلٌ، وَيْلٌ لَكِ! يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ، ٢٤أَنَّكِ بَنَيْتِ لِنَفْسِكِ قُبَّةً وَصَنَعْتِ لِنَفْسِكِ مُرْتَفَعَةً فِى كُلِّ شَارِعٍ. ٢٥فِى رَأْسِ كُلِّ طَرِيقٍ بَنَيْتِ مُرْتَفَعَتَكِ وَرَجَّسْتِ جَمَالَكِ، وَفَرَّجْتِ رِجْلَيْكِ لِكُلِّ عَابِرٍ وَأَكْثَرْتِ زِنَاكِ. ٢٦وَزَنَيْتِ مَعَ جِيرَانِكِ بَنِى مِصْرَ الْغِلاَظِ اللَّحْمِ، وَزِدْتِ فِى زِنَاكِ لإِغَاظَتِى.

٢٧«فَهأَنَذَا قَدْ مَدَدْتُ يَدِى عَلَيْكِ، وَمَنَعْتُ عَنْكِ فَرِيضَتَكِ، وَأَسْلَمْتُكِ لِمَرَامِ مُبْغِضَاتِكِ، بَنَاتِ الْفِلِسْطِينِيِّينَ، اللَّوَاتِى يَخْجَلْنَ مِنْ طَرِيقِكِ الرَّذِيلَةِ. ٢٨وَزَنَيْتِ مَعَ بَنِى أَشُّورَ، إِذْ كُنْتِ لَمْ تَشْبَعِى فَزَنَيْتِ بِهِمْ، وَلَمْ تَشْبَعِى أَيْضًا. ٢٩وَكَثَّرْتِ زِنَاكِ فِى أَرْضِ كَنْعَانَ إِلَى أَرْضِ الْكَلْدَانِيِّينَ، وَبِهذَا أَيْضًا لَمْ تَشْبَعِى. ٣٠مَا أَمْرَضَ قَلْبَكِ، يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ، إِذْ فَعَلْتِ كُلَّ هذَا فِعْلَ امْرَأَةٍ زَانِيَةٍ سَلِيطَةٍ، ٣١بِبِنَائِكِ قُبَّتَكِ فِى رَأْسِ كُلِّ طَرِيقٍ، وَصُنْعِكِ مُرْتَفَعَتَكِ فِى كُلِّ شَارِعٍ. وَلَمْ تَكُونِى كَزَانِيَةٍ، بَلْ مُحْتَقَرَةً الأُجْرَةَ. ٣٢أَيَّتُهَا الزَّوْجَةُ الْفَاسِقَةُ، تَأْخُذُ أَجْنَبِيِّينَ مَكَانَ زَوْجِهَا. ٣٣لِكُلِّ الزَّوَانِى يُعْطُونَ هَدِيَّةً، أَمَّا أَنْتِ فَقَدْ أَعْطَيْتِ كُلَّ مُحِبِّيكِ هَدَايَاكِ، وَرَشَيْتِهِمْ

لِيَأْتُوكِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ لِلزِّنَا بِكِ. ٣٤وَصَارَ فِيكِ عَكْسُ عَادَةِ النِّسَاءِ فِي زِنَاكِ، إِذْ لَمْ يُزْنَ وَرَاءَكِ، بَلْ أَنْتِ تُعْطِينَ أُجْرَةً وَلاَ أُجْرَةَ تُعْطَى لَكِ، فَصِرْتِ بِالْعَكْسِ". بالله عليكم أيصح أن يكون موضع هذا الرجس كتابا مقدسا موحًى به من الله لنبى من أنبيائه؟ ماذا تركوا لشعراء الفجور والدنس والبورنوجرافيا؟

أم هل يصح أن يكون النص التالى، وهو من "نشيد الإنشاد" الذى لسليمان، وحيا سماويا؟ تعالوا نر ماذا يقول هذا النشيد السليمانى؟ "١الإصحاح الأول:

نَشِيدُ الأَنْشَادِ الَّذِي لِسُلَيْمَانَ: ٢لِيُقَبِّلْنِي بِقُبْلاَتِ فَمِهِ، لأَنَّ حُبَّكَ أَطْيَبُ مِنَ الْخَمْرِ. ٣لِرَائِحَةِ أَدْهَانِكَ الطَّيِّبَةِ. اسْمُكَ دُهْنٌ مُهْرَاقٌ، لِذلِكَ أَحَبَّتْكَ الْعَذَارَى. ٤اُجْذُبْنِي وَرَاءَكَ فَنَجْرِيَ. أَدْخَلَنِي الْمَلِكُ إِلَى حِجَالِهِ. نَبْتَهِجُ وَنَفْرَحُ بِكَ. نَذْكُرُ حُبَّكَ أَكْثَرَ مِنَ الْخَمْرِ. بِالْحَقِّ يُحِبُّونَكَ...

٩لَقَدْ شَبَّهْتُكِ يَا حَبِيبَتِي بِفَرَسٍ فِي مَرْكَبَاتِ فِرْعَوْنَ. ١٠مَا أَجْمَلَ خَدَّيْكِ بِسُمُوطٍ، وَعُنُقَكِ بِقَلاَئِدَ! ١١نَصْنَعُ لَكِ سَلاَسِلَ مِنْ ذَهَبٍ مَعَ جُمَانٍ مِنْ فِضَّةٍ.

١٢مَا دَامَ الْمَلِكُ فِى مَجْلِسِهِ أَفَاحَ نَارِدِينِى رَائِحَتَهُ. ١٣صُرَّةُ الْمُرِّ حَبِيبِى لِى. بَيْنَ ثَدْيَى يَبِيتُ. ١٤طَاقَةُ فَاغِيَةٍ حَبِيبِى لِى فِى كُرُومِ عَيْنِ جَدْى.

١٥هَا أَنْتِ جَمِيلَةٌ يَا حَبِيبَتِى، هَا أَنْتِ جَمِيلَةٌ. عَيْنَاكِ حَمَامَتَانِ.

١٦هَا أَنْتَ جَمِيلٌ يَا حَبِيبِى وَحُلْوٌ، وَسَرِيرُنَا أَخْضَرُ...

الإِصْحَاحُ الثَّانِى:

١أَنَا نَرْجِسُ شَارُونَ، سَوْسَنَةُ الأَوْدِيَةِ.

٢ كَالسَّوْسَنَةِ بَيْنَ الشَّوْكِ كَذلِكَ حَبِيبَتِى بَيْنَ الْبَنَاتِ.

٣ كَالتُّفَّاحِ بَيْنَ شَجَرِ الْوَعْرِ كَذلِكَ حَبِيبِى بَيْنَ الْبَنِينَ. تَحْتَ ظِلِّهِ اشْتَهَيْتُ أَنْ أَجْلِسَ، وَثَمَرَتُهُ حُلْوَةٌ لِحَلْقِى. ٤أَدْخَلَنِى إِلَى بَيْتِ الْخَمْرِ، وَعَلَمُهُ فَوْقِى مَحَبَّةٌ. ٥أَسْنِدُونِى بِأَقْرَاصِ الزَّبِيبِ. أَنْعِشُونِى بِالتُّفَّاحِ، فَإِنِّى مَرِيضَةٌ حُبًّا. ٦شِمَالُهُ تَحْتَ رَأْسِى وَيَمِينُهُ تُعَانِقُنِى. ٧أُحَلِّفُكُنَّ يَا بَنَاتِ أُورُشَلِيمَ بِالظِّبَاءِ وَبِأَيَائِلِ الْحُقُولِ، أَلاَّ تُيَقِّظْنَ وَلاَ تُنَبِّهْنَ الْحَبِيبَ حَتَّى يَشَاءَ.

٨صَوْتُ حَبِيبِى. هُوَذَا آتٍ طَافِرًا عَلَى الْجِبَالِ، قَافِزًا عَلَى التِّلاَلِ. ٩حَبِيبِى هُوَ شَبِيهٌ بِالظَّبْىِ أَوْ بِغُفْرِ الأَيَائِلِ. هُوَذَا وَاقِفٌ وَرَاءَ حَائِطِنَا، يَتَطَلَّعُ مِنَ الْكُوَى، يُوَصْوِصُ مِنَ الشَّبَابِيكِ.

١٠أَجَابَ حَبِيبِى وَقَالَ لِى: «قُومِى يَا حَبِيبَتِى، يَا جَمِيلَتِى وَتَعَالَى. ١١لأَنَّ الشِّتَاءَ قَدْ مَضَى، وَالْمَطَرَ مَرَّ وَزَالَ. ١٢الزُّهُورُ ظَهَرَتْ فِى الأَرْضِ. بَلَغَ أَوَانُ الْقَضْبِ، وَصَوْتُ الْيَمَامَةِ سُمِعَ فِى أَرْضِنَا. ١٣التِّينَةُ أَخْرَجَتْ فِجَّهَا، وَقُعَالُ الْكُرُومِ تُفِيحُ رَائِحَتَهَا. قُومِى يَا حَبِيبَتِى، يَا جَمِيلَتِى وَتَعَالَى.

١٤يَا حَمَامَتِى فِى مَحَاجِئِ الصَّخْرِ، فِى سِتْرِ الْمَعَاقِلِ، أَرِينِى وَجْهَكِ، أَسْمِعِينِى صَوْتَكِ، لأَنَّ صَوْتَكِ لَطِيفٌ وَوَجْهَكِ جَمِيلٌ.

١٥خُذُوا لَنَا الثَّعَالِبَ، الثَّعَالِبَ الصِّغَارَ الْمُفْسِدَةَ الْكُرُومِ، لأَنَّ كُرُومَنَا قَدْ أَقْعَلَتْ.

١٦حَبِيبِى لِى وَأَنَا لَهُ. الرَّاعِى بَيْنَ السَّوْسَنِ. ١٧إِلَى أَنْ يَفِيحَ النَّهَارُ وَتَنْهَزِمَ الظِّلاَلُ، ارْجِعْ وَأَشْبِهْ يَا حَبِيبِى الظَّبْىَ أَوْ غُفْرَ الأَيَائِلِ عَلَى الْجِبَالِ الْمُشَعَّبَةِ.

الإِصْحَاحُ الثَّالِثُ:

١فِى اللَّيْلِ عَلَى فِرَاشِى طَلَبْتُ مَنْ تُحِبُّهُ نَفْسِى. طَلَبْتُهُ فَمَا وَجَدْتُهُ. ٢إِنِّى أَقُومُ وَأَطُوفُ فِى الْمَدِينَةِ، فِى الأَسْوَاقِ وَفِى الشَّوَارِعِ، أَطْلُبُ مَنْ تُحِبُّهُ نَفْسِى. طَلَبْتُهُ فَمَا وَجَدْتُهُ. ٣وَجَدَنِى الْحَرَسُ الطَّائِفُ فِى الْمَدِينَةِ، فَقُلْتُ: «أَرَأَيْتُمْ مَنْ تُحِبُّهُ نَفْسِى؟» ٤فَمَا جَاوَزْتُهُمْ إِلاَّ قَلِيلاً حَتَّى وَجَدْتُ مَنْ تُحِبُّهُ نَفْسِى، فَأَمْسَكْتُهُ وَلَمْ أَرْخِهِ، حَتَّى أَدْخَلْتُهُ بَيْتَ أُمِّى وَحُجْرَةَ مَنْ حَبِلَتْ بِى. ٥أُحَلِّفُكُنَّ يَا بَنَاتِ أُورُشَلِيمَ بِالظِّبَاءِ وَبِأَيَائِلِ الْحَقْلِ، أَلاَّ تُيَقِّظْنَ وَلاَ تُنَبِّهْنَ الْحَبِيبَ حَتَّى يَشَاءَ...

الإِصحَاحُ الرَّابِعُ:

١هَا أَنْتِ جَمِيلَةٌ يَا حَبِيبَتِى، هَا أَنْتِ جَمِيلَةٌ! عَيْنَاكِ حَمَامَتَانِ مِنْ تَحْتِ نَقَابِكِ. شَعْرُكِ كَقَطِيعِ مِعْزٍ رَابِضٍ عَلَى جَبَلِ جِلْعَادَ. ٢أَسْنَانُكِ كَقَطِيعِ الْجَزَائِزِ الصَّادِرَةِ مِنَ الْغَسْلِ، اللَّوَاتِى كُلُّ وَاحِدَةٍ مُتْئِمٌ، وَلَيْسَ فِيهِنَّ عَقِيمٌ. ٣شَفَتَاكِ كَسِلْكَةٍ مِنَ الْقِرْمِزِ، وَفَمُكِ حُلْوٌ. خَدُّكِ كَفِلْقَةِ رُمَّانَةٍ تَحْتَ نَقَابِكِ. ٤عُنُقُكِ كَبُرْجِ دَاوُدَ الْمَبْنِىِّ لِلأَسْلِحَةِ. أَلْفُ مِجَنٍّ عُلِّقَ عَلَيْهِ، كُلُّهَا أَتْرَاسُ الْجَبَابِرَةِ. ٥ثَدْيَاكِ كَخِشْفَتَىْ ظَبْيَةٍ، تَوْأَمَيْنِ يَرْعَيَانِ بَيْنَ السَّوْسَنِ. ٦إِلَى أَنْ يَفِيحَ النَّهَارُ

وَتَنْهَزِمَ الظِّلاَلُ، أَذْهَبُ إِلَى جَبَلِ الْمُرِّ وَإِلَى تَلِّ اللُّبَانِ. ٧كُلُّكِ جَمِيلٌ يَا حَبِيبَتِي لَيْسَ فِيكِ عَيْبَةٌ.

٨هَلُمِّي مَعِي مِنْ لُبْنَانَ يَا عَرُوسُ، مَعِي مِنْ لُبْنَانَ! انْظُرِي مِنْ رَأْسِ أَمَانَةَ، مِنْ رَأْسِ شَنِيرَ وَحَرْمُونَ، مِنْ خُدُورِ الأُسُودِ، مِنْ جِبَالِ النُّمُورِ. ٩قَدْ سَبَيْتِ قَلْبِي يَا أُخْتِي الْعَرُوسُ. قَدْ سَبَيْتِ قَلْبِي بِإِحْدَى عَيْنَيْكِ، بِقَلاَدَةٍ وَاحِدَةٍ مِنْ عُنُقِكِ. ١٠مَا أَحْسَنَ حُبَّكِ يَا أُخْتِي الْعَرُوسُ! كَمْ مَحَبَّتُكِ أَطْيَبُ مِنَ الْخَمْرِ! وَكَمْ رَائِحَةُ أَدْهَانِكِ أَطْيَبُ مِنْ كُلِّ الأَطْيَابِ! ١١شَفَتَاكِ يَا عَرُوسُ تَقْطُرَانِ شَهْدًا. تَحْتَ لِسَانِكِ عَسَلٌ وَلَبَنٌ، وَرَائِحَةُ ثِيَابِكِ كَرَائِحَةِ لُبْنَانَ. ١٢أُخْتِي الْعَرُوسُ جَنَّةٌ مُغْلَقَةٌ، عَيْنٌ مُقْفَلَةٌ، يَنْبُوعٌ مَخْتُومٌ. ١٣أَغْرَاسُكِ فِرْدَوْسُ رُمَّانٍ مَعَ أَثْمَارٍ نَفِيسَةٍ، فَاغِيَةٍ وَنَارِدِينٍ. ١٤نَارِدِينٍ وَكُرْكُمٍ. قَصَبِ الذَّرِيرَةِ وَقِرْفَةٍ، مَعَ كُلِّ عُودِ اللُّبَانِ. مُرٌّ وَعُودٌ مَعَ كُلِّ أَنْفَسِ الأَطْيَابِ. ١٥يَنْبُوعُ جَنَّاتٍ، بِئْرُ مِيَاهٍ حَيَّةٍ، وَسُيُولٌ مِنْ لُبْنَانَ.

١٦اِسْتَيْقِظِي يَا رِيحَ الشَّمَالِ، وَتَعَالَيْ يَا رِيحَ الْجَنُوبِ! هَبِّي عَلَى جَنَّتِي فَتَقْطُرَ أَطْيَابُهَا. لِيَأْتِ حَبِيبِي إِلَى جَنَّتِهِ وَيَأْكُلْ ثَمَرَهُ النَّفِيسَ.

الإصحاح الْخَامِسُ:

١قَدْ دَخَلْتُ جَنَّتِي يَا أُخْتِي الْعَرُوسُ. قَطَفْتُ مُرِّي مَعَ طِيبِي. أَكَلْتُ شَهْدِي مَعَ عَسَلِي. شَرِبْتُ خَمْرِي مَعَ لَبَنِي. ..

٣قَدْ خَلَعْتُ ثَوْبِي، فَكَيْفَ أَلْبَسُهُ؟ قَدْ غَسَلْتُ رِجْلَيَّ، فَكَيْفَ أُوَسِّخُهُمَا؟ ٤حَبِيبِي مَدَّ يَدَهُ مِنَ الْكَوَّةِ، فَأَنَّتْ عَلَيْهِ أَحْشَائِي. ٥قُمْتُ لأَفْتَحَ لِحَبِيبِي وَيَدَايَ تَقْطُرَانِ مُرًّا، وَأَصَابِعِي مُرٌّ قَاطِرٌ عَلَى مَقْبَضِ الْقُفْلِ. ٦فَتَحْتُ لِحَبِيبِي، لكِنَّ حَبِيبِي تَحَوَّلَ وَعَبَرَ. نَفْسِي خَرَجَتْ عِنْدَمَا أَدْبَرَ. طَلَبْتُهُ فَمَا وَجَدْتُهُ. دَعَوْتُهُ فَمَا أَجَابَنِي. ٧وَجَدَنِي الْحَرَسُ الطَّائِفُ فِي الْمَدِينَةِ. ضَرَبُونِي. جَرَحُونِي. حَفَظَةُ الأَسْوَارِ رَفَعُوا إِزَارِي عَنِّي. ٨أُحَلِّفُكُنَّ يَا بَنَاتِ أُورُشَلِيمَ إِنْ وَجَدْتُنَّ حَبِيبِي أَنْ تُخْبِرْنَهُ بِأَنِّي مَرِيضَةٌ حُبًّا...

١٠حَبِيبِي أَبْيَضُ وَأَحْمَرُ. مُعْلَمٌ بَيْنَ رَبْوَةٍ. ١١رَأْسُهُ ذَهَبٌ إِبْرِيزٌ. قُصَصُهُ مُسْتَرْسِلَةٌ حَالِكَةٌ كَالْغُرَابِ. ١٢عَيْنَاهُ كَالْحَمَامِ عَلَى مَجَارِي الْمِيَاهِ، مَغْسُولَتَانِ بِاللَّبَنِ، جَالِسَتَانِ فِي وَقْبَيْهِمَا. ١٣خَدَّاهُ كَخَمِيلَةِ الطِّيبِ وَأَتْلاَمِ رَيَاحِينَ ذَكِيَّةٍ. شَفَتَاهُ سَوْسَنٌ تَقْطُرَانِ مُرًّا مَائِعًا. ١٤يَدَاهُ حَلْقَتَانِ مِنْ ذَهَبٍ، مُرَصَّعَتَانِ بِالزَّبَرْجَدِ. بَطْنُهُ عَاجٌ

أَبْيَضُ مُغَلَّفُ بِالْيَاقُوتِ الأَزْرَقِ. ١٥سَاقَاهُ عَمُودَا رُخَامٍ، مُؤَسَّسَتَانِ عَلَى قَاعِدَتَيْنِ مِنْ إِبْرِيزٍ. طَلْعَتُهُ كَلُبْنَانَ. فَتًى كَالأَرْزِ. ١٦حَلْقُهُ حَلاَوَةٌ وَكُلُّهُ مُشْتَهَيَاتٌ. هذَا حَبِيبِي، وَهذَا خَلِيلِي، يَا بَنَاتِ أُورُشَلِيمَ.

الإِصْحَاحُ السَّادِسُ:

... ٤أَنْتِ جَمِيلَةٌ يَا حَبِيبَتِي كَتِرْصَةَ، حَسَنَةٌ كَأُورُشَلِيمَ، مُرْهِبَةٌ كَجَيْشٍ بِأَلْوِيَةٍ. ٥حَوِّلِي عَنِّي عَيْنَيْكِ فَإِنَّهُمَا قَدْ غَلَبَتَانِي. شَعْرُكِ كَقَطِيعِ الْمَعْزِ الرَّابِضِ فِي جِلْعَادَ. ٦أَسْنَانُكِ كَقَطِيعِ نِعَاجٍ صَادِرَةٍ مِنَ الْغَسْلِ، اللَّوَاتِي كُلُّ وَاحِدَةٍ مُتْئِمٌ وَلَيْسَ فِيهَا عَقِيمٌ. ٧كَفِلْقَةِ رُمَّانَةٍ خَدُّكِ تَحْتَ نَقَابِكِ. ٨هُنَّ سِتُّونَ مَلِكَةً وَثَمَانُونَ سُرِّيَّةً وَعَذَارَى بِلاَ عَدَدٍ. ٩وَاحِدَةٌ هِيَ حَمَامَتِي كَامِلَتِي. الْوَحِيدَةُ لأُمِّهَا هِيَ. عَقِيلَةُ وَالِدَتِهَا هِيَ. رَأَتْهَا الْبَنَاتُ فَطَوَّبْنَهَا. الْمَلِكَاتُ وَالسَّرَارِي فَمَدَحْنَهَا...

الإِصْحَاحُ السَّابِعُ:

١مَا أَجْمَلَ رِجْلَيْكِ بِالنَّعْلَيْنِ يَا بِنْتَ الْكَرِيمِ! دَوَائِرُ فَخْذَيْكِ مِثْلُ الْحَلِي، صَنْعَةِ يَدَيْ صَنَّاعٍ. ٢سُرَّتُكِ كَأْسٌ مُدَوَّرَةٌ، لاَ يُعْوِزُهَا

شَرَابٌ مَمْزُوجٌ. بَطْنُكِ صُبْرَةُ حِنْطَةٍ مُسَيَّجَةٌ بِالسَّوْسَنِ. ٣ثَدْيَاكِ كَخَشْفَتَيْنِ، تَوْأَمَي ظَبْيَةٍ. ٤عُنُقُكِ كَبُرْجٍ مِنْ عَاجٍ. عَيْنَاكِ كَالْبِرَكِ فِي حَشْبُونَ عِنْدَ بَابِ بَثِّ رَبِّيمَ. أَنْفُكِ كَبُرْجِ لُبْنَانَ النَّاظِرِ تُجَاهَ دِمَشْقَ. ٥رَأْسُكِ عَلَيْكِ مِثْلُ الْكَرْمَلِ، وَشَعْرُ رَأْسِكِ كَأُرْجُوَانٍ. مَلِكٌ قَدْ أُسِرَ بِالْخُصَلِ. ٦مَا أَجْمَلَكِ وَمَا أَحْلاَكِ أَيَّتُهَا الْحَبِيبَةُ بِاللَّذَّاتِ! ٧قَامَتُكِ هذِهِ شَبِيهَةٌ بِالنَّخْلَةِ، وَثَدْيَاكِ بِالْعَنَاقِيدِ. ٨قُلْتُ: «إِنِّي أَصْعَدُ إِلَى النَّخْلَةِ وَأُمْسِكُ بِعُذُوقِهَا». وَتَكُونُ ثَدْيَاكِ كَعَنَاقِيدِ الْكَرْمِ، وَرَائِحَةُ أَنْفِكِ كَالتُّفَّاحِ، ٩وَحَنَكُكِ كَأَجْوَدِ الْخَمْرِ...

١٠أَنَا لِحَبِيبِي، وَإِلَيَّ اشْتِيَاقُهُ. ١١تَعَالَ يَا حَبِيبِي لِنَخْرُجْ إِلَى الْحَقْلِ، وَلْنَبِتْ فِي الْقُرَى. ١٢لِنُبَكِّرَنَّ إِلَى الْكُرُومِ، لِنَنْظُرَ: هَلْ أَزْهَرَ الْكَرْمُ؟ هَلْ تَفَتَّحَ الْقُعَالُ؟ هَلْ نَوَّرَ الرُّمَّانُ؟ هُنَالِكَ أُعْطِيكَ حُبِّي. ١٣اَللُّفَّاحُ يَفُوحُ رَائِحَةً، وَعِنْدَ أَبْوَابِنَا كُلُّ النَّفَائِسِ مِنْ جَدِيدَةٍ وَقَدِيمَةٍ، ذَخَرْتُهَا لَكَ يَا حَبِيبِي".

فهذا الرجس والتفلت الجنسى والحديث المشعل للشهوات هو عندهم وحى مقدس ينبغى تلاوته فى الأدعية والصلوات وتتعلم منه الفتيات الوقاحة والطيش والخسران. فإذا جاء القرآن وقال

إن كتب أهل الكتاب قد وقع فيها تحريف انبرَوْا يتطاولون على سيدهم ويتهمونه بالكذب وقول الزور! عجايب!

موقف القرآن المجيد هو أنْ ليس كل ما فى الكتاب المقدس قد حُرِّف بل فيه وفيه. والتحريفات واضحة فى كثير من مواضع الكتاب المقدس، لكننا لا نعمم الحكم ولا نقول إنه كله مَعْبُوثٌ به. وقد أوردتُ لتوى أمثلة منه على ما لا يمكن أن يكون وحيا نزل من السماء. وفى كل الأحوال لم ينقل النبى عن الكتاب المقدس شيئا، فهو ليس مؤلف القرآن، بل انحصر دوره فى تلقيه من جبريل رسول ربه إليه وتبليغه إلى الناس، وكان مثالا أعلى للتمسك والعمل به.

والآن نرد على الإنكار الأكوينى القاطع بأن يكون أحد من الأنبياء السابقين قد بشر بالنبى محمد عليهم كلهم السلام. ونحب قبل ذلك أن نذكّر القراء بما قلناه عما أصاب الكتاب المقدس من تحريفات. وسريعا نقول إن التوراة والإنجيل اللذين وردت البشارة بمحمد عليه السلام فيهما ليسا هما العهد القديم والجديد. فالعهد القديم عبارة عن تاريخ منطقتنا من بداية الخلق إلى آخر

نبى قبل عيسى عليهم السلام. وهو يتألف من كتب كثيرة يزعم أصحابه أن الكتب الخمسة الأولى منها هى التوراة، لكن هذا غير صحيح، إذ التوراة هى ما أنزله الله سبحانه على موسى عليه السلام بينما هذه الكتب الخمسة قد كتبها موسى بنفسه فى زعمهم يحكى فيها كل شىء يتعلق به إلى أن مات، فلم يتوقف بل ظل يكتب أيضا قائلا إنه مات. وهى معجزة أخرى تضاف إلى معجزة العصا وانفلاق البحر والمن والسلوى. وفى تلك الكتب نقابل العاطل مع الباطل. ولعلنا لم ننس ما تحتوى عليه من كذب جسيم، إذ تصور موسى قاتلا قاسى القلب يزهق روح المصرى عن عمد وسبق إصرار، ويخاطب الله بأسلوب جلف وقح كما رأينا آنفا. كما يذكر كاتب السفر أن هارون كاهن لا نبى وأنه صنع من الذهب الذى سرقه بنو إسرائيل من المصريين قبيل خروجهم من البلاد عجلا ليعبده قومه. وهناك قبل ذلك كلام عن الله فى الجنة وعن نوح وعن إبراهيم وعن إسحاق ويعقوب لا يمكن أن يكون وحيا من الله... إلخ.

أما الإنجيل فلم يعد موجودا بل اختفى وظهر مكانه عدد كبير من الأناجيل اختارت الكنيسة بعد عدة قرون منها أربعة فقط

على نحو اعتباطى واستبعدت الباقى. وبين هذه الأناجيل بعضها وبعضٍ اختلافاتٌ وتناقضاتٌ شديدةٌ، وفيها أشياءُ لا يمكن أن تكون وحيا سماويا. وكل إنجيل منها هو فى أحسن الأحوال عبارة عن سيرة للسيد المسيح كتبها هذا الشخص أو ذاك بعد عدة عقود جمعًا من أفواه الناس. أما الإنجيل الذى نزل على عيسى عليه السلام وكان يدعو قومه إلى اتباعه وذَكَرَه المسيحُ صراحة فى بعض هذه الأناجيل فهو شىء آخر.

لكل هذا كان من الطبيعى ألا يكون البحث عن بشارات أنبياء بنى إسرائيل ومن قبلهم سهلا معبدا تماما كما كان ينبغى أن يكون لو أن التوراة والإنجيل الأصليين موجودان فى أيدينا كوجود القرآن. ومع هذا فهناك نصوص لا تُجْحَد إلا من متمرد عنيد صُلْب الرقبة. كتب صاحب "بذل المجهود فى إفحام اليهود" السموأل بن يحيى الأندلسى عن اليهود ما يلى: "إنهم لا يقدرون على أن يجحدوا هذه الآية من الجزء الثانى من السفر الخامس من التوراة: "نابى أقيم لاهيم مقارب احئهيم كاموخا ايلا ويشماعون"، وتفسيره: "نبيا أقيم لهم من وسط إخوتهم مثلك، به فليؤمنوا ". وإنما أشار بهذا إلى أنهم يؤمنون بمحمد. فإن قالوا إنه قال: "من

وسط إخوتهم"، وليس فى عادة كتابنا أن يعنى بقوله: "إخوتكم" إلا بنى إسرائيل قلنا: بلى فقد جاء فى التوراة "إخوتكم بنو العِيص"، وذلك فى الجزء الأول من السفر الخامس فى قوله: "أتيم عوبريم بقبول احيحم بنى عيسى وهيو شئيم بسيعير" وتفسيره "أنتم عابرون فى تخم إخوتكم بنى العيص المقيمين فى سعير. إياكم أن تطمعوا فى شيء من أرضهم". فإذا كان بنو العيص إخوة لبنى إسرائيل لأن العيص وإسرائيل ولدا إسحاق فكذلك بنو إسماعيل إخوة لجميع ولد إبراهيم.

وإن قالوا إن هذا القول إنما أشير به الى شموائيل النبى عليه السلام لأنه قال: "من وسط إخوتهم مثلك"، وشموائيل كان مثل موسى لأنه من أولاد ليوى، يعنون: من السبط الذى كان منه موسى، قلنا لهم: فإن كنتم صادقين فأى حاجة بكم إلى أن يوصيكم بالإيمان بشموائيل وأنتم تقولون إن شموائيل لم يأت بزيادة ولا بنسخ؟ أأشفَقَ مِنْ ألّا تقبلوه؟ إنه إنما أرسل ليقوى أيديكم على أهل فلسطين وليردكم إلى شرع التوراة. ومن هذه صفته فأنتم أسبق الناس إلى الإيمان به لأنه إنما يخاف تكذيبكم لمن ينسخ مذهبكم ويغير أوضاع ديانتكم. فالوصية بالايمان به مما لا يستغنى مثلكم عنه.

ولذلك لم يكن لموسى حاجة أن يوصيكم بالإيمان بنبوة أرميا وأشعيا وغيرهما من الأنبياء. وهذا دليل على أن التوراة أمرتْهم فى هذا الفصل بالإيمان بالمصطفى واتباعه.

قال الله تعالى فى الجزء الثالث من السفر الأول من التوراة مخاطبا إبراهيم الخليل عليه السلام: "وأما فى إسماعيل فقد قبلت دعاءك. ها أنا قد باركتُ فيه وأثمِّره وأكثِّره جدا جدا". وذلك قوله: "وليشماعيل شمعيتخا هنى يبرختى أونوا وهفريثى أوثو وهز بيثى أوثو بمادماد". فهذه الكلمة: "بمادماد" إذا عددنا حساب حروفها بالجُمَّل كان اثنين وتسعين، وذلك عدد حساب حروف اسم محمد، فإنه أيضا اثنان وتسعون. وإنما جعل ذلك فى هذا الموضوع ملغزا لأنه لو صرح به لبدلته اليهود أو أسقطته من التوراة كما عملوا فى غير ذلك. فإن قالوا إنه قد يوجد فى التوراة عدد كلمات مما يكون عدد حساب حروفه مساويا لعدد حساب حروف اسم زيد وعمرو وخالد وبكر فلا يلزم من ذلك أن يكون زيد وعمرو وخالد وبكر أنبياء. فالجواب: إن الأمر كما يقولون لو كان لهذه الآية أسوة بغيرها من كلمات التوراة. لَكِنَّا نحن نقيم البراهين والأدلة على أنه لا أسوة لهذه الكلمة بغيرها من سائر

التوراة، وذلك أنه ليس فى التوراة من الآيات ما حاز به إسماعيل الشرف كهذه الآية لأنها وعد من الله إبراهيم بما يكون من شرف إسماعيل. وليس فى التوراة آية أخرى مشتملة على شرف لقبيلة زيد وعمرو وخالد وبكر. ثم إنّا نبيّن أنه ليس فى هذه الآية كلمة تساوى "بمادماد"، التى معناها "جدا جدا"، وذلك أنها كلمة المبالغة من الله سبحانه فلا أسوة لها بشيء من كلمات الآية المذكورة. وإذا كانت هذه الآية أعظم الآيات مبالغة فى حق إسماعيل وأولاده، وكانت تلك الكلمة أعظم مبالغة من باقى كلمات تلك الآية، فلا عجب أن تتضمن الإشارة إلى أجلّ أولاد إسماعيل شرفا وأعظمهم قدرا صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم. وإذ قد بينا أنه ليس لهذه الكلمة أسوة بغيرها من كلمات هذه الآية ولا لهذه الآية أسوة بغيرها من آيات التوراة فقد بطل اعتراضهم".

ومضى السموءل فكتب تحت عنوان "ذكر الموضع الذى أشير فيه إلى نبوة الكليم والمسيح والمصطفى عليهم السلام": "وآماد أذوناى مسيناى إشكلى ودبهور يقايه مسيعير اثحزى لانا استخى بغبورتيه تمل طوراد فإران وعميه ربواث قديسين". وتفسيره "قال إن الله تعالى من سيناء تجلَّى، وأشرق نوره من سيعير، وأطلع من

جبال فاران ومعه ربوات القديسين" وهم يعلمون أن جبل سيعير هو جبل الشراة الذى فيه بنو العيص الذين آمنوا بعيسى عليه السلام بل فى هذا الجبل كان مقام المسيح عليه السلام، ويعلمون أن سيناء هو جبل الطور، لكنهم لا يعلمون أن جبل فاران هو جبل مكة. وفى الإشارة إلى هذه الأماكن الثلاثة التى كانت مقام نبوة هؤلاء الأنبياء ما يقتضى للعقلاء أن يبحثوا عن تأويله المؤدى إلى الأمر باتباع مقالتهم. فأما الدليل الواضح من التوراة على أن جبل فاران هو جبل مكة فهو أن إسماعيل لما فارق أباه الخليل عليه السلام سكن إسماعيل فى برية فاران ونطقت التوراة بذلك فى قوله: "وييسب بمذبار فاران وتقاح لو إمو إشامياء يزمن مصرايم"، وتفسيره "وأقام فى برية فاران وأنكحته أمه امرأة من أرض مصر". فقد ثبت فى التوراة أن جبل فاران مسكن لآل إسماعيل. وإذا كانت التوراة قد أشارت فى الآية التى تقدم ذكرها إلى نبوة تنزل على جبل فاران لزم أن تلك النبوة على آل إسماعيل لأنهم سكان فاران.

وقد علم الناس قاطبة أن المشار إليه بالنبوة من ولد إسماعيل محمد وأنه بُعِث من مكة، التى كان فيها مقام إسماعيل. فدل ذلك

على أن جبال فاران هى جبال مكة وأن التوراة أشارت فى هذا الموضع إلى نبوة المصطفى صلوات الله وسلامه عليه وبشرت به، إلا أن اليهود لجهلهم وضلالهم لا يحسنون الجمع بين هاتين الآيتين بل يسلمون المقدمتين ويجحدون النتيجة لفرط جهلهم. وقد شهدت عليهم التوراة بالإفلاس من الفطنة والرأى ذلك قوله تعالى: "كى بمو أو باذ عيصوث هيما وأين باهيم تبونا"، وتفسيره "إنهم لشعب عادم الرأى وليس فيهم فطانة".

ولمزيد من التوضيح أود نسخ النص التالى، وهو تسجيل ممتع لحوار دار بين عالم مسلم لم يذكر اسمه وبين قس أفريقى فى منزل الأخير على النحو التالى: "لقد وافق القَسّ فان هيردن على مقابلتى بمنزله فى يوم السبت بعد الظهر. استقبلنى القس فى شرفة منزله بترحيب وود. وقال: إذا كنت لا أمانع فإنه يود حضور حَمِيه البالغ من العمر سبعين عاما للمشاركة معنا فى النقاش. ولم أمانع فى ذلك. جلس ثلاثتنا فى قاعة المكتبة. يقول كاتب المقال عن تلك المناقشة وكيف فتحها مع القس المذكور:

"تصنعت سؤالا: ماذا يقول الكتاب المقدس عن محمد؟ وبلا تردد أجاب: لاشيء. لماذا لاشيء. وفقًا لشروحاتكم فإن الكتاب المقدس مليء بالتنبؤات ، فيخبر عن قيام دولة السوفيت الروس وعن الأيام الأخيرة وحتى عن بابا كنيسة الروم الكاثوليك. فقال: نعم ، ولكن لاشيء عن محمد. فسالت ثانية: لكن لماذا لاشيء؟ أجاب الرجل المسن: يا بنى، لقد قرأت الكتاب المقدس لخمسين سنة مضت. ولو كان هناك أى شيء عن محمد لكنت عرفته.

استفسرت: ألست تقول إن هناك مئات النبوءات التى تتكلم عن مجيء المسيح ، فى العهد القديم؟ قال القس: لا مئات بل آلاف. قلت: إنى لن أجادل فى الألف نبوءة التى تتحدث عن مجيء المسيح. فإننا كمسلمين آمنا وصدقنا بالمسيح دون الحاجة إلى أى نبوءة كتابية. إنما آمنا تصديقًا لمحمد صلى الله عليه وسلم. لكن بعيدًا عن هذا الكلام هل يمكن أن تعطينى نبوءة واحدة مضبوطة حيث ذكر اسم المسيح حرفيًا؟ إن التعبير: "المسيا" المترجم بـ"المسيح" ليس باسم. إنما هو لقب. هل توجد نبوءة واحدة تقول إن اسم المسيا سيكون عيسى وإن اسم أمه مريم؟ أجاب القس: لا

لا يوجد مثل هذه التفاصيل. إذن كيف تستنتج أن هذه الألف نبوءة هى عن المسيح؟

ما النبوءة؟ أجاب القس قائلًا: إنك تدرك أن التنبؤات هى الكلمات التصويرية لأى شيء سيحدث فى المستقبل. وعندما يتحقق هذا الشيء فعلا فإننا ندرك بوضوح إنجاز هذه النبوءة التى سبق الإخبار بها سلفًا. قلت: ما تفعله فى الحقيقة هو أنك تستنتج، أنك تناقش، أنك تضع اثنين اثنين معا، قال: نعم. قلت: إذا كان هذا ما تفعله مع الألف نبوءة لتأكيد دعواك عن عيسى فلماذا لا نختار نفس المنهج بالنسبة لمحمد؟ وافق القس على هذا الرأى العادل و المنهج المعقول للتعامل مع المشكلة. وطلبت منه أن يفتح الكتاب المقدس عن سفر التثنية (١٨:١٨)، وقد فتحه وقرأ. وإليك النص باللغة العربية: "أقيم لهم نبيا من وسط أخوتهم مثلك و أجعل كلامى فى فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه به".

بعد أن قرأ النص استفسرت: لمن تعود هذه النبوءة؟ وبدون تردد قال: يسوع. فسألت: لماذا يسوع؟ إن اسمه غير مذكور هنا. أجاب القس: بما أن النبوءة هى الوصف التصويرى لأمور

ستحدث فى المستقبل فإننا ندرك أن تعبيرات النص تصف المسيح وصفا دقيقا. قلت: إنك ترى أن أهم ما فى النص هى كلمة "مثلك"، أى مثل موسى.فهل عيسى مثل موسى؟ بأى كيفية كان مثل موسى؟ أجاب: بادئ ذى بدئ كان موسى يهوديًا ، وكذلك كان عيسى. كان موسى نبيا وكذلك كان يسوع. قلت: هل تستطيع أن تجد تشابهات أخرى بين عيسى وموسى؟ قال القس إنه لا يتذكر شيئًا آخر. قلت: إذا كان هذا هو المعيار لاكتشاف مرشح لهذه النبوءة فى سفر التثنية إذن ففى هذه الحالة يمكن أن تنطبق على أى نبى من أنبياء الكتاب: سليمان ، أشعياء ، حزقيال ، دانيال ، هوشع ، يوئيل ، ملاخى ، يوحنا... إلخ. ذلك أنهم جميعا يهود مثلما هم أنبياء. فلماذا لا تكون هذه النبوءة خاصة بأحد هؤلاء الأنبياء؟

استأنفت قائلا: إنك تدرك استنتاجاتى ، وهى أن عيسى لا يشابه موسى. فإذا كنت مخطئا فأرجوا أن تردنى إلى الصواب. قلت: إن عيسى لا يشبه موسى بمقتضى عقيدتكم ، فإن عيسى هو الإله المتجسد، ولكن موسى لم يكن إلهًا. أهذا حق؟ أجاب: نعم. قلت: بناء على ذلك فإن عيسى لا يشبه موسى. ثانيًا بمقتضى

عقيدتكم مات عيسى من أجل خطايا العالم، لكن موسى لم يمت من أجل خطايا العالم. أهذا حق؟ أجاب: نعم. فقلت: لذلك فإن عيسى لا يشبه موسى. ثالثًا بمقتضى عقيدتكم ذهب المسيح إلى الجحيم لثلاثة أيام، ولكن موسى لم يكلف بالذهاب إلى الجحيم. أهذا حق؟ أجاب: نعم. و استنتجت: إذن عيسى لم يكن مثل موسى، و لكن أيها القس هذه ليست حقائق غامضة بل حقائق مكشوفة.

دعنا نتكلم فى الامور الدقيقة فى حياة موسى وعيسى. ١- الأب والأم: كان لموسى والدان (واخذ عمرام يوكابد عمته زوجة له فولدت له هارون وموسى) (خروج:٦:٢٠). وكذلك محمد كان له أم وأب، لكن المسيح كان له أم فقط وليس له أب بشرى. أليس هذا ما يقوله الكتاب المقدس؟ قال: نعم. ٢- الميلاد المعجز: إن موسى ومحمد ولدا ولادة طبيعية. مثال ذلك الاقتران الطبيعى بين رجل و امرأة، ولكن عيسى ولد بمعجزة مميزة. ٣- عقد الزواج: لقد تزوج موسى ومحمد وأنجبا أولاد، ولكن عيسى ظل أعزب كل أيام حياته. أهذا صحيح؟ أجاب القس: نعم. قلت: إذن عيسى ليس مثل موسى، بل محمد مثل موسى. ٤- مملكة تهتم

بالأمور الأخروية: إن موسى ومحمد كانا نبيين مثلما كانا زعيمين. و أعنى بالنبوة الإنسان الذى يوحى إليه برسالة إلهية لإرشاد الناس. أما الزعيم فأعنى به الإنسان الذى له سلطان وقيادة على شعبه سواء كان متوجًا كملك أو لا. فإذا اقتدر إنسان على توقيع عقوبة الإعدام مثلًا والحكم بين الناس فهو زعيم. ولقد كان موسى يملك هذا السلطان، فقد أمر بإعدام عُبَّاد العجل(خروج:٣٢: ٢٦)، وكذلك محمد كان له سلطان فى الحكم بين الناس. أما المسيح فإنه ينتمى إلى الصنف الآخر من الأنبياء. ومن هنا فإن عيسى ليس مثل موسى ، لكن محمد مثل موسى. ٥- لا شريعة جديدة: إن موسى ومحمد أتيا بشريعة جديدة وأحكام جديدة لشعبيهما، وأن موسى جاء بالوصايا العشرة وطقوس جديدة شاملة لهداية الناس، و جاء محمد صلى الله عليه وسلم إلى شعب يغطّ بالجهالة، اشتهروا بوأد البنات، مدمنين للخمر ، عبدة أوثان مولعين بالقمار والميسر فى وسط هذه الصحراء فإن الرسول صلى الله عليه وسلم، كما يقول توماس كاريل، قد شرف الذين اتبعوه فجعلهم حاملى مشاعل النور والعلم. أما بخصوص المسيح كان يحاول دائما أن يثبت لليهود، الذين كانوا يتهمونه بالتجديف ، بأنه لم يأت بشريعة

جديدة، فيقول: لا تظنوا أنى جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء ، ما جئت لأنقض بل لأكمل (متى ٥: ١٧). و بعبارة أخرى أنه لم يأت بشريعة جديدة أو أى أحكام جديدة على الإطلاق. إنما جاء ليكمل الشريعة القديمة. وباختصار فإنه لم ينشئ دينا جديدا مثل ما فعل موسى و محمد. سألت القس: نعم؟ فأجاب: نعم. ٦- كيف كان رحيلهم: إن كلا من موسى ومحمد قد توفاه الله وفاة طبيعية، لكن وفقا للعقيدة النصرانية فإن المسيح مات شر ميتة بقتله على الصليب. أليس هذا صحيحا؟ أجاب: نعم. قلت: من ثمّ فإن عيسى ليس مثل موسى، ولكن محمد مثل موسى. ٧- المقام السماوى: إن كلا من محمد وموسى يرقد الآن فى قبره على الأرض ، ولكن طبقا لتعاليمكم فإن المسيح يجلس الآن "عن يمين قوة الرب" (لوقا ٢٢: ٦٩). قال القس: نعم. فقلت: ومن ثمّ فإن عيسى ليس مثل موسى ، بل محمد مثل موسى. بعد هذا الحوار المنطقى والمثبت بالأدلة والبراهين ، وبعد أن وافق القس وباستسلام لكل ما طرحته من آراء قلت: أيها القس، للآن ما تناولناه إنما للبرهنة فقط على موضوع واحد من هذه النبوءة كلها، وذلك بالتحقيق فى كلمة "مثلك" ، أى مثل موسى. إن النبوءة

أوسع من ذلك بكثير ، تقول النبوءة: أُقِيمُ لهم نبيا من وسط إخوتهم مثلك أجعل كلامى فى فمه، فيكلمهم بكل ما أوصيه به" (التثنية ١٨:١٨). يجب التركيز على عبارة "من وسط إخوتهم مثلك". إن الخطاب موجه لموسى ، وشعبه اليهود كشخصية معينة. عندما تقول النبوءة من "إخوتهم" تعنى يقينا العرب. إنك تعلم أنه يتحدث عن إبراهيم ، وكان لإبراهيم زوجتان: سارة وهاجر ، ولدت هاجر لإبراهيم ولدا. إنه الابن البكر لإبراهيم كما يقول الكتاب المقدس: "ودعا إبراهيم اسم ابنه الذى ولدته هاجر: إسماعيل" (التكوين١٥:١٦). وحتى الثالثة عشر من العمر فإن إسماعيل بقى الابن الوحيد لإبراهيم، ولقد وهب الله إبراهيم ابنا آخر من سارة أسماه: إسحاق. العرب واليهود: إذا كان إسماعيل وإسحاق أبناء الوالد نفسه (إبراهيم) ، وهو ما يقوله الكتاب المقدس إذن هما أخوان ، وهكذا فإن الشعوب التى نشأت من سلالتهما إخوة بالمعنى المجازى. إن أبناء إسحاق هم اليهود ، وأبناء إسماعيل هم العرب، وهو ما يقوله الكتاب المقدس أيضا. ويؤكد حقيقة هذه الأخوة بالنسب: "وأمام جميع إخوته يسكن" (تكوين١٢:١٦). وعن وفاة إسماعيل تقول التوراة: "وهذه سنة

حياة إسماعيل ، مائة وسبع وثلاثون سنة، وأسلم روحه و مات و انضم إلى قومه. و سكنوا من حويلة إلى آشور التى أمام مصر حينما تجيء نحو آشور أمام جميع إخوته" (تكوين ٢٥: ١٧). إن أبناء إسماعيل هم إخوة لأبناء إسحاق. وبنفس النمط فإن محمد من قوم هم إخوة بنى إسرائيل ، ذلك أنه من سلالة إسماعيل (العرب) مثلما تنبأت عنه التوراة: أقيم لهم نبيا من وسط إخوتهم". بل تذكر النبوءة بوضوح أن النبي الآتى الذى هو مثل موسى والذى سيبعثه الله ، ليس من بنى إسرائيل لأن التوراة لم تقل: "من بين أنفسهم"، بل قالت: "من وسط إخوتهم. من ثمّ فإن الرسول صلى الله عليه وسلم هو الذى من وسط إخوتهم.

تستأنف النبؤة قولها: "وأجعل كلامى فى فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه". ماذا تعنى النبوءة: "واجعل كلامى فى فمه"؟ إن السيرة النبوية تحدثنا أن محمد صلى الله عليه وسلم عندما بلغ من العمر أربعين عاما حينما كان يتعبد فى غار حراء، الذى يبعد حوالى ثلاثة أميال عن مكة المكرمة، فى هذا الغار نزل إليه جبريل وأمره بلسان عربى قائلًا: اقرأ. امتلأ النبي خوفًا ورعبًا منه، فأجاب: ما أنا بقارئ. فرد جبريل عليه السلام: اقرأ. قال: ما أنا بقارئ. ثم

أعاد الأمر عليه قائلًا: "اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِى عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ" (العلق ١: ٥". أدرك النبى أن ما يريده منه الملاك هو أن يعيد نفس الكلمات التى وضعها فى فمه. ثم توالى نزول القرآن. فى الثلاثة والعشرين سنة من حياة النبوة نزل جبريل بالقرآن الكريم على قلب محمد ليكون من الرسل. أليس هذا تصديقا حرفيا لما جاء فى نبوءة الكتاب المقدس. إن القرآن الكريم هو فى الحقيقة إنجاز نبوءة موسى أنه الرسول الأمى. وضع جبريل الملاك كلام الله فى فمه باللفظ والمعنى واستظهره الرسول كما أنزل.

إن اعتكاف الرسول فى الغار والطريقة التى انزل إليه بها القران بواسطة جبريل وكون الرسول أمياً لا يعرف الكتابة ولا القراءة إنما هى إنجاز لنبوءة أخرى فى سفر اشعياء (٢٩: ١٢) هذا نصها "أو يدفع الكتاب لمن لا يعرف الكتابة ويقال: اقرأ هذا. فيقول: لا أعرف الكتابة". ومن ألزم ما يجب أن تعرفه هو أنه لم يكن هنالك نسخة عربية من الكتاب المقدس فى القرن السادس الميلادى ، أى حينما كان محمد حياً. فضلًا على ذلك فإنه أمى. يقول القرآن عنه: "فَآمِنُواْ بِاللّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِىِّ الأُمِّىِّ الَّذِى يُؤْمِنُ بِاللّهِ

وَكَلِمَاتِه" (الأعراف: ١٥٨). إنذار من اللهِ- قلت للقس: هل رأيت كيف تنطبق النبوءة على الرسول محمد كانطباق القفاز فى اليد؟ أجاب القس قائلًا: إن جميع شروحاتك وتفسيراتك إنما هى فحص دقيق للكتاب المقدس ، ولكن ليست ذات قيمة وأهمية. ذلك أننا نحن النصارى نحرز على يسوع الإله المتجسد الذى خلصنا من الخطيئة.

قلت: ليست ذات أهمية؟ إن الله أنزل هذه النبوءة ثم تأتى أنت وتقول: إنها ليست ذات أهمية؟ إن الله يعلم أن من الناس من هم مثلك أيها القس الذين بفلتة لسان وإرادة قلوبهم الهينة يسقطون كلام الله ولا يعيرون له أى اهتمام. لهذا أتابع تكملة النبوءة. يقول الكتاب المقدس: "ويكون أن الإنسان الذى لا يسمع لكلامى الذى يتكلم باسمى أنا اطلبه". وفى النسخة الكاثوليكية من الكتاب المقدس يقول: "سأكون أنا المنتقم". إن الله القادر يتوعد بالعقاب و العذاب. إن النبى الذى يشبه موسى كما جاء فى النص: "مثلك" هو بلا ريب محمد. لقد قدمت البراهين والحجج فى فيض من الوضوح بأن هذه النبوءة عن محمد لا عن المسيح عليهما الصلاة والسلام. نحن المسلمين لا ننكر أن عيسى هو المسيح الذى

أرسله الله إلى بنى إسرائيل. إن ما نقوله هو أن ما جاء بسفر التثنية (١٨:١٨) لا يشير إطلاقا إلى المسيح. إنها نبوءة واضحة تتنبأ عن محمد. ابتعد القس بمنتهى الأدب قائلا: إنها مناقشة خطيرة ومهمة للغاية. وسوف أحاول أن أناقش الطائفة فى هذا الموضوع.

لقد مضت خمس عشرة سنة منذ ذلك الوقت وأنا لا زلت أنتظر ما وعد به! أعتقد أن القس كان مخلصًا عندما دعانى ورحب بى وبالبحث العلمي، غير أن التحزب والتعصب لدين الأجداد يقتل بقسوة".

وجاء فى إنجيل يوحنا (الإصحاح السادس عشر: الفقرات ١٦-١٧): "إن خيرًا لكم أن أنطلق لأنى إن لم أذهب لم يأتكم الفارقليط. فإذا انطلقتُ أرسلته إليكم فإذا جاء فهو يوبخ العالم على الخطيئة، وإن لى كلامًا كثيرًا أريد قوله ولكنكم لا تستطيعون حمله، لكن إذا جاء روح الحق ذاك الذى يرشدكم إلى جميع الحق لأنه ليس ينطق من عنده بل يتكلم بما يسمع ويخبركم بكل ما يأتى". وهذا لا ينطبق إلا على النبى صلى الله عليه وسلم".

وفى موقع "نداء الرجاء" أيضا نقرأ السطور التالية: "ذكر الشيخ عبد المجيد الزندانى فى كتابه: "البشارات بمحمد صلى الله عليه وسلم فى الكتب السماوية السابقة" أن إنجيل برنابا فى الباب ٢٢ جاء فيه: "وسيبقى هذا إلى أن يأتى محمد رسول الله الذى متى جاء كشف هذا الخداع للذين يؤمنون بشريعة الله"، وجاء فى سفر إشعيا: "إنى جعلت اسمك محمدا. يا محمد يا قدوس الرب، اسمك موجود من الأبد"، وجاء فى سفر إشعيا: "وما أعطيته لا أعطيه لغيره، أحمد يحمد الله حمدا حديثا يأتى من أفضل الأرض، فتفرح به البرية، ويوحدون على كل شرف، ويعظمونه على كل رابية" انتهى. وقد ذكر العلماء العديد من المواضع التى ذكر فيها اسم النبى صلى الله عليه وسلم: مرة بذكر اسمه الصريح، ومرة بذكر وصف لا ينطبق إلا عليه صلى الله عليه وسلم.

واعلم أنه قد طرأ تغيير على الكتب الموجودة الآن من التوراة والإنجيل وحدث تغيير فيها، وقد ذكر المؤرخون من غير المسلمين هذا الأمر، لكن مع ذلك كله لازلنا نجد فى التوراة والإنجيل التبشير بمقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقد ذكر الشيخ رحمة الله الهندى أن النصارى كلما استطاعوا تحريف موضع حرفوه،

ولذلك تجد بعض العلماء القدامى يذكرون مواضع فى التوراة والإنجيل ليست موجودة الآن، لكن هناك مواضع أخرى لا زالت تبشر بنبوة النبي صلى الله عليه وسلم وقدومه".

ويزودنا القرآن بدليل حاسم على ما نقول، فالله تعالى يقول عن يهود المدينة فى عصر النبي محمد صلى الله عليه وسلم: "وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ". فهذه الآية الكريمة تشير إلى ما كانوا ينتظرونه من ظهور نبى فى ذلك الوقت طبقا لما لديهم فى التوراة من تبشير به. لكنهم غلبهم طبعهم الشيطانى النكد، فتنكروا لما كانوا يرددونه من قبل، وينتظرون ظهور نبى عصرذاك بناء عليه. ولا ينبغى الرد بأننى بهذا أحاجهم بالقرآن، وهم لا يؤمنون به، وبالتالى لا يعدونه دليلا على ما أقول. ذلك أن الآية قد نزلت وقرأها النبي وبلغت مسامع اليهود، وبخاصة أنها نزلت فى أوائل الهجرة، فكانت هناك فرصة سانحة للرد على ذلك لو كان غير صحيح. واليهود، بحمد الله، أطول ألسنة وأوقح وجوها وأثخن جلودا من أن يلوذوا بالصمت لو كان القرآن يورد باطلا من القول لا صحة له. والقرآن، من جهته، لم يكن

يتبع سياسة التجاهل لأى كلام يقال فى حقه حتى لو كان يتعلق بالله سبحانه وتعالى كقول اليهود فى المدينة: "إن الله فقير ونحن أغنياء"، "يد الله مغلولة"، وكقول المشركين فى مكة بحق الرسول: "لولا نُزِّلَ هذا القرآنُ على رجلٍ من القرتين عظيم؟" واتهامهم له بأنه مجنون وشاعر وساحر وكذاب ومُدّعٍ سرق القرآن من أساطير الأولين، ورجل عادى يأكل الطعام ويمشى فى الأسواق، فليس إذن برسول. فلو كان القرآن قد قال هذا عنهم زورا وبهتانا ما سكتوا ولملأوا الدنيا صياحا واعتراضا وتهكما وطوّلوا ألسنتهم عليه بكل ما نتخيل ولا نتخيل من الوقاحات والسفاهات.

ومن ناحية الواقع التاريخى فمن يا ترى من الأنبياء السابقين أخبر بنبوة نوح مثلا أو إبراهيم أو يوسف أو داود أو سليمان أو حتى المسيح؟ لقد أوردت "دائرة المعارف الكتّابية" النبوءات التى تحدثت عن المسيح ومجيئه، ومن يراجع مادة "نبوات العهد القديم عن المسيح" يجد كلاما عاما يمكن، لكلّ من أراد، أن يلويها إلى الجهة التى تحلو له ويزعم أنها تنطبق على فلان أو فلان. وحين أنظر إلى استشهاد النصارى بها أستغرب أشد الاستغراب لأنها لا تقول شيئا فى هذا الصدد. ولقد رأينا كيف أن نسابيهم أتوا فى

نسب المسيح عليه السلام بالطامة الكبرى، فجعلوه ابنا ليوسف النجار. فكيف نأتمنهم على تفسير نبوءات كهذه غامضة لا تشير إلى شىء أو شخص واضح؟

ومع كل ما ادعاه توما الأكوينى على الإسلام ونبيه وكتابه فهناك مفكرون وعلماءُ وكتّابٌ غربيون كُثْرٌ وقفوا إزاء صورة محمد وشخصيته ودينه وإنجازته وقفة المبهور مخالفين التيار العام لشعوبهم وحرصاءَ على قول كلمة الحق مهما كان الثمن. ومن هؤلاء مثلا جوته الشاعر والكاتب الألمانى الكبير (ت ١٨٣٢م)، الذى أحب الإسلام ورسوله والقرآن ولغته وأصدر ديوان شعريا كبيرا يدور حول موضوعات إسلامية وعربية ويمدح فيه النبى محمدا ودينه مدحا شديدا، وألف مسرحية عنه صلى الله عليه وسلم، وأعلن فى بعض أشعاره بكل وضوح أنه إذا كان الإسلام معناه أن لله التسليم فعلى الإسلام نحيا ونموت نحن أجمعين... وغير ذلك، وهو ما حدا بكثير من الناس، ومنهم ألمان، إلى الاعتقاد بأن جوته كان فى الحقيقة مسلما.

ومن أولئك الغربيين المبهورين بالنبى والإسلام جون دافنبورت الكاتب البريطانى (ت١٨٧٧م) صاحب " An Apology for Mohammed and the Koran: اعتذار لمحمد

وللقرآن"، فقد أنفق صفحات كتابه هذا التى تخطت المائة والثمانين فى الإشادة بمحمد وبدين محمد وبالقرآن المجيد الذى جاء به محمد وبالتوحيد الذى دعا إليه محمد، ووصف محمدا عليه السلام بأنه أعظم إنسان أتى لإصلاح حياة البشر وأن تاريخ المسلمين أفضل من تاريخ النصارى أفضلية مطلقة، وأكد أن محمدا يتفوق على أنبياء بنى إسرائيل تفوقا مذهلا، وأن حكام المسلمين أعظم من حكام الغرب أيام ازدهار الحضارة الإسلامية، وأن تاريخ الحضارة الإسلامية تاريخ غاية فى السطوع والتألق، وأن الكتاب المقدس لا يبلغ رتبة القرآن فى الثقافة والعلم. كما أخذ على عاتقه تفنيد كل شبهة اخترعها النصارى للإساءة إلى محمد ودينه بتحليل ضاف وأمثلة متنوعة ومقارنة بين ما كان يتمتع به صلى الله عليه وسلم وبين أنبياء بنى إسرائيل، وبين نصوص القرآن وبين نصوص الكتاب المقدس. وأهمية هذا الكلام أن صاحبه قاله وأكده رغم أنه لم يكن مسلما. على الأقل لم يعلن إسلامه. كما أكد تبشير موسى وعيسى بالنبى محمد، وانطباق لفظ "الفارقليط" الذى بشر به المسيح عليه. وهذه عبارته نصا: " The piety of Moses and of Christ rejoiced in the assurance of a future prophet more illustrious than themselves; and the Evangelist's promise of the Paraclete or Holy Ghost,

the Comforter, was prefigured in the name, and accomplished in the person, of the greatest and the last of God's prophets".

ومن هؤلاء المفكرين المنصفين أيضا توماس كارلايل (ت١٨٨١م) فى كتابه عن البطولة والأبطال: " On Heroes, Hero-Worship, & the Heroic in History"، الذى خصص فصله الثانى للنبى محمد عليه السلام فترك كل أنبياء العالم بما فيهم أنبياء الكتاب المقدس بل والمسيح نفسه، واختار محمدا دون هؤلاء جميعا ليكون نموذجا للبطولة متجسدة فى صورة "نبى". ولم يتوقف عمله عند هذا بل شمر عن ساعد الجد ودافع عن النبى صلى الله عليه وسلم عددا من الاتهامات الباطلة السخيفة الدنسة التى يقذف بها الملتاثون الغربيون سيد البشر محمدا صلى الله عليه وسلم.

وهناك كاتب أمريكى يهودى معاصر هو مايكل هارت وضع كتابا يضم تعريفا بمائة شخصية خالدة فى تاريخ البشرية احتل محمد الفصل الأول منه. واسم الكتاب هو " The 100 A Ranking of the Most Influential Persons in History". وفيه يبين

الكاتب كيف أن محمدا هو أكبر المشهورين فى التاريخ إنجازا وأوسعهم تأثيرا. ولهذا وضعه هارت على رأس قائمة المائة الخالدة، ووضع عيسى فى المرتبة الثالثة، وموسى نبى بنى إسرائيل فى المرتبة السادسة عشرة. ولم يتنطع كما فعل الأكوينى وأمثاله ممن يرددون لدرجة الإسئام شعار "من ضربك على خدك الأيمن فأدر له خدك الأيسر" فى حين تقوم حياتهم على قلة الأدب والحقد ومحاولة الإساءة الجارحة لأعظم العظماء من أبناء آدم وحواء دون أى شعور بالخجل من هذا الصديد الذى ينز من نفوسهم المتقيحة المنتنة. لقد كان مايكل هارت مشغولا بتعداد الإنجازات الخارقة التى حققها النبى العربى الكريم لقومه وللإنسانية وأن تأثيره الفذ المبارك لا يزال حيا حتى يومنا هذا، فلم يكن لديه وقت يضيعه فى لت الكلام وعجنه وقذف الاتهامات المتخرصة على تلك الشخصية الجليلة العظيمة. وقد أكد هارت أن محمدًا كان "ناجحًا للغاية" دينيا ودنيويا، إذ كان مسؤولًا عن تأسيس الإسلام وتوحيد شبه الجزيرة العربية، التى انطلق منها الإسلام إلى فضاء العالم الفسيح. وهو يرى أن محمدًا قد أدى دورًا فرديًّا بشكل غير عادى فى تطور الإسلام لا يَشْرَكه أحد فى ذلك، بينما فى تطور المسيحية اشترك

عيسى وبولس، الذى أدى دورًا محوريًّا فى الإضافة إلى هذه التعاليم. وقائمة المفكرين الغربيين النبلاء الكرام الذين يعملون على إنصاف الإسلام جد طويلة. وقد اكتفيتُ بهذه الأمثلة الثلاثة، وإلا فلن ننتهى.

ومع ذلك كله فما يهمنى فى أمر الدين القِيَمُ التى يعلى من شأنها النبى الذى أتى به ويدعو إليها ويحض أتباعه بل يوجب عليهم الالتزام بها وعدم الزيغ عنها. والقيم التى يدعو إليها نبينا هى الإيمان بالله وإجلاله وتعظيمه وحب النبيين والمرسلين والتأسى بهم والتزام الصدق وتحرى العدل والأمانة والحرص على العمل والإتقان والسعى على المعاش والترفع عن السؤال والتمسك بالكرامة الإنسانية واحترام المرأة وإحسان تربيتها وتعليمها كالذكر سواء بسواء والعفة والتقوى وصلة الرحم والتعامل الجميل مع الآخرين والكرم والزكاة والصدقات والوقوف مع الفقراء والمحتاجين والمكسورين وطلب العلم والنفور من الجهل والغشم والإِمَّعِيَّة ومصاحبة الناس بالمعروف واليسر فى التعامل والبشاشة فى وجوه الآخرين والوفاء بالعهد واحترام الوعد وتقدير قيمة الوقت فى كل شىء وفى كل مراحل الحياة وحسن تدبير المعيشة وعدم الإسراف فى الإنفاق

والشورى واحترام الكبير والحدب على الصغير والبعد عن الغش والخيانة والغيبة والنميمة والحقد والسعار وراء مطالب الدنيا وإعمال العقل واستقلال الفكر وتشجيع النظر فى الأمور دون خوف ما دام الشخص قد تسلح بالقراءة والعلم والتدقيق والتخصص ثم لا عليه إذا أصاب أو أخطأ بعدما فكر وقدر بنية طيبة بغية الوصول إلى الحق وبعدما أنفق الوقت اللازم لذلك كله... إلخ. وأنا لو لم أجد هذه القيم فى الإسلام فلا أظننى كنت أتمسك به أو أتحمس له.

ولقد كان الرسول عليه السلام هو التجسيد الرائع لهذه القيم. إنه لم يكذب ولم يشرب الخمر ولم يمارس الفحشاء ولا كان فظا غليظ القلب ولا يمد يده لمال الغير تحت أى اعتبار ولايبذؤ ولا يصخب ولا يثرثر ولا يغتاب أحدا أو ينم بين اثنين ولا يحتقر العبيد ولا يظلم ولا يشهد شهادة زور ولا يتجبر أو يتكبر ولا باهى بالجهل لأنه أمى بل أعلى من شأن العلم كما قرأنا آنفا على نحو تفوّق به على الحضارة الحديثة. وكان يحب النظافة وحريصا على طيب رائحته ويعامل النساء معاملة راقية ويحنو على الضعف البشرى، ولكنه لا يحب للمسلمين أن يكونوا متهافتين ضعفاء بل صلابا

يتحملون ضغوط الحياة وخشونتها... إلخ. ومن هنا كنت أحبه أكثر وأكثر كلما قارنته بعظماء العالم ومشاهيرهم من ملوك ورؤساء وكتّاب ومفكرين ومربين ومعلمين ورجال صناعة وإقطاعيين وإعلاميين وسياسيين وقادة عسكريين، إذ لم يكن عند أحد منهم مميزاته، وليس فيه عيوب أى منهم. وقد قرأت عنه كثيرا، وبخاصة فى كتابات المستشرقين والمبشرين والملاحدة والمفكرين غير المسلمين، وكلما أوغلت فى القراءة ودققت وتفحصت ما تحويه من هجوم عليه ومحاولة للإساءة إليه ازددت له حبا وسمق قدره فى نفسى وصرت أُبَجِّله بعقلى وعواطفى معا، ولا أجد فى القديم أو فى الحديث من يقترب من المستوى الرفيع الذى يحتله، وأقدره كما لا أقدر أحدا سواه، وأستغرب أشد الاستغراب ممن يكفر به ويفسق عن الإسلام إلى الإلحاد أو الماركسية أو العلمانية رغم إقرارى التام بتقدم الغرب فى السياسة والصناعة والابتكار والاختراع والقوة العسكرية وارتفاع مستوى المعيشة وطول العمر والجد فى العمل وإتقانه وقيام كل شىء فى حياته على النظام والتعاون، وعلى الديمقراطية إلى حد كبير. ذلك أن الإسلام فيه كل هذا وزيادة مما شرحته قبل قليل. كما أن الغرب

لا يتعامل مع الأمم الأخرى بأى قدر من التواضع أو العدل أو الإنسانية والرحمة. إنه لا يفهم سوى القوة، والقوة وحدها، وكل تفكيره وتصرفاته وعلاقاته بالآخرين تفيض بالغطرسة والتجبر والتكبر. إنه بوجه عام لا يؤمن بالله، فهو ملحد متأله لا يبالى إلا بما يرى وما يريد، ولا يضع فى اعتباره الحق ولا القانون، ولا يؤمن بآخرة ولا يهتم بها بل بالدنيا فقط وما فيها من مال ومتع وتسلط وتحكم ونساء وجنس، ثم على غيره العفاء، وليس لهم لديه سوى الاحتقار والدمار أو الاستعمار والإذلال وسرقة الأموال!

وكنت أشاهد بعض الفيديوهات فى اليوتيوب تجنبا للسآمة من كثرة تعرضى لمثل سخافات الأكوينى والرد عليها وتبيين عوارها وتفنيده، فلفت نظرى فيديو بثته مسلمة أمريكية فى أوائل خمسينات عمرها تستغرب فيه سخط بلادها على اليمن لأنها ترد على صواريخها وطائراتها بأسلحة لا تعد شيئا بجانب نظيراتها الأمريكية وتتهمها بالعدوان والإرهاب وتريد منها الصمت والتبلد وعدم التعرض للسفن الموالية لإسرائيل فى مضيق باب المندب، قائلة إن المسلمين إنما يدافعون عن بلادهم وحياتهم ويحاولون معاونة الفلسطينيين الذين يتعرضون لحملات إبادة جماعية من إسرائيل وأمريكا. وأضافت السيدة الأمريكية إنها، أثناء قراءتها لسورة "النساء"، استوقفتها الآية السادسة والخمسون التى تقول: "إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآَيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا"، معقبة أنها، قبل ستة أشهر (ربما تقصد: قبل أن تصبح مسلمة) كان فهمها للآية سيكون مختلفا إذ كنت سأقول: إن البشر كلهم طيبون فى أعماقهم ويستحقون أن يسامحهم الله، كما أن الإله لا يمكن أن يعذب عباده على هذا النحو، لكنها الآن بعدما رأت كيف تدمر إسرائيل وأمريكا البيوت الفلسطينية فوق رؤوس أهلها وتقتل منهم الآلاف المؤلفة تستطيع أن ترى مدى عدل هذه العقوبة. إن الفلسطينيين يدافعون عن بلادهم وحقوقهم ضد إسرائيل وأمريكا، أما هاتان فظالمتان باطشتان. قالت ذلك وعلى وجهها حرقة الألم ولذع

الضمير لأن بلادها تشن هذا العدوان الظالم وتحيل حياة البشر فى فلسطين جحيما لا يطاق، ثم لم تمالك نفسها وسالت دموعها على خديها من تحت عدسات نظارتها. لقد فهمت هذه الأمريكية الوضع وعرفت الحق ولزمته وقارنت بين نفسها أيام جاهليتها وبينها الآن، أما توما الأكوينى فظل مطموس البصيرة لا يقدر على رؤية نور الحق لسواد قلبه ولتعصبه الأعمى الفاقد للرشد والهدى. وهذا رابط الفيديو، واسم القناة التى تذيع من خلالها فيديوهاتها هذه السيدة "قناة ليبرا". هذا ولا بد أن أذكر فى هذا السياق أن الفظائع المروعة التى ينزلها الصهاينة والصليبيون الغربيون وزعيمتهم أمريكا على الفلسطينيين قد تسببت فى انقشاع سواد الرؤية عن عيون كثير من الأمريكيين وقلوبهم واعتنقوا الإسلام وانتعشت أرواحهم وتبين لهم أن ما كانوا فيه من تعصب على الفلسطينيين وانحياز للصهيونية إنما كان سببه التضليل المستمر فى الإعلام الغربى لحجب الحقيقة عنهم ودفعهم دفعا إلى مؤازرة الظلم والظالمين.

وهناك كتاب أوربيون لا يرضيهم هذا السخف الذى يتكلم به عن ديننا توما الأكوينى وأمثاله. وأذكر أنى فى شتاء سنة ١٩٨٢م قرأت فى قرية قريبة من أكسفورد بت فيها ليلتين بعد أن غمرت الثلوج الطرق كلها فلم تستطع السيارة السير فيها، فقرأت فى البيت الذى استأجرنا غرفة منه لدى سيدة إنجليزية عجوز كتابا كان معى لجون دافنبورت: "An apology for Mohammed and the Koran". وقد كرس المؤلف

كتابه هذا للاعتذار للنبي محمد وللقرآن عما وجهه ولا يزال يوجهه إليه المستشرقون ورجال الدين النصارى من سهام الاتهام والتشويه كذبا وزورا وإجحافا وعدوانا. ولم أكن أعرف أن ثم ترجمة عربية لذلك الكتاب (الذى صدر فى ١٨٦٩م) قام بها صحفى إيرانى اسمه عباس الخليلى منذ عدة عقود بعنوان "الاعتذار محمد والقرآن". كما اكتشفت بعد ذلك ترجمة أخرى للكتاب بقلم صابر صالح زغلول، وقد صدرت منذ وقت غير بعيد، وعنوانها "دفاع واعتذار لمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن". وأنا أوصى الذين يتجاوزون حدود الأدب والاحترام والإجلال ويحاولون الإساءة إلى النبي الكريم أن يبحثوا عن الكتاب ويقرأوا مقارنةَ كاتبِه الشاملةَ والعميقةَ بين القرآن والنبي محمد من جهة وبين الكتاب المقدس وأنبيائه، وبخاصة موسى وعيسى على جميعهم السلام والإكرام، من جهة أخرى.